الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة وهران 1
Université d'Oran 1
أحمد بن بلة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des Sciences Humaine et des Sciences Islamique

قسم: الحضارة الإسلامية

أهل الذّمة على عهد الدولة الموحدية
دراسة اجتماعية واقتصادية
(541-668هـ/1146-1269م)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

ـ من إعداد الطالب: عبد الوهاب الهاشمي

ـ إشراف الأستاذ: .د ـ أحمد بحري

أعضـــــــــــاء لجنـــــة المناقشـــــــة

اسم الأستاذ	الجامعة	الصفة
أ.د مُحَمَّد بن معمر	جامعة وهران –1–	رئيسا
د. أحمد بحري	جامعة وهران –1–	مشرفا ومقررا
د. حمدادو بن عمر	جامعة وهران –1–	مناقشا
د. بن سدات نصر الدين	جامعة وهران –2–	مناقشا
د. بعثمان عبد الرحمان	جامعة أدرار	مناقشا

السنة الجامعية: 1440–1441هـ/2019–2020م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى

الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى

يوم الدين.

الإهـــداء

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمّد وءاله وصحبه وسلم

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من تقرّ بهم عيني إلى **والديَّ العزيزيْن** اللّذين سهرا على تربيتي وتعليمي وأنارا لي درب حياتي، وأوصلاني إلى برّ الأمان.

وإلى كل أفراد عائلتي وخاصة زوجتي وابني عبد اللطيف.

وإلى شيخي الفاضل سيدي **محمّد عبد اللّطيف بلقايد،** الذي علمني الأدب وحسن الخلق، جزاه الله خير الجزاء، وإلى أنجاله سيدي الحاج نور الدين والحاج عبد الرحمن والحاج عبد السلام حفظهم الله ورعاهم.

وإلى كل زملائي وأصدقائي وأساتذتي وإلى كل من ساعدني من قريب أومن بعيد من أجل إتمام هذه الأطروحة.

شكر وعرفان

أحمد الله العلي القدير وأشكره على تفضله وإحسانه.
واعترافا لذوي الفضل بفضلهم يسعدني ويشرفني أن أتقدم بخالص شكري وامتناني لأستاذي الفاضل:
أحمد بحري،الذي تولى الإشراف على هذه الأطروحة، وأشكره جزيل الشكر على توجيهاته ونصائحه وعلى تحمّله مشاق هذا التأطير ومراجعته وتصحيحه، كما أوجه شكري واحترامي لأعضاء لجنة المناقشة على قراءتهم لهذه الأطروحة، وتصويبي وتوجيهي، فلهم مني كل التقدير والاحترام.
ولا أنسى التقدم بالشكر والامتنان لأستاذنا القدير الدكتور عبد المجيد بن نعمية الذي أسأل الله له الشفاء العاجل، وأن يمتعه الله بدوام الصحة والعافية، وإلى كل زملائي الطلاب، وإلى كل من مدّ لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد فجزاكم الله خير الجزاء.

المقدمة

مـــقدمـــــة

لقد تداول على بلاد الغرب الإسلامي العديد من الدويلات الإسلامية في فترات متعاقبة، فمنها من حكم بلاد المغرب الإسلامي، ومنها من ضم معه بلاد الأندلس وهذا ما يسمى ببلاد الغرب الإسلامي، ومن الدول التي تمكنت من حكم هذه البلاد الدولة الموحدية، التي يعتبر تاريخها موضوعا هاما وشائكا، ولقد أصبح قبلة للباحثين خاصة في الجانب السياسي منه، الذي تم تناوله بشيء من التفصيل، على خلاف الجوانب الحضارية الأخرى التي لا زالت تحتاج إلى مزيد من البحث والتمحيص والتدقيق، حيث أن الوصول إلى التفصيل الحقيقي لهذه الدولة لا يتحقق إلا من خلال الكشف عن الجوانب الحضارية الأخرى.

ومن المعلوم أن الدولة الموحدية أظلت تحت حكمها مجموعة من الرعايا غير المسلمين الذين يطلق عليهم أهل الذمة، الذين كانوا ضمن المجتمع الموحدي.

ولقد ارتبطت تسمية هذه الفئة بمجيء الإسلام وقيام الدولة الإسلامية وتأسيسها على يد النبي ﷺ في المدينة المنورة ووضع أحكام وتعاملات تنظم علاقة المسلمين مع غيرهم من الفئات الأخرى كاليهود والنصارى وغيرهم، ولقد تطورت هذه الفئة من أهل الذمة مع تطور وتقدم الدويلات الإسلامية في المشرق والمغرب بدءا من الدولة الأموية والعباسية وصولا إلى هذه الدولة الموحدية، وخلال هذه الفترات أطلق على هذه الفئة عدة أسماء من طرف المؤرخين منها "المعاهدون" و"الرعايا غير المسلمين" أو " الذميون الفرنجة"، ولقد كانت لهم مساهمات في بناء الدويلات الإسلامية ولا سيما الدولة الموحدية، حيث تعتبر وضعيتهم في هذه الدولة من القضايا التاريخية التي أثارت جدلا واسعا بين المؤرخين – وإن كانوا قلة – حول موقف الموحدين من أهل الذمة خاصة اليهود منهم، فذهب فريق منهم إلى وصف الموحدين بالتعامل السيء مع اليهود ومنعهم من الكثير من حقوقهم وخاصة منعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وعلى هذا فقد لحق هذه الفئة بعض الإجحاف من طرف الموحدين حسب قول بعض المؤرخين، فتم إخفاء الكثير من الحقائق وطمسها بالرغم من تبوء أهل الذمة مكانة مرموقة داخل هذه الدولة، إلا أن هذا لا ينفي أنهم مروا ببعض الفترات الصعبة وإن لم تدم طويلا، وحسب قول مؤرخين آخرين فإن الغالب الأعم من أحوالهم أنهم بلغوا مراتب عليا سواء

في الوزارة أو في قيادة الجيش أو الحرس الخاص بالحكام والأمراء ومنهم من كانت له أراضي فلاحية كبيرة وأملاك وعقارات واسعة.

لعل هذا الاختلاف مرده إلى أن هذه الفئة لم تحظ بالدراسة والبحث اللائقين من طرف المؤرخين كما ينبغي خاصة في ظل هذه الدولة، كما حظيت به في الدويلات الأخرى كالدولة الأموية والعباسية والزيانية والحفصية وغيرها من الدويلات الإسلامية، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم بـ:"أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية- دراسة اجتماعية واقتصادية (541-668هـ/1147-1269م)" من أجل إلقاء الضوء على بعض الجوانب الحياتية لهؤلاء خاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي لهم داخل هذه الدولة، وذلك رغبة في التعرف أكثر على تاريخ هذه الفئة وهذه الدولة.

وعلى هذا الأساس **نطرح الإشكال التالي**:

- كيف كان دور أهل الذمة في الدولة الموحدية خاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي؟

ومن هذه لإشكالية تفرع عدة تساؤلات ثانوية وهي كالتالي:

- هل أهل الذمة موجودون في بلاد الغرب الإسلامي منذ القدم أم أنهم هاجروا إليها تحت ظروف طرأت عليهم؟
- هل كان لأهل الذمة أثر في الحياة الاجتماعية في الدولة الموحدية؟
- هل حافظ أهل الذمة في الدولة الموحدية على نشاطهم الاقتصادي الذي عرفوا بالتفوق فيه منذ القدم؟
- هل وصل أهل الذمة إلى تبوء مناصب عليا في الدولة الموحدية؟
- كيف كان المستوى المعيشي الذي عاشه أهل الذمة في الدولة الوحدية؟
- ما هي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية؟

- ما هو دور أهل الذمة في المعاملات التجارية والمالية؟
- ما هي حقيقة موقف الموحدين من أهل الذمة؟ وما هي الخلفيات التي تحكمت فيه؟ وما هي النتائج التي ترتبت عن هذه العلاقة؟
- إلى أي مدى تأثر المسلمون بأهل الذمة وتأثر أهل الذمة بالمسلمين؟

وتعود أسباب اختيار هذا الموضوع إلى:

- عدم الحصول على دراسة شاملة عن أهل الذمة بالغرب الإسلامي في هذه الفترة خاصة في المجال الاجتماعي والاقتصادي.
- معرفة خصائص أهل الذمة اجتماعيا واقتصاديا داخل هذه الدولة.
- إبراز التفاعل والتأثير الاجتماعي والاقتصادي لأهل الذمة على المجتمع طيلة فترة الدولة الموحدية.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في:

- إبراز الغموض الذي نسب إلى الحياة العامة لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية، مع محاولة الجمع بين بعض الدراسات التي أشارت إلى تاريخ هذه الفئة من أهل الذمة، وذلك بوصفها بأنها تعرضت للاضطهاد والظلم والطرد، وبذلك يفهم أن هذه الدولة حكمت بقسوة وشدة متعصبة للعنصر الإسلامي متناسية العناصر الأخرى من أهل الذمة، ومن هنا يوصف الإسلام على أنه دين تعصب ودين حرب على غير المسلمين والتشدد عليهم بكل الطرق والوسائل.

أما فيما يخص المنهج المتبع فقد تم الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي لسرد الوقائع والأحداث وترجمة الشخصيات، وتخلل هذا المنهج الوصفي المنهج التحليلي لتحليل بعض النصوص واستخلاص النتائج منها، كما استعمل أيضا المنهج الاستقرائي المقارن وذلك لندرة النصوص الصريحة الخاصة ببلاد الغرب الإسلامي، وتشابه الظواهر الاجتماعية والاقتصادية لأهل الذمة في ذات الدولة وغيرها من الدويلات في هذه البلاد، وهذا كله بالرجوع إلى المصادر واستنطاقها، وإلى بعض الدراسات المهمة والأساسية في هذا المجال.

وبما أن البحث العلمي لا يخلوا من صعوبات فإن **ما واجهني من صعوبات تمثل فيما يلي:**

- قلة المصادر العلمية التي تعالج قضايا أهل الذمة خاصة في العهد الموحدي وإن وجدت فهي قليلة، تحتاج إلى التنقيب عنها واستنطاقها ليتم تقديمها في صورة متكاملة.
- صعوبة استنباط واستخراج المعلومات من كتب النوازل الفقهية بسبب جهل هوية صاحبها كما أنها أوردت العديد من النوازل التي تخدم الموضوع، لكن دون معرفة صاحب النازلة ومكان وقوعها وزمن وقوعها، ولذلك لم نستفد كثيرا منها.
- كذلك اختيار موضوع الدراسة في الجانبين الاجتماعي والاقتصادي فقط جعل هناك صعوبة كبيرة في اختيار الخطة المناسبة.
- أيضا اختلال التوازن بين اليهود والنصارى ودورهما في الدولة الموحدية، خاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، فتارة نجد النصارى لهم دور في فترة معينة واليهود عكس ذلك، وهذا مع ضآلة المادة العلمية، وهذا ما أدى إلى صعوبة التنسيق بين خطوات البحث.

أما بالنسبة **للدراسات السابقة** التي تناولت هذا الموضوع فهي قليلة خاصة في هذه الفترة المدروسة، فهناك بعض الباحثين والمؤلفين تطرقوا للحياة الاجتماعية والاقتصادية للدولة الموحدية عامة، ولم يتكلموا باستفاضة عن أهل الذمة،ربما كان الهدف من دراستهم للدولة الموحدية بشكل عام من كل جوانبها بما فيها شرائح المجتمع من غير تخصيص فئة معينة.

ومن القليل من الدراسات التي تطرقت لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية، لكن ليس على سبيل التفصيل والتعمق والتدقيق، بل التطرق إليها بشكل عام وفي نقاط معينة فقط، ولذلك هناك بعض الدرسات درست مثلا أهل الذمة في المغربين الأدنى والأوسط، وهناك من درسهم في المغرب الأوسط فقط، وهناك من درسهم في المغرب الإسلامي، ومن هذه الدراسات:

مسعود كواتي:

مذكرة ماجستير: "اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين" إذ اهتم الكاتب بحياة عامة لليهود فقط بالمغرب الإسلامي.

الحسن لغرايب:

كتابه: "مسيحيوا المغرب الأقصى في العصر الوسيط" من خلال هذا الكتاب تم دراسة وضع النصارى ببلاد المغرب من الفتح إلى عهد الموحدين، تناول الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للمسيحيين لكن في بلاد المغرب الأقصى فقط مما .

ـ شرقي نوارة:

أطروحة الدكتوراه "الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي على عهد الموحدين" وتطرقت فيه إلى فئة أهل الذمة بشكل عام.

ـ يوسف عابد:

"الموحدون في بلاد المغرب دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية" تناول أهل الذمة في عهد الموحدين بشكل عام من غير أن يفصل كثيرا.

ـ سميرة نميش:

أطروحة الدكتوراه جامعة تلمسان" أهل الذمة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى (6-10هـ/12-16م)، تناولت هذه الأطروحة أهل الذمة في القرون 6هـ،7هـ، 8هـ، 9هـ،10هـ، من بداية الدولة الموحدية إلى سقوط الدويلات التي تعاقبت عنها، وتناولت صاحبة الأطروحة اليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى، ومدى مساهمة المغاربة في تعزيز مكانة هؤلاء ببلاد المغرب الإسلامي.

أما من حيث المصادر: لهذا البحث فنجد منها ما كتب في عهد الدولة الموحدية، ومنها ما كتب خارج هذا العهد، ولقد كانت متنوعة بين كتب التاريخ والأدب والكتب الجغرافية والفقهية وكتب النوازل والحسبة والطبقات والسير والتراجم وكتب الأمثال وقد رتبت عل النحو التالي:

- **الكتب التاريخية:**

1. كتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدعوة الموحدية" للبيدق(555هـ/1160م) الذي عاصر الفترة الموحدية وصاحب ابن تومرت منذ بداية حركته وشارك في الأحداث التي خاضها فالبيدق كتابه يعطينا إشارات قليلة حول هذا الموضوع مركزا على فئات مجتمع الموحدين، وأعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما في الجانب الاقتصادي فقد أشار إشارات قليلة كذلك حول الغنائم التي تحصل عليها الموحدين إثر معاركهم والتي شكلت لهم مصدرا من مصادر الدخل المالي لبيت المال الموحدي، كما تم الاستفادة منه في بداية لدعوة الموحدية.
2. "المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين" لمؤلفه عبد الملك بن مُحَمَّد بن صاحب الصلاة المتوفى(594هـ/1198م)، فقد استفيد منه فيما يخص الجانب الاقتصادي الذي نجده يتطرق فيه إلى نفقات الدولة ومواردها وغنائمها، وكذا المحاصيل الزراعية التي كانت تعتمدها البلاد، وتوفر الغلات أثناء الحملات العسكرية التي كان يخوضها الموحدون ضد النصارى في الأندلس، كما استفيد منه في الجانب الاجتماعي خاصة جانب الاحتفالات التي كان يقيمها الخلفاء، وهذه الإفادة كانت في الجزء الذي يؤرخ فيه للأحداث التاريخية التي وقعت في بلاد الغرب الإسلامي مابين (544-568هـ/1149-1172م).
3. "نظم الجمان بترتيب من سلف من أخبار الزمان": لابن القطان حيث كان حيا سنة(650هـ/1252م)، واستفيد منه فيما يخص الجانب الاجتماعي وخاصة عندما يربط ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

4. "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين" لابن عذارى المراكشي، كان حيا سنة(712هـ/1312م)، وبعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي استفيد منها خاصة فيما يتعلق باليهود في الدولة الموحدية.

5. "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي، كان حيا سنة(621هـ/1224م) ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر في العصر الموحدي المعاصرة صاحبه الدولة الموحدية وبعض أحداثها، فعرض تاريخ وحضارة الموحدين في المغرب والأندلس معا وتم الاستفادة منه في معظم الفصول.

6. "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب(ت776هـ/1375م) وتمت الاستفادة منه فيما يخص وضعية النصارى في الدولة الموحدية.

7. " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ البربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمن ابن خلدون(ت808هـ/1405م)، فقد تكلم في المقدمة عن نظم الدول عموما ونظم الدولة الموحدية خصوصا، كما تكلم عن السكة والدرهم الموحدي، وتكلم عن الجانب الاقتصادي والاجتماعي، وتكلم حول النصارى وتواجدهم ببلاد المغرب.

8. "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت630هـ/1233م)، والذي أشار في كتابه عن الدولة الموحدية إلى الحياة الاقتصادية والاجتماعية للدولة.

- **الكتب الأدبية:**

1. "المغرب في حلي المغرب" لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي(ت685هـ/1286م)، واستفيد منه في الجانب الاجتماعي والاقتصادي من خلال تراجمه لأنه كان شاهد عيان على كثير من الأحداث والمظاهر الاجتماعية.

- **الكتب التراجمية والسيرية:**

1. "التكملة لكتاب الصلة": لأبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي بكر القضاعي البلسني(ت659هـ/1261م)، استفيد منه فيما يخص المهن والحرف التي كانت تحترف في هذه الدولة.

2. "الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة" لأبي عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الملك المراكشي(ت703هـ/1303م)، وتكمن أهمية هذا الكتاب في الاستفادة منه في جانب الحياة الاجتماعية خاصة في الأندلس خلال العهد الموحدي.

- **الكتب الجغرافية والرحلاتية:**

1. الروض المعطار في خبر الأقطار" للحميري(ت726هـ/1327م)، واستفيد منه في وصف ومعرفة بعض المناطق وأخبارها إلى جانب التعرف على مختلف أنواع السلع والمنتوجات وضبط المستوى المعيشي على عهد الدولة الموحدية.

2. "الاستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلف مجهول، ومن خلاله تم التعرف على بعض المناطق التي تواجد فيها النصارى خلال العهد الموحدي.

- **الكتب النوازلية:**

1- "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ/1509م)، واستفيد منه فيما يخص الجانب الاقتصادي والاجتماعي من خلال الدلالات التاريخية التي لها واقع على المجتمع الموحدي خاصة ما تعلق بالزواج والطلاق، لأن هاته النوازل في أغلبها مبهمة وفي بعض الأحيان لا يذكر فيها صاحبها السبب التي وردت عليه الفتوى، ولا مكان وقوعها، ومن ثم فوظفت بعض النوازل الفقهية التي تبدوا أنها صالحة في هذه الفترة على واقع المجتمع، والتي لم تخرج عن إطار العرف الذي جرت عليه الحواضر الإسلامية.

كانت هذه بعض المصادر التي اعتمد عليها في هذه الدراسة، إضافة إلى العديد من المراجع التي أشارت إلى جوانب من هذا الموضوع منها:

– كتاب الموحدون وأزمات المجتمع" لمحمد المغراوي، من أهم الكتب التي ساعدت في الحديث عن الوجود الموحدي في الأندلس والإشارة إلى أهل الذمة في الدولة الموحدية.

– "كتاب النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري" لعز لدين أحمد موسى، واستفيد منه فيما يخص التركيبة البشرية لعناصر المجتمع في العصر الموحدي، إضافة إلى دوره في دراسة الجانب الاقتصادي للمجتمع.

– " تاريخ حضارة المغرب والأندلس على عهد لمرابطين والموحدين " لحسن علي حسن، واستفيد منه فيما يخص اليهود في الدولة الموحدية والنصارى في الدولة الموحدية.

– "الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر الموحدين)" لجمال طه، الذي قدم معلومات حول اليهود في الدولة لموحدية.

– "علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس"، لهشام أبي رميلة، قدم معلومات هامة حول وضعية النصارى في الدولة الموحدية.

– "تاريخ الغرب الإسلامي" لإبراهيم القادري بوتشيش، استفيد منه فيما يتعلق بالجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامي خلال العصر الموحدي صفحة مبكرة من صفحات التعايش والتسامح بين الإسلام والمسيحية.

- **المراجع الأجنبية:**

– "يهود الأندلس" للمستشرق اليهودي حاييم الزعفراني، وأفاد فيما يخص أهم النشاطات التي امتهنها اليهود.

– "تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين" للمستشرق الألماني يوسف أشباخ الذي أفادني في تقديم معلومات حول اليهود في الدولة الموحدية.

واستنادا على ما تم جمعه من مادة تاريخية منتقاة من مختلف المصادر والمراجع والدراسات التاريخية، وبعد الاطلاع عليها وتحليلها وتوظيفها، وللإجابة على التساؤلات المطروحة تم تقسيم الموضوع إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة استنتاجيه .

المقدمة:

توضح الإشكالية الأساسية للموضوع وما يندرج تحتها من تساؤلات ثانوية، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المتبع والدراسات السابقة للموضوع، وتحليل لأهم المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها خلال هذه الدراسة.

والفصل التمهيدي:

الذي يعتبر توضيحا مفاهميا للدراسة، فكان عن دراسة **أهل الذمة في ضوء الشريعة الإسلامية**، وذلك بالإشارة إلى مفهوم أهل الذمة، وأصناف أهل الذمة، وواجبات وحقوق أهل الذمة، وشروط عقد الذمة.

أما الفصل الأول:

فتم عنونته **بتواجد أهل الذمة في بلاد المغرب**، وتطرقت فيه إلى العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي ساهمت في تواجد أهل الذمة في بلاد المغرب، والاستقرار الذمي في العهود الأولى في هذه البلاد، وكذا الاستقرار الديني في بلاد الغرب الإسلامي في ظل الحكم الإسلامي.

والفصل الثاني:

فجاء بعنوان **الحياة الاجتماعية لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية**، وتناولت فيه التركيب الاجتماعي لأهل الذمة، وعاداتهم وتقاليدهم، والحياة الأسرية لهؤلاء، ومظاهر التأثر والتأثير بين المسلمين وأهل الذمة على عهد هذه الدولة.

ثم الفصل الثالث:

فكان بعنوان الحياة **الاقتصادية لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية**، وتطرقت فيه إلى دور أهل الذمة في الفلاحة والزراعة، والصناعة والتجارة و كذا الموارد المالية للدولة الموحدية، ونفقات الدولة لهؤلاء.

وتم ختم هذه الأطروحة وهذا الموضوع بما تم التوصل إليه من استنتاجات وإجابات على التساؤلات التي طرحت، وكذا بالتوصيات، كما تم جمع بعض النصوص المهمة والخرائط والأشكال والصور والرسائل في ملاحق، وجعل فهارس للآيات و الأحاديث والأعلام والشعوب والبلدان والأمثال، وهذا ما سيأتي بيانه فيما يلي من فصول وما يندرج تحتها من عناوين فرعية.

الفصل التمهيدي.

أهل الذمة في ضوء الشريعة الإسلامية.

- مفهوم أهل الذمة.
- موقف الدولة الإسلامية من أهل الذمة.
- شروط عقد الذمة مع أهل الذمة.
- نقض عقد الذمة.
- حقوق وواجبات أهل الذمة.

تتناول هذه الأطروحة أهل الذمة في عهد الدولة الموحدية دراسة اجتماعية واقتصادية، وهذا من أجل معرفة هذه الفئة وأحوالها داخل مجتمع الغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي، ولهذا قبل الدخول في الموضوع والخوض فيه لا بأس بالكلام حول تحديد الإطار المفاهيمي لكل من أهل الذمة وأحكامهم الفقهية في ضوء الشريعة الإسلامية، وذلك بتعريف أهل الذمة لغة واصطلاحا، مع ذكر أصنافهم وحقوقهم وواجباتهم إلى غير ذلك.

أولا: مفهوم أهل الذمة

– لغة:

1– الأهل:

في اللغة هم القرابة والعشيرة[1]، ولذلك تقول أهل المذهب من يَدِينُ به، وأهل الأمر ولاته.

2– الذّمة:

بالكسر لفظ يطلق على عدة معاني منها: العهد، الميثاق، ولذلك تقول عليَّ عهد الله وميثاقه، ونقض العهد والميثاق موجب للذّم،[2] لقوله تعالى: " ٱلذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلاَ يَنقُضُو ن ٱلْمِيثَـقَ ﴿٢٢﴾"[3]، وقوله أيضا: "وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ "[4].

[1]– ابن منظور جمال الدين (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(3)، 1993م، ج(1)، ص253.

[2]– المصدر نفسه، ص265. حسن الميمي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، تقديم: الشاذلي القبلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص15 .

[3]– سورة الرعد، الآية 20.

[4]–سورة الإسراء، الآية 34.

وتقول كذلك: أخذت عليه عهد الله وميثاقه[1]، لقوله عز وجل:"كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ "[2].

وتطلق كذلك الذّمة على الكفالة[3]، و على الأمان والضمان[4]، كما قال الله تعالى في قرآنه الحكيم:" كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ "[5]، أي لا يراعون لا حلفا ولا ذمّة[6]، و لأن الذمّي أعطي الأمان على الجزية التي تؤخذ منه[7]، ولهذا جاء في الحديث النبوي الذي رواه البخاري أن النبي ﷺ قال:"يسعى بذمتهم أدناهم "[8]، أي: يسعى بأمانهم، وقيل أيضا أن الذمة هي الحق والحرمة[9]، وفلان وفلان له ذمة عليك بمعنى له حق عليك، قال الزّبيدي:" الذّمام كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمّة"[10]، ويقول الله عز وجل:"لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾"[11].

---

[1]–حسن الميمي، المرجع السابق، ص17.

[2]– سورة التوبة، الآية 7.

[3]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط03 ، مؤسسة الرسالة ، (د.م.ط)، 2005م/1426هـ، ص ص110-111.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت.ط)، ص 66 .

[5]– سورة التوبة، الآية 08.

[6]– القرطبي (ت671هـ/1272م)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.ط)، ج5، ص79.

[7]– ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص267.

[8]– ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، الباب10، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.ط)، ص40. أحمد بن حنبل، المسند، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1419هـ/1998م، ص253.

[9]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، ج3، ص115.

[10]– الزبيدي، تاج العروس وجواهر القاموس، دار ليبيا للنشر، بنغازي، (د.ت.ط)، ج8، ص 301.

[11]– سورة التوبة، الآية 10.

و على هذا فتجمع الذّمة على ذمام[1]، ومنها قول الأخطل[2]:

لا تنشدونا من أخيكم ذمامةً ... ويسلم أصداءُ العويرِ كفيلها[3].

ومن هنا تبين أن من معاني الذّمة في اللغة:

- ❖ العهد والكفالة
- ❖ الأمان والضمان
- ❖ الحق والحرمة

– مفهوم أهل الذمة إصطلاحا:

هم الذين أطلق عليهم اسم أهل الكتاب[4]، قال تعالى:" وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ ءَاهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ "[5]، ويقصد بهم كذلك الذين لهم كتاب محقق متمثل في التوراة والإنجيل[6].

ويراد بأهل الذمة أو أهل الكتاب: اليهود و النصارى دون غيرهم من عبدة الأوثان ، واعترافهم بالكتب المنزلة عليهم (التوراة و الإنجيل) جعل لهم مكانة مرموقة [7]، لقوله تعالى :" مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ ءَاهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ

[1]– أبو الفتح ناصر المطريزي (ت610هـ)، المغرب في ترتيب المعرب، تح: مُحَمَّد فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1999، ص103.

[2]– هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت، من كبار شعراء العصر الأموي ت(92هـ)، ينظر: الجمحي، طبقة فحول الشعراء، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت.ط)، ج1، ص 298.

[3]– الأخطل، الديوان، تح: فخر الدين قباوة، دار الأصمعي، حلب، (د.ت.ط)، ج2، ص627.

[4]– عبد الكريم مُحَمَّد زيدا، أحكام الذميين و المستأمنين في دار الإسلام ، مكتبة القدس، بغداد، 1982، ص 23 .

[5]– سورة آل عمران، الآية 72.

[6]– الشهرستاني، الملل والنحل، تص وتع: أحمد فهمي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط02، 1992م، ج02، ص 228.

[7]– ماجد بن صالح المضيان، دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية، تق: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الهدي النبوي، مصر، 2007م، ص27.

بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ "[1]، وبهذا فإن أهل الذمة هم الذين ينتمون إلى غير دين الإسلام ويعيشون في المجتمع الإسلامي مع حفاظهم على ممارسة دينهم، وعرفوا بذلك لأنهم يدفعون الجزية تأمينا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم[2].

الذّمّي: عرفه الإمام الغزالي بقوله: " كل كتابي ونحوه عاقل بالغ حر ذكر متأهب للقتال قادر على أداء الجزية"[3].

عقد الذمة: يقول البهوتي الحنبلي[4] أن عقد الذمة هو:"إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة"[5]، والذمة في جوهرها هي عقد مع الغير إذا هو قَبِل ورضي ورغب فيه واتبع لازما، فوجب عليه أداء الحقوق وترك المحرمات، وفقا لأحكام الإسلام[6].

وعقد الذمة يجوز مع أهل الكتاب وغيرهم عربا كانوا أم عجما، فهي لا تؤخذ على النسب وإنما على الدين فوجبت على كل هؤلاء ولم توجب على المشركين[7]، إذ أن دعوة الخارجين عن الدين والمشركين كانت بحد السيف لقوله تعالى:" فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

---

[1]- سورة البقرة، الآية 105.

[2]- ينظر: النبهاني، الشخصية الإسلامية، دار الأمية، بيروت، ط5، 2003م، ج2، ص ص223،227 .حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، المؤسسة الإسلامية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص 335.

[3]- أبو حامد الغزالي(ت505هـ/1111م)، الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، 1900م، ج2، ص198.

[4]- أبو السعادات منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن أحمد بن علي بن إدريس المصري البهوتي الحنبلي شيخ الحنابلة في عصره، ولد 1000هـ، توفي 1097هـ.ينظر: ابن قائد، هداية الراغب لشرح عمدة الطالب لنيل المآرب، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007م، ج1، ص ص 7، 10.

[5]- البهوتي، كشف القناع عن متن الإقناع، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1982م، ج3، ص 116-117.

[6]- علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح: علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ج9، ص112.

[7]- الماوردي أبي الحسن علي بن مُحَمَّد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: سمير مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001، ص183.

وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ "[1].

الجزية: هي مال يضربه الإمام على كافر ذكر حر قادر مخالط يصح سباؤه لم يعتقه مسلم لاستقراره آمنا بغير الحجاز واليمن[2].

ثانيا: فئات أهل الذمة:

أهل الذّمة فئات متعددة إلى جانب أهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن اتخذ كتابا سماويا ينتمون إليه، وعلى هذا فيدخل ضمن أهل الذمة كل من له شبهة بالكتب السماوية مثل المجوس [3]، والصابئة[4]، قال تعالى :" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧"[5].

ولقد عاشت هذه الفئات في المجتمع الإسلامي ضمن ضوابط وعهود تضمن وترعى حقوقهم ومصالحهم وومماراساتهم الشعائرية، وهذا كله مقابل الجزية التي يدفعونها للدولة الإسلامية، وعلى هذا ففئات أهل الذمة هم كالتالي:

---

[1]- سورة التوبة، الآية 05.

[2]- أبو البركات أحمد بن محمّد الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك، دار المعارف، مصر، ط1، 1972م، ج2، ص309.

[3]- يقصد بالمجوس عبدة النيران، وهم من أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس، وقد نبغوا في علم النجوم، وقيل المجوس لتدينهم باستعمال النجاسات. ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق ، ج 02، ص257.

[4]- هم شعب أرامي قديم ولغتهم الآرامية، وقد تواجدوا جنبا إلى جنب مع السومريين، والصابئ هو كل من انتقل من دين لآخر، ينظر: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط01، 2007، ص161.الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 258.

[5]- سورة الحج، الآية 17.

1/ اليهود:

اليهود هم أتباع سيدنا موسى عليه السلام الذين يرجعون في محاكماتهم إلى التوراة[1] في زمانهم، ولقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن اليهود بمعنى:هود: الهود، التوبة، هاد، يهود، هودا وتهود أي تاب ورجع إلى الحق فهو هائد[2].

وذكر الشهرستاني بأن تسمية اليهود جاءت من كلمة هاد أي تاب ورجع[3]، وهي من الهوادة، الهودة والتهود، وهي كقول سيدنا موسى عليه السلام : "إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۖ "[4]، أي تبنا ورجعنا عن عبادة العجل.

وللفظة اليهود تسميات عديدة سميت بها عبر العصور، فقد عرفت بعدة تسميات مرادفة وهي:

أ. **إسرائيل**[5]: نسبة إلى إسرائيل لقوله تعالى " يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ "[6].

ب. **العبريون**: بسبب هجرتهم من كلدان إلى كنعان حيث عبروا النهر فسموا بالعبريين[7].

ج. **اليهودية**: وذلك لنسبهم الذي يعود إلى "يهود" أكبر أولاد يعقوب عليه السلام[8].

---

[1]- التوراة: أول كتاب نزل من السماء على سيدنا موسى عليه السلام، فكل ما أنزل قبله كان صحفا، ويتكون من5 أسفار: سفر التكوين أو الخلق، سفر الخروج، سفر الأحبار، سفر العدد، سفر التثنية. الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص211.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص439.

[3]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص247.

[4]- سورة الأعراف، الآية 156.

[5]- تتكون الكلمة من شطرين: إسر، بمعنى عبد، وئيل بمعنى الله. أي عبد الله، ينظر: محمود شاكر، الموسوعة الدينية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، (د.ت.ط)، ص10.

[6]- سورة البقرة، الآية 122.

[7]- جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الهلال، القاهرة، 1996م، ص ص54-55.

[8]- محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1997م، ص37.

وقيل هي كل من يعتقد الديانة اليهودية ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشعائرها[1].

وانقسم اليهود إلى طوائف وفرق منهم:

- **الربانيين:** وهم الذين يأخذون بالتلموذ.
- **القرائين:** الذين يأخذون بالتوراة دون التلموذ.
- **–العنانيين:** نسبة إلى عنان بن داود رأس جالوت يخالفون غيرهم في السبت والأعياد ويصدّقون سيدنا عيسى عليه السلام في مواعظه وقالوا أنه لم يخالف التوراة.[2]

د. السامرة:

هم قوم سكنوا جبال بيت المقدس تقشفوا في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود، وأثبتوا نبوة سيدنا موسى وسيدنا هارون وسيدنا يوشع عليهم السلام وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء إلا نبيًا واحدا[3]، وقالوا:" التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا يخالفها البتة"[4] وهم من قبيلة من قبائل بني إسرائيل، تفرقوا في البلاد بعد وفاة سليمان بن داود عليهم السلام سنة 795 ق.م، وهم فئة من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وإليهم ينسب " السامري " الذي عبد العجل والذي سمع له خوّار[5]، وقد زعم هؤلاء بأن التوراة التي عند اليهود ليست التوراة التي أوردها سيدنا موسى عليه السلام، وأن التوراة الصحيحة هي التي بين

[1]– مُحَمَّد خليفة حسن، المرجع السابق، ص29.

[2]– ينظر: مُحَمَّد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1970م، ص19. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1999م، ص ص205-206.

[3]– طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي من(132هـ-447هـ/749-1055م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008/2007م، ص9.

[4]– الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص219.

[5]– ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص280.

أيديهم[1]، كما أنهم يعتقدون بأن مدينة القدس هي نابلس[2]، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه[3] وقبلتهم جبل يقال له جرزيم[4]، وهي بدورها انقسمت إلى مجموعة من الفرق وهم : فئة سكنت المغرب الإسلامي بصفة عامة، والمغربين الأدنى والأقصى بصفة خاصة، ظلت محافظة على تدينها رغم اندماجها واحتكاكها بالمسلمين.[5]

2/ النصارى:

تنسب كلمة النصارى إلى النصرة[6]، أما كلمة النصرانية فهي مشتقة من الناصرة، وهي مدينة في فلسطين عاش فيها عيسى عليه السلام[7]، وضمت أتباعه الذين ناصروه وذلك ما جاء في حق عيسى عليه السلام في قوله تعالى: " فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ "[8].

---

[1]- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (د.ت.ط)، ج1، ص219.

[2]- نابلس: مدينة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة كثيرة المياه بينها وبين بيت المقدس 10 فراسخ. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1988م، ج5، ص288.

[3]- الأصطخري، المسالك والممالك، تح: مُحَمَّد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، 1961م، ص44.

[4]- جزريم: بيت لعباد السامرة من اليهود بنابلس، يزعمون أن سيدنا إسحاق عليه السلام ذبح فيه. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص288.

[5]- شمس الدين مُحَمَّد بن الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معان ألفاظ المنهاج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1997، ج4، ص324.

[6]- الكيلاني، مسائل الأحوال الشخصية بين الديانات الثلاث: اليهودية-المسيحية-الإسلام، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م، ص98.

[7]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص ص291 - 292.

[8]- سورة آل عمران، الآية 51.

- **النصرانية:** هي الرسالة المكملة لرسالة موسى عليه السلام، أنزلت على عيسى عليه السلام لتتميم ما جاء في التوراة من تعاليم موجهة للنبي إسرائيل، كانت تدعوا إلى التوحيد والفضيلة والتسامح.[1]

وفي العصور المتأخرة أطلق عليها المسيحية نسبة إلى المسيح عيسى عليه السلام، فالمسيحية هي النصرانية[2].

ولقد افترقت النصارى إلى اثنين وسبعين (72) فرقة أبرزهم ثلاثة فرق[3] وهم:

- **اليعقوبية**[4]: وهي التي ترى أن المسيح هو الرب وأن الرب والإنسان اتحدا في طبيعة واحدة هي هي المسيح -إن روح البارئ اختلطت ببدن عيسى عليه السلام اختلاط الماء باللبن-[5]، وأكثر اليعقوبيين في مصر والنوبة[6]، والحبشة والأرمن[7].

[1]- شريف عبد القادر، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين (515هـ-1121م/668هـ-1269م)، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012/2011م، ص11.

[2]- ناصر القفاري، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1413هـ/ 1993م، ص18.

[3]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص 221.

[4]- نسبة إلى يعقوب البردعي، وهو راهب لقب بالزلزال لأنه زلزل الميزان الكاثوليكي، فهو يعتقد بأن جسد المسيح غير قابل للآلام، وما واجهه من الآلام كان خياليا لا حقيقة له، عكس نسطور الذي يعتقد بأنه تألم وصلب ومات وقبر. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج1، ص338.

[5]- فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تح: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب، بيروت، 1986م، ص115.

[6]- بلاد واسعة وعريضة جنوبي مصر، وأهلها نصارى أهل شدة في العيش. ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص353.

[7]- نسبة إلى أرمينية التي افتتحت في زمن سيدنا عثمان ﷺ سنة 24هـ " أذربيجان". ينظر: اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، 208.

❖ **الملكانية**[1]:

قالوا بأن الرب عبارة عن ثلاثة أشياء: أب، ابن، روح القدس، كلها تقول بأن سيدنا عيسى عليه السلام إله تام وإنسان تام وليس أحدهما غير الآخر[2]، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان معا شيئا واحدا[3]، وقد ذكرهم الإله في كتابه قائلا : " لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ "[4]، وهذا مذهب جل نصارى إفريقيا وجمهور الشام وبلاد الروم.[5]

❖ **النسطورية**: فقد كانت مخالفة تماما للفرقة الملكانية إذ قالوا بأن قتل المسيح وقع من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته[6]، كما يرون بأن المسيح إنسان يحمل إلها بحيث مزج بين الإله والبشر بحيث حمل طبيعة بشرية وطبيعة إلهية.[7]

وقد عاش النصارى إلى جانب المسلمين عبر التاريخ وظلوا يتمتعون بسياسة الجوار التي ضمنت لهم حقوقهم الكاملة، مما كان له أثر كبير في الانفتاح على الثقافة والتقاليد العربية.[8]

---

[1]- الملكانية: أصحاب ملكا الذي ظهر في الروم واستولى عليها، وقيل نسبة إلى ملك الروم.ينظر: فخر الدين الرازي،المصدر السابق، ص199.

[2]- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص 111.

[3]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص222.

[4]- سورة المائدة، الآية 73.

[5]- البيروني أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد الخوارزمي، الآثار عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992م، ص288.

[6]- أبو الفداء عماد الدين، المختصر في أخبار البشر، تع:محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص143.

[7]- البيروني، المصدر السابق، ص288.

[8]- وهبة الزحيلي، آثار العرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط3، 1981م، ص714.

3/ الصابئة:

الصابئون قيل أنهم فرقة وثنية يعبدون الكواكب في الباطن وينتسبون إلى النصرانية في الظاهر[1]، و يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، وقبلتهم نحو مهب الجنوب، وكان يقال أن الرجل إذا أسلم في زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قد صبأ.[2]

ويقال صبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة ، ويقال صبأ الرجل إذا عشق وهوى[3]، وقد ذكرهم الله في القرآن الكريم فقال: "إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَالذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَـٰرَىٰ وَالصَّـٰبِينَ مَنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ "[4].

ويقال عنهم بأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولا مجوسا وهم نوعان صابئة مشركون[5]، وصابئة حنفاء[6]، فالحنفاء منهم هم قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام، يعظمون مكة ويحرّمون الميتة ولحم الخنزير، الخنزير، ويحبون الطهارة ويشهدون أن لا إله إلا الله، وليس لهم كتاب ولا نبي[7].

أما المشركون فهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الإثني عشر ويتخذون لها أصناما وهياكل على غرار كنائس النصارى وبيع اليهود، ويقدمون لها القرابين، ولهم صلوات خمس في اليوم والليلة، ولذلك صنفوا في خانة الوثنيين[8].

---

[1]- الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2014م، ج1، ص332.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص107.

[3]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص5.

[4]- سورة البقرة، الآية 62.

[5]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص7.

[6]- ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تح: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، دار ابن حزم، بيروت، 1997م، ج1، ص242.

[7]- المصدر نفسه، ص 242.

[8]- الشهرستاني، المصدرالسابق، ج2، ص 7.

4/ المجوس:

المجوس كلمة فارسية تطلق على أمة من الناس عبدوا النار، ويقال تمجّس الرجل إذا صار مجوسيا[1]، ومجوس رجل صغير الأذنين وضع دينا ودعا إليه ومجّسه تمجيسا أي صيّره مجوسيا[2].

والمجوسية نسبة إلى قبيلة المجوس من سكان بلاد فارس، وهي من أوائل من آمن بدعوة " زرادشت "[3]، وتسمى الدين الأكبر والملة العظمى[4].

ولقد قال بعض المجوس بأن هناك أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد، ويسمون أحدهما النور والآخر الظلمة وبالفارسية يزدان وأهرمن[5]، إلا أن المجوس الأصليين زعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونوا قديمين أزليين، بل النور و الظلمة محدثة ثم اختلف في سبب حدوثهما، وهؤلاء المجوس ينقسمون إلى فرق كثيرة[6]، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يأخذ عنهم الجزية إلا بعد أن شهد سيدنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ بأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم أخذ الجزية من مجوس هجر[7]، وقال : "سنوا بهم سنة أهل الكتاب "[8].

---

[1]- الفيومي، المرجع السابق، ص 574.

[2]- الفيروز أبادي، المصدر السابق، ج2، ص250.

[3]- زرادشت: ابن أسبيمان من ملوك الفرس، أبوه من أذربيجان وهو نبي المجوس، كتابه يعرف بالأفستا، ظهر عند الفرس حوالي 300 سنة قبل ظهور الاسكندر، توفي سنة 600 ق.م. ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج1، ص235.

[4]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص232.

[5]- المصدر نفسه، ص 232.

[6]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص50.

[7]- هجر: قصبة بلاد البحرين، الأحساء حاليا. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص453.

[8]- البخاري، المصدر السابق، الباب الأول، ص395.

وهؤلاء المجوس اعترف بهم بأنهم ضمن فئة أهل الذمة بداية من القرن الرابع الهجري إلى جانب اليهود والنصارى، وقد كان لهم رئيس يمثلهم في قصر الخلافة[1]، وهم أكثر ملل أهل الكتاب في بلاد فارس و العراق[2].

مما سبق نجد أن أهل الذّمة هم المعاهدون من أهل الكتاب من النصارى واليهود والصابئة والسامرة والمجوس فهؤلاء هم الذين يجوز لهم عقد الذمة، أما غير هؤلاء من عبدة الأوثان وممن لا كتاب لهم فلا يجوز لهم عقد الذمة ولا يُقَرُّون على ما هم عليه، ولا يقبل منهم غير الإسلام.

ثانيا: موقف الدولة الإسلامية من أهل الذمة:

لقد كان للدولة الإسلامية موقفا هاما تجاه أهل الذمة، حيث يعتبر الدين الإسلامي دين تسامح ودين تعايش سلمي ودين للناس عامة، وفيما يلي سيعرض موجزًا حول نظرة فقهاء وعلماء السياسة الشرعية بخصوص أهل الذمة، وذلك من خلال عرض مجموعة من القواعد والأحكام الشرعية التي تتعلق بهم، وهذا من أجل إيضاح وبيان المكانة التي أولتها الشريعة الإسلامية لهؤلاء في المجتمع الإسلامي، إضافة إلى ما أعطتهم هاته الشريعة السمحة من حقوق وما أوجبت عليهم من واجبات تجاه المجتمع الإسلامي.

وقبل الكلام حول هاته القواعد والأحكام لابد من الإشارة إلى قضية هامة أغفلها العديد من المؤرخين والمفكرين والمحدثين، وهاته القضية هي الاختلاف والتباين الواضح بين ما نظّر فيه الفقهاء والعلماء المسلمون في هذه القواعد والأحكام من مُثل عليا وآمال كبرى وبين واقع أهل الذّمة في المجتمع الإسلامي من جهة أخرى، فحقيقة الأمر أن أحوال الذّميين والمعاهدين – بصورة إجمالية- لم تكن بدرجة هذا السوء الذي افترضته قواعد أحكام الفقهاء وإن وجدت حالات سيئة، وفي الوقت ذاته لم تكن أحوال المسلمين وأوضاعهم –بصورة إجمالية- بمثل هذه الأفضلية والمثالية التي افترضتها القواعد

[1]- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: مُحَمَّد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية، تونس، ط1، ج1، 1986م، ص73.

[2]- الاصطخري، المصدر السابق، ص68.

والأحكام ذاتها وإن تميز البعض منهم، من هنا فإن الكثير من هذه القواعد الشرعية تعبر عن أماني وطموح مؤليفيها للواقع العملي في المجتمع الإسلامي، وليست الصورة الحية لهذا الواقع[1].

شرّع عقد الذّمة في السنة الثامنة من الهجرة النبوية، وذلك حين نزلت آية الذّمة التي يقول فيها الله سبحانه وتعالى: " قَٰتِلُواْ ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَلاَ يُحَرّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقّ مِنَ ٱلذِينَ ءَاوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ "[2]، وكان ذلك بعد فتح مكة، والحكمة من مشروعية هذا العقد هو ترك منازعة غير المسلمين من أصحاب الكتب السماوية الأخرى وما يعتقدون، والتعامل معهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن ووعظهم بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة وهذا كله من أجل ترغيبهم في الإسلام والطمع في دخولهم فيه[3].

وأول من أعطى الجزية من أهل الكتاب هم أهل نجران وكانوا حينئذ نصارى، وبذلك هم أول من عقد لهم عهد الذّمة، وهذا ما ذكره أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتابه: "كتاب الأموال" حيث قال:" أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران وكانوا نصارى."[4].

وإذا أردنا أن نعرف كيف يتم عقد الذّمه فإنه لا يتم إلا من خلال إيجاب وقبول مابين الإمام أو من ينوب عن الإمام وبين أهل الذّمة، وهذا لا خلاف فيه كما ذكر ابن قدامة في كتابه:" المغني"

[1]- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، أهل الذّمة في الأندلس خلال الحكم الأموي "عصري الإمارة والخلافة" (138-421هـ/756-1030م)، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، 1420هـ/1999م، ص4.

[2]- سورة التوبة، الآية29.

[3]- ينظر: الكساني علاء الدين (ت 587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح: علي مُحَّد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج9، ص433.

[4]- ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، كتاب الأموال، تح: مُحَّد عمارة، دار الشروق، بيروت،1989م، ص100.الشوكاني محمحد بن علي بن مُحَّد (ت1255هـ)، نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، دار الفكر، بيروت، ج8، ص214.

حيث قال:" لا نعلم فيه خلافا "[1]، ولا تجيز الشريعة الإسلامية لأحد من المسلمين دون الإمام أن يعقد لأهل الذّمة، والسبب في ذلك أن هذا العقد هو عقد تأبيد ودوام ولا رجعة فيه حتى يخل بشرط من الشروط المتفق عليها أو دخول الذّمي في الإسلام، كما أن هذا العقد هو ملزم للأمة بالتزام إمامها به[2].

وعلى هذا فإذا أراد واحد من أهل الذّمة من اليهود أو النصارى أن يُعقد له عقد ذمة، وطلب ذلك من الإمام فعلى الإمام أن يجيبه إلى مطلبه لما فيه من خير وصلاح يرجى للذّمي[3].

ثالثا: شروط عقد الذّمة مع أهل الذّمة:

لقد وضع الله سبحانه وتعالى عقد الذمة مع أهل الذّمة من اليهود والنصارى وغيرهم وهذا من أجل تحقيق السلم والأمان داخل المجتمع الإسلامي، ويكون هذا العقد وفق أحكام وقواعد وشروط شرعية تحفظ لهم بذلك مالَهم وما عليهم وتمثلت هذه الشروط في :

1/ الالتزام بأحكام الملة الإسلامية في المعاملات المالية، وفي العقوبات والحدود الشرعية، حيث أن العقد لا يجيز لهم المعاملات المحظورة: كالربا والغش والتزوير، وتقام عليهم الحدود الشرعية إذا ما فعلوا ذلك، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه رجم يهوديين حتى الموت بعد أن زنيا وهما محصنان[4].

[1]- ابن قدامة، المغني، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح مُحَمَّد، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997م، ج10، ص 569.

[2]- المصدر نفسه، ص 571.

[3]- عبد الكريم زيدان، المرجع السابق، ص30.

[4]- البخاري: المصدر السابق، ج8، ص214.

2/ أن يتولى العقد الإمام أو نائبه[1]، أو ممثلي السلطة المركزية كالأمير والوالي وقادة الجيش لأنها من المهام التي تحتاج للنظر فيها والاجتهاد، ولن يكون هذا إلا من ولاة الأمور، ويشترط من الذّمي لفظ كلمة " قبلت " أو "رضيت" بذلك[2].

3/ أن يكون المسلمين بحاجة إليه وذلك بأن يكون في المسلمين ضعف لقلة عدد أو مال أو يطمع في إسلامهم لمخالطتهم المسلمين أو في قبولهم الجزية[3].

4/ أن يكون هذا العقد في حدود ما أباحته الشريعة الإسلامية سواء في محل العقد من سلع وبضائع أو انتقال حقوق وتبادل التزامات أو في الإجراءات الشكلية لإتمام العقد[4].

5/ أن يقتصر هذا العقد على المدة المشروعة[5].

يجوز للإمام أن يشترط في عقد الذّمة ضيافة من يمر بهم من المسلمين، وأن يبين في العقد عدد أيام الضيافة، وقدر الطعام، وعلف الدواب[6]، و ذلك لما جاء أن النبي ﷺ ضرب على أهل أيلة[7] من من النصارى أن يضيفوا من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام [8]، ولقد صالح سيدنا عمر ﷺ نصارى

[1]- أبو زكرياء النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1412هـ/1991م، ج6، ص1842.

[2]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص711.

[3]- النووي، المصدر السابق، ص ص1827،1842 .

[4]- عطية فياض، فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، دار النشر الجامعية، مصر، ط1، 1999م، ص35.

[5]- المرجع نفسه، ص36.

[6]- الماوردي، المصدر السابق، ص126.

[7]- أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم (البحرالأحمر)، مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة صغيرة عامرة وبها زرع يسير، وسميت بأيلة بنت مدين بن سيدنا إبراهيم عليه السلام. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص ص 292-293.

[8]- البلاذري (ت279هـ/806م)، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1983م، ج2، ص81.

الشام على ضيافة من يمر بهم ثلاثة أيام مما يأكلون ولا يكلفون ذبح شاة أو دجاجة، وتبيت دوابهم من غير شعير[1].

رابعا:نقض عقد الذّمة:

إن أهل الذّمة ملتزمون بتنفيذ شروط العقد والالتزام بما لهم وما عليهم، وأي مخالفة لأحدى الواجبات ينتج عنها نقض العقد ومن أهم الأمور والمسائل التي تنقض عقد الذّمة هي:

- ✓ الامتناع عن دفع الجزية، ومخالفة أحكام المسلمين، والاجتماع على قتال المسلمين[2].
- ✓ إن عقد الذّمة يلزم الذّميين أن يكونوا تحت الذّلة والقهر والمسلمين هم الغالبون فإذا ضرب ذمّي مسلم فإنه بذلك يرتكب مخالفة ويقع في نقض العهد[3].
- ✓ زنا الذّمي بمسلمة أو أصابها بنكاح، يقام عليه الحد ويقتل وذلك لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رجم يهوديين حتى الموت بعد أن زنيا وهما محصنان[4].

ومن النواقض أيضا فتن المسلم عن دينه أو قتله عمدا أو قذفه، أو طعن في الإسلام أو سب الله ورسوله ﷺ[5]، لقوله تعالى :"إِلاَّ ٱلذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ "[6]، وإذا قام الذّمي بشيء منع منه كإظهار الخمر وما أشبهه انتقض عهده و طبق عليه الحد"[7].

---

[1]- البلاذري، المصدر السابق، ج2، ص 82.

[2]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص367.

[3]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص133.

[4]- البخاري، المصدر السابق، ج8، ص214.

[5]- ينظر: ابن القيم، المصدر السابق، ج2، ص ص7،58. الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: مُحَّد حمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج1، ص346.

[6]- سورة التوبة، الآية 4.

[7]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص370.

من خلال التطرق إلى شروط العقد والعهد ونواقضه يظهر أن موجب عقد الذّمة هذا إذا توفرت فيه الشروط السالفة الذكر، ولم يكن فيه ناقض من نواقض العهد، فإنه يترتب عليه مجموعة من الحقوق اللازمة لأصحاب هذا العقد من أهل الذمة وفي المقابل تكون عليهم واجبات يتحتّم عليهم أداؤها، فما هي هاته الحقوق وما هي هاته الواجبات؟.

خامسا: حقوق وواجبات أهل الذّمة

1/ حقوق أهل الذّمة :

يقصد بحقوق أهل الذّمة في الدار الإسلامية أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا[1].

ويطلق الحق في اللغة على عدة معاني ترد كلها إلى الثبوت والوجوب[2]، ولقد ورد لفظ كلمة الحق في القرآن الكريم لقوله تعالى :" لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُومِنُونَ ۝٧ "[3].

ولقد شهدت الدولة الإسلامية في عهد سيدنا رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده، وفي عهد الدويلات الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي وجود العديد من الفئات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، وكان ضمن هذه الفئات أهل الذّمة من اليهود والنصارى، حيث كفلت وضمنت لهم الشريعة الإسلامية جميع حقوقهم وعاملتهم معاملة عادلة [4]، فكان من بين حقوقهم ما يلي:

[1]- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق ، ص38 .

[2]- المرجع نفسه، ص38 .

[3]- سورة يس، الآية 07.

[4]- علي حسن الخربوطلي، الإسلام و أهل الذمة، إشراف مُحَمَّد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م، ص65 .

1/ توفير الأمن والاستقرار لأهل الذمة:

توفير الأمن والاستقرار لأهل الذّمة يكون بحماية دمائهم وأنفسهم وأبدانهم وأموالهم وأعراضهم، فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما"[1].

وحماية أهل الذمة من الأخطار الداخلية والخارجية أي ضرورة الدفاع عنهم وفك أسرهم إن كان ذلك من عدو[2]، والموت لتحقيق ذلك يعد صونا لمن هو في ذمة الله ورسوله ﷺ[3]، وكما يجب حماية الأنفس والأبدان كذلك يجب حماية الأموال والممتلكات فمن تعرض لما يملكه الذّمي بغصب أو سرقة سواء كان ذلك مالا أو خمرا أو خنزيرا قطعت يده، وأعيد تلك الممتلكات للذّمي، ومن استدان من ذمي فعليه أن يقضي دينه، وهذا من رعاية الإسلام لحرمة أموالهم وممتلكاتهم[4]، ولقد كان سيدنا علي كرم الله وجهه يقول في أهل الذّمة:" إنما بذلوا الجزية لتكون دماءهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا"[5].

وعلى هذا فإن الإسلام حفظ عرض أهل الذّمة وكرامتهم كما حفظ عرض وكرامة المسلمين فلا يجوز لأحد أن يسبّ ذميّا أو يتهمه بالباطل أو يفتري عليه الكذب أو يغتابه أو يذكره بما يكره في نفسه أو نسبه أو في خلقه[6]، ولذلك حذّرنا سيدنا رسول الله ﷺ في قوله:

"من ظلم معاهدا أو انتقضه وكلفه فوق طاقته وأخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فإني حجيجه يوم القيامة"[7].

---

[1]- البخاري، المصدر السابق، الباب الخامس، ج2، ص398.

[2]- يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دار الشباب، الجزائر، (د.ت.ط)، ص10.

[3]- الشرحسي، شرح كتاب السير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص398.

[4]- ينظر: عطية فياض، المرجع السابق، ص ص38–39. ابن قدامة، المصدر السابق، ج10، ص498.

[5]- البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الجنايات، تح: مُحَمَّد عبد القادر عكا، دار الكتب العلمية، ج8، ص 34.

[6]- القرافي، كتاب الفروق، تح: مُحَمَّد سراج وعلي جمعة، الفرق التاسع عشر والمائة، دار السلام، القاهرة، ط1،2001م، ص702.

[7]- البيهقي، المصدر السابق، كتاب الجزية، ج9، ص205

2/ حرية العقيدة والتدين:

لقد سمح الإسلام لأهل الذّمة بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية حيث أمر الرسول ﷺ باحترام دينهم وبعدم إكراههم على غير الدّين الذي هم عليه[1]، امتثالا لقوله تعالى:" لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَنۡ يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ "[2].

وقد أخذ الرسول ﷺ على عاتقه حماية منح الحرية في إقامة شعائرهم الدينية[3] فحرية العقيدة حق مضمون لأهل الذّمة في الدولة الإسلامية، حيث حرص الإسلام على عدم التعرض للذّميين بسبب ديانتهم أو ممارستهم لشعائرهم الدينية و إجبارهم على تركها[4]، وذلك لقوله تعالى: " وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ "[5].

وعلى هذا فإن الشريعة الإسلامية أولَت لأهل الذّمة كل الحرية لإقامة شعائرهم الدينية والرجوع إلى رؤسائهم الدينيين في أحوالهم الشخصية[6]، وبذلك يتضح أن الإسلام صان لأهل الذّمة معابدهم وكنائسهم[7] خاصة في المناطق التي فتحت صلحا مثل عهد عمر ابن الخطاب لأهل إيلياء[8]، حيث

---

[1]- أبو علي المردود، حقوق أهل الذمة، كتاب المختار ، منشورات مجلة ترجمان القرآن، باكستان، 1942م، ص16 .

[2]- سورة البقرة، الآية 255.

[3]- علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص65 .

[4]- عبد الكريم محمد زيدان، المرجع السابق ، ص92 .

[5]- سورة يونس، الآية 99.

[6]- نور السادات سيليني، أحكام كنائس النصارى في بلاد المسلمين، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2012/2011م، ص33.

[7]- الونشريسي، المصدر السابق، ص226.

[8]- اسم مدينة المقدس إيلياء، وقد كانت في يد الروم ففتحه الله في زمن عمر ابن الخطاب ﷺ سنة 16هـ. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص348. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب، ط3، بيروت، (د.ت.ط)، ج2، ص ص ص38-39.

أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم و كنائسهم وصلبانهم ولا يكرهون على دينهم[1]، وكما كانوا زمن هارون الرشيد يخرجون عيد الفصح[2]، ويحملون بين أيديهم الصلبان ويقيمون الحفلات، وعلى هذا فقد كان للمسيحين أديرة وللملة اليهودية محاكمها الخاصة[3].

3/ حرمة الدم :

إن الإسلام ضمن لأهل الذّمة حق حفظ النفس ، فدم الذّمي كدم المسلم ودية الذّمي كدية المسلم ، واختلاف الدين ليس سببا لإباحة دمه، ودليل ذلك أن الإسلام ساوى بين المسلمين وأهل الذّمة في الحقوق، حيث أن المسلم إذا سرق مال الذّمى قطعت يده[4] وهذا دليل على أن الإسلام كفل وضمن حماية حرمة الدم للذّمي ، ففي زمن الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قتل رجل من قبيلة بني بكر بن وائل رجلا من أهل الذّمة فأمر الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بتسليم الرجل إلى أهل المقتول، فسُلِّم إليهم[5].

4/ حرية العمل والكسب:

شرع الإسلام وضمن للناس حق العمل سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، فكان لأهل الذّمة نصيب من مزاولة النشاطات في الدولة الإسلامية سواء بالتعاقد مع الغير أو بالعمل لحساب أنفسهم، كما لهم الحق في المعاملات والتجارات والبيوع وسائر التصرفات مثل المسلمين، إلا ما استثنى من معاملات الربا فهي محظورة عليهم كالمسلمين[6]، لقوله تعالى:" أَلذِينَ يَاكُلُونَ أَلرِّبَوٰاْ لاَ

[1]– الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج2، ص444.

[2]– هو العيد الكبير عند النصارى ويزعمون أن المسيح عليه السلام قام بعد الصلب بثلاثة أيام ويعتبرونه عيد السرور والفرح، ومن ثمة كانوا يشربون ويطربون فرحا بعودة المسيح. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة، 1933م، ص 191.

[3]– طبي سمير، المرجع السابق، ص21.

[4]– إدوارد غالي الذهبي، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غريب، ط12، 1993م، ص ص 95-96 .

[5]– صالح بن حسين العابد، حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، ط04، 2008م، ص 50 .

[6]– عبد الكريم محمد زيدان، المرجع السابق، ص111 .

يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٤﴾ "[1].

وعليه فإن أهل الذمة تمتعوا بكافة حقوقهم في العمل والتجارة .

5/ حق تولي الوظائف العامة :

تولى أهل الذمة وظائف محترمة في الإسلام حيث استعين بهم في بعض المهام ففي عصر النبي صلى الله عليه وسلم استعان بذمي يدعى (ابن أريقط) دليل له عن هجرته من مكة إلى المدينة[2].

كما نجد كذلك في الخلافة الراشدة[3]، أن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أنه أشرك الذّميين في أعمال الدولة فجعل بعضهم في الكتابة ، وفي عهد الخلافة الأموية في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك[4]، أنه قد أوكل مهمة إشراف النفقة لبناء مسجد الجماعة في فلسطين إلى نصراني من أهل الذّمة الذّمة [5]،كما تولى الذّميون مناصب مرموقة كالطب في الخلافة العباسية، فقد اتخذ الخليفة هارون الرشيد من بين أطبائه النصراني بختشوع، إلا أنه استبعد أهل الذّمة من تولي مناصب شرعية كالإمامة،

---

[1]- سورة البقرة، الآية 274.

[2]- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق ، ص11 .

[3]- تمتد الخلافة الراشدة من (11 هـ-41 هـ) (632 م-661 م)، وهي بمثابة الرئاسة الروحية، حكمها أربعة خلفاء وكان أولهم أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ﷺ ، وقد استمرت حوالي ثلاثين سنة . ينظر: ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تح: عصام الدين الحباطي، دار الحديث، القاهرة، (د. ت.ط)، ج 01، ص 12 . الثعالبي، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (132 هـ-750م)، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، 1975م ، ص04 .

[4]- هو أحد خلفاء بني أمية، وقد بويع بعد وفاة الوليد بن عبد الملك، وفي عهده توجهت الجيوش القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك، ومن أهم أعماله: بناء جامع حلب . ينظر: أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر النبوي، دراسة سياسية –اجتماعية –اقتصادية –فكرية –عسكرية، ط 03، مطبعة جوهرة الشام دار دمشق، سوريا، 1994م، ص 203 .

[5]- نريمان عبد الكريم أحمد، معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1969م، ص 112.

إذ لا يمكن أن يتولاها الذّميون وذلك لحسب طبيعتها وتقتضي ألا يتولاها إلا مسلما[1]، وكذلك منصب قيادة الجيش عند المسلمين، لأن الجهاد في الإسلام عبادة وله غاياته وحكمه، مما يتعذر على الذّميين أن يتولوا هذه المناصب وذلك مخافة لغدرهم[2]، ولقول الله سبحانه وتعالى:" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَالُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلاَيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ "[3].

أما منصب تولي القضاء فيمكن للذّمي أن يتقلده ، ويكون بمحاكم خاصة بهم تحكمهم وفق شرعهم وقوانينهم ، أما إذا اعتبر القضاء وظيفة دينية فلا يمكن أن يتولاها غير المسلم، والأصل في القضاء هو فصل النزاعات بين المتنازعين وفق أحكام الشريعة الإسلامية، و لأن أهل الذّمة جاهلين بأحكام وشرائع المسلمين فلا يمكن أن يتولوا منصب القضاء[4].

سادسا: واجبات أهل الذمة

1/ دفع الجزية:

الجزية مأخوذة من الجزاء لأنهم لما كفروا وأصروا على الكفر ورضوا بالذّلة والصّغار، قابلهم المسلمون بإعطاء الأمان، فهي جزاء على كفرهم و على الأمان الذي أعطي لهم[5]، وهي المال المقدّر المأخوذ من الذّمي، وعلى هذا فهي ضريبة يلتزم الذّمي بأدائها ولاءً للدولة الإسلامية في ميعادها

[1]- عبد الكريم محمد زيدان، المرجع السابق، ص113 .

[2]- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص 38 .

[3]- سورة آل عمران، الآية 118.

[4]- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص ص 39-40 .

[5]- البهوتي، المصدر السابق، ج3، ص 117.

المعين، وهذا متى ما توفرت شروط وجوبها ولم يوجد ما يسقطها[1]، وهي واجبة على أهل الذّمة في دار الإسلام سواء من يهود أو نصارى أو مجوس أو صابئة أو سامرة[2].

و أهل الذّمة لا يقرّون في بلاد المسلمين بالجزية إلا إذا كان المسلمين في حاجة إليها[3]، وكان السبب الذي دفع المسلمين من فرض الجزية هو وجوب عقد الذمة[4]، حيث يجب التزام عقد إعطاء الجزية كل سنة لمن وجب عليه ذلك و الالتزام بأحكام الإسلام[5]، لقوله تعالى: " حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩ "[6].

ويجب على الذّمي بأن يدفع الجزية بتوفير ثلاثة شروط وهي: الذكورية، البلوغ، الحرية[7]، حيث أنها لا تؤخذ من النساء ولا من الصبيان دون البلوغ، ولا من العبيد[8]، وأما المجانين والمقعدين والرهبان وأهل الصّوامع الذين لا يختلطون بعامة المسلمين فقد اختلف في أمرهم الفقهاء، فمنهم من اعتبر الجزية هي دَينًا عليهم يُلزموا بسدادها متى ما تيسر لهم السداد، وهناك من أسقطها عنهم[9].

وتسقط الجزية عن الذّمي بأحد أمرين: الوفاة أو الإسلام لقول ابن عباس:" ليس على المسلم جزية"[10]، فكانت الجزية بمثابة دفاع وحماية للذّميين فلا يدفعها إلا الرجل القادر[11]، وقد صنف المسلمون أهل الذّمة إلى طبقات تجب عليهم الجزية، فتدفع الطبقة الدنيا منهم اثنا عشرة درهما والطبقة

---

[1]- عبد الكريم مُحَمَّد زيدان، المرجع السابق، ص 150 .

[2]-أبو يوسف، الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ،1979م، ص 123 .

[3]- ابن تيمية، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة في الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت.ط)، ص 31.

[4]- عبد الكريم مُحَمَّد زيدان، المرجع السابق، ص 140 .

[5]- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص34 .

[6]- سورة التوبة، الآية 29.

[7]- الدردير، المصدر السابق، ج2، ص 8.

[8]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص 55.

[9]- الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد، (ت1255هـ/1839م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، تح: سيد بن إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1993م، ج2، ص 448.

[10]- الشوكاني، نيل الأوطار، المصدر السابق، ج8، ص 215.

[11]- آدم ميتز، المرجع السابق، ص 96 .

الوسطى أربع وعشرون درهما أما الطبقة العليا ثمانية وأربعين درهما في السنة، وظلت الجزية بوجه عام عند المقدار الذي فرضته الجزية[1].

2/ احترام شعور المسلمين:

لقد أوجب الإسلام على الذّميين الذين يعيشون بين المسلمين أن يحترموا شعورهم فلا يجب الطعن في الإسلام أو ذكر الرسول ﷺ بسوء، ولا يحدثوا فتنة بين المسلمين[2]، ووجب عليهم ترك ما فيه ضرر للمسلمين في أنفسهم ومالهم ، فلا يزني بمسلمة ولا يقطع الطريق على مسلم ولا يكون عونا للمشركين على المسلمين[3]، كذلك أوجب عليهم عند إقامة كنائسهم أن تكون منعزلة[4]، ويمنع عليهم عليهم إظهار الصلبان وارتفاع الأصوات في المعابد والكنائس[5]، وأيضا يمنعون من ضرب النواقيس، وأما دورهم بجوار المسلمين فيجب ألا تعلوا بيوتهم على المسلمين[6].

3/ التمييز عن المسلمين:

لما كان أهل الذّمة مخالطين للمسلمين فلابد من تمييزهم عنهم، حتى لا يعاملوا معاملة المسلمين في التوقير والإجلال، فيؤخذ أهل الذّمة في الإسلام بالتمييز في اللباس، بأن يلبسوا الغيار، وهو أن يخيطوا على ثيابهم الظاهرة ما يخالف لونه لونها، وألزم اليهود باللون الأصفر والنصارى بالأزرق، والمجوس بالأسود، وتؤمر الذّمية إذا خرجت بتخالف خفيها ولبس الزنار، وهو خيط غليظ فيه ألوان

---

[1]- آدم ميتز، المرجع السابق، ص ص 96-97 .

[2]- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص35 .

[3]- ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تح: مُحَمَّد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مطبعة مدريد،1980م، ص 30 .

[4]- ليفي بروفنسال، ثلاث رسائل أندلسية في أداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد العالمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، جامعة باريس، 1955م، ص 55 .

[5]- ابن القيم الجوزية ، المصدر السابق، ج1، ص551 .

[6]- البرزلي (ت841هـ/1438م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 2002م، ج02، ص ص 17،19 .

يجعله في الوسط، تشده المرأة في وسطها[1]، و إذا دخل ذمي حمام فيه مسلمون وتجرد عن ثيابه جعل في عنقه أو نحوه خاتم[2].

ولا يساوي أهل الذّمة المسلمين في الطريق عند المزاحمة ولا يمشون إلا فرادى متفرقين، ويلجئون إلى أضيق طريق، ويمنعون من ركوب الخيل، لما في ذلك من العز والفخر، وإن العز ينافي الذّلة المضروبة عليهم في سائر الأمكنة، ولا يعلو في بنيانهم على أبنية المسلمين ومن جاوز ذلك يهدم بناؤه[3].

وكذلك يمنعون من اتخاذ السلاح بشتى أنواعه، ومن تعلم الرمي وسائر الفنون القتالية والحربية، لأن تمكينهم من ذلك هو تمكين لهم من إعداد القوة التي ترهب المسلمين، وهذا يتنافى مع مقصود الشارع الحكيم، ولا يكشفوا عورة أو ضعف لأعداء المسلمين[4].

4/ المنع من الإقامة بالحجاز:

يمنع أهل الذّمة أن يتخذوا أرض الحجاز سكنا أو وطنا لقوله ﷺ:" أخرجوا المشركين من جزيزة العرب"[5]، أما غير الحرم منه فيمنع الكتابي وغيره من الإقامة، وله الدخول

لمصلحة كأداء رسالة أو حمل متاع يحتاج إليه المسلمون، وإن دخل لتجارة فيها كثير حاجة لم يؤذن له بشرط أن يؤخذ من تجارته شيئا ولا يمكن الإقامة أكثر من ثلاثة أيام[6].

---

[1]- شهاب الدين أحمد الرملي (ت1004هـ/1596م)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر بيروت، ط الأخيرة، 1404هـ/1984م، ج8، ص 103.

[2]- النووي، المصدر السابق، ص513.

[3]- الماوردي، المصدر السابق، ص348.

[4]- النووي، المصدر السابق، ص 513.

[5]- البخاري، المصدر السابق، باب 6-7، ص 399.

[6]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص ص 392،399.

من خلال هذا الفصل التمهيدي تم التعرف على أهل الذمة وعلى أصنافهم وفئاتهم، وكذا ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من حقوق وواجبات لهم إذا كانوا في بلاد المسلمين، وهذا كله من عدله سبحانه وتعالى كيف لا وهو الذي سمى نفسه بالعادل، وهو الذي يعطي لكل ذي حق حقه، حتى يتم العدل ولا يظلم أحد، ومن خلال الخوض في هذه الدراسة نعرف هل هذه الفئة أعطيت حقوقها وأدت ما عليها من واجبات أم منعت حقوقها وألزمت بالواجبات، هذا ما سيتم التعرف عليه خلال هذه الدراسة المتواضعة.

الفصل الأول.

تواجد أهل الذمة ببلاد الغرب الإسلامي

- العوامل الاجتماعية والاقتصادية في نشر اليهودية والمسيحية ببلاد الغرب الإسلامي.
- استقرار أهل الذمة ومناطق تواجدهم ببلاد الغرب الإسلامي. .
- نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية.

أولا : العوامل الاجتماعية والاقتصادية في نشر اليهودية والمسيحية ببلاد الغرب الإسلامي.

إن للعوامل الاجتماعية والاقتصادية أثر كبير في نشر اليهودية والمسيحية ببلاد الغرب الإسلامي، حيث أن المجتمع اليهودي والمسيحي اندمجا في مجتمع الغرب الإسلامي، وذلك من خلال المعاملات الدينية الحسنة التي تعامل بها اليهود والمسيحيين من أجل اكتساب مودة السكان، وكذلك المعاملات الاقتصادية التي استغلت من طرفهم من أجل نشر دياناتهم.

❖ **اليهودية:**

➢ **العوامل الاجتماعية:**

لقد اعتمد اليهود منذ البداية مع البربر أسلوبا شرحوا فيه بعضا من مبادئ التوراة التي ترفض الانضمام لأي حكم، وذلك لعلمهم بأنهم لا يقبلون الدخول تحت سيطرت غيرهم، وهذا كوسيلة لكسب ثقة سكان بلاد المغرب،[1] واقتنع البربر بهذه الفكرة فتحالفوا مع اليهود من أجل محاربة العدو الروماني الذي حاول إدخال تحت سيطرتهم، ولم يكتفي اليهود بهذا وإنما حاولوا أيضا إقناع البربر بأن هذا التحالف لن يكون ناجحا إلا بالمصاهرة فيما بينهم وقبل البربر ذلك، و بهذا الصدد يذكر المؤرخون بأن هذه المصاهرة كان لها الأثر العميق في انتشار اليهودية بين القبائل البربرية،[2] ونتج عن ذلك ظهور مجموعة من العائلات البربرية ذات أصول يهودية مثل: عائلة خلقون، عائلة البليدي، عائلة سيجمار إلى غير ذلك من العائلات الأخرى.[3]

[1]– عطاء أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تق: سنوسي إبراهيم، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص36.

[2]– Goutier(A) meliterranean , society the Jervish communilier, the arab word as portayedin the documents of the cairo Genzer 969. 1280 , Vol 03, ed university of California, Press, 1978, p 06.

[3]– أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980، ص267.

وعلى هذا يمكن القول بأن العوامل الاجتماعية كان لها الدور الكبير في التواجد اليهودي ببلاد المغرب، واستقرارهم فيه واختلاطهم بسكانه، على الرغم من ميل البربر إلى الانعزال، لكن تمكن اليهود من اختراقهم ومصاهرتهم والاندماج معهم.

➢ **العوامل الاقتصادية:**

كان اهتمام اليهود بالاقتصاد منذ القدم حيث أنهم كانوا يبحثون عن المكان الملائم الذي تتوفر فيه فرص وإمكانيات مواصلة العمل في هذا المجال، وكان لهذا الاهتمام أثر كبير في هجرة الكثير من اليهود إلى بلاد المغرب وخاصة الأحبار منهم، وهذا معروف عنهم منذ القدم حتى يتمكنوا من جمع الثروة و السيطرة على التجارة، ولهذا دخلوا بلاد المغرب وخالطوا البربر، ودفعوا لهم الإيتاوات مقابل حمايتهم من الهجومات التي تتعرض لها قوافلهم التجارية.[1]

وعلى هذا تبين أن اليهود لم يكن همهم نشر الديانة اليهودية كاهتمامهم بجمع المال والثروة، ولذلك ظهر عليهم اتجاههم هذا إلى الانشغال كثيرا بالتجارة التي كانت تدرّ عليهم بالأموال الطائلة.[2]

❖ **المسيحية:**

➢ **العوامل الاجتماعية:**

لقد عرفت بلاد المغرب مختلف المعتقدات الدينية، حيث أن أغلب المصادر والمراجع تشير إلى أن البربر كانوا مثل تلك الجماعات البدائية التي تعتقد الشعوذة والسحر وعبادة الأوثان، مما يدل على أن أغلبهم كانوا مجوسا أو ملاحدة، في حين أن الديانة المسيحية قدمت من شبه الجزيرة العربية، وذلك قبل وصول الإسلام إلى بلاد المغرب.[3]

ولعل أهم العوامل الأساسية التي سهلت انتشار المسيحية في بلاد المغرب، تلك التعاليم التي اتسمت بها المسيحية، حيث أنها كانت تبعث الأمل في نفوس الطبقات الفقيرة للظفر بالسعادة بحياة

[1]– جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م، ص16.

[2]– عطاء أبو ريه، المرجع السابق، ص28.

[3]– سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشآت المعارف، الإسكندرية، 1995م،ج1، ص 113.

أخرى، وجعل الجميع سواسية أمام الله ولا فضل لأحد على آخر إلا بعمل الخير والتمسك بالأخلاق الحميدة، وهذا ما دفع بسكان بلاد المغرب وخاصة الفقراء منهم والعبيد إلى أن يكونوا أول الناس إتباعا لتعاليم هذا الدين، ومن ثم اعتناقه، خاصة وأن الظلم والاستبداد والاستغلال الطبقي قد انتشر وشاع في هذه البلاد، وظهر فيه الفارق الطبقي بين مختلف طبقات المجتمع.[1]

أضف إلى ذلك أن الميسحيين كانوا متضامنين فيما بينهم، وانعكس هذا التضامن على غيرهم، حيث قدموا لهم المساعدات في مختلف المجالات وذلك حسب استطاعة كل واحد منهم، حيث يقومون بوليمة تتمثل في عشاء مشترك يسمى" وليمة المحبة"، ويبادرون إلى إعطاء النقود للمحتاجين كالأيتام والفقراء والأرامل والمرضى، أو ممن سرقت أموالهم أو لمن نجا من الموت أثناء سفر وضاع منه كل شيء.[2]

أما في شبه الجزيرة الإيبيرية فقد كان الاحترام المتبادل بين المسيحيين واليهوديين في فترات معينة الأثر الكبير في زيادة انتشار وازدهار الديانتين المسيحية واليهودية، وخاصة أن اليهود كانوا يستعملون كل الطرق والوسائل للحفاظ على مصالحهم.[3]

➢ العوامل الاقتصادية:

لقد شكل النظام الاقتصادي الروماني على سكان بلاد المغرب مظاهر الإستياء والإستبداد، حيث أخرجوهم من أراضيهم ظلما وعدوانا، وذلك بنزعها منهم وإعطائها للوافدين الرومان، وبهذه الأفعال تحول السكان إلى فقراء، وامتدت حالة الفقر إلى المالكين الصغار والمتوسطين وراجت تجارة العبيد بأسعار زهيدة، مما سبب في تدهور الاقتصاد، ولعل ذلك قد ساهم في تعلم لغة الإنجيل، وهذا

---

[1]- كريم يوسف، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار العلم، بيروت،(د.ت.ط)، ص ص 10-11.

[2]- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم – النشأة والتطور- (180-430م)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، إشراف: غانم مُحَّد الصغير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2011/2010م، ص92.

[3]- الحسن الغرايب، مسيحيو المغرب الأقصى في العصور الوسطى، تق: عبد العزيز عينوز، منشورات مطابع الرباط، ط1، 2015م، ص27.

بسبب زيادة حدة التذمر من السيطرة الرومانية،[1] ورغبة في اختلاطهم بالمسيحيين، ذلك أن المسيحي كان يبتعد كثيرا عن الملذات، ويكتفي فقط بما يسد الجوع وعليه أن يتصدق على الفقير، وهذا ما تكلم عنه الكاتب الروماني " ترتليانوس" بقوله:" إن طعامنا عبارة عن وجبة خفيفة نساعد بها الفقراء الذين يتمتعون أمام الرب بتقدير كبير".[2]

اغتنم التجار المسيحيون تدهور الحالة الاقتصادية في بلاد المغرب أنذاك، فسعوا إلى نشر وترسيخ مبادئ الكنيسة الكاثوليكية في هذه البلاد، وذلك عن طريق المبادلات التجارية مع مساعدة السكان قدر المستطاع[3].

ومما ساعد المسيحيين في نشر المسيحية كثرة الموانئ في بلاد المغرب، حيث كانت هذه الأخيرة مكانا تلتقي فيه الكثير من الفئات البشرية، فأصبحت مكانا ينشر فيه تعاليم المسيحية التي تدعوا إلى المساواة[4]، فلقيت بذلك تجاوبا داخل طبقات المجتمع، خاصة بعدما اندمجت بعض الفئات من السكان في هذه الديانة.[5]

من خلال العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في بلاد المغرب، يتضح بأن طبيعة هذه البلاد ساعدت الدعاية المسيحية على الانتشار بشكل سريع، حيث أصبحت هذه الديانة متنفسا للكثير من الأنفس التي عاشت ردحا من الزمن تحت السيطرة والظلم والاستبداد من طرف الرومان.

---

[1]- عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 95.

[2]- عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 96.

[3] -Fantar Decret,l'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au 5^{ém} siecle,Ed Paycet, Paris,1981, p283.

[4] -Terrasse, H, Histoire du Maroc, Ed, Athlantides, Casablanca, p 77.

[5]- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تح: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، الجزائر، ج1، ص255.

– ثانيا: استقرار أهل الذمة ببلاد الغرب الإسلامي

➢ الاستقرار اليهودي ببلاد الغرب الإسلامي:

عرفت بلاد الغرب الإسلامي العديد من الهجرات البشرية منذ القدم، وكان من أبرزها الهجرات اليهودية، ذلك لأن هذه البلاد كانت ملجئا آمنا لمختلف الشعوب، وقد وجد اليهود في هذه الأرض متسعا لممارسة نشاطاتهم المختلفة كالتجارة والحرف وغيرها، كما كانت لهم الحرية في ممارسة طقوسهم الدينية، حتى أنهم عرضوا في بعض الأحيان الديانة اليهودية على سكان بلاد المغرب.

لقد عرف اليهود منذ القدم اضطهادا كبيرا خاصة من طرف الملك بختنصر[1] في بيت المقدس، الذي قام بسبيهم[2]، مما جعل وجود العديد من الجماعات اليهودية تهاجر في أنحاء المعمورة [3]، وكانت البدايات الأولى للهجرات اليهودية نحو بلاد المغرب منذ القرن السادس قبل الميلاد(06ق.م)،[4] حيث كانت وجهتهم إلى شمال إفريقيا بسبب الظروف الاجتماعية و الاقتصادية، و من أبرز هذه الهجرات

[1]– هو نبوخذ نصر(605-562ق.م) ملك بابل التي أسست على أنقاض الدولة الأشورية، ألحق نبوخذ نصر الهزيمة باليهود في مملكة يهوذا بفلسطين وأخمد ثورتهم إلا أنهم أعادوا الكرة ثانية فنكّل بهم وساق ملكهم وكبرائهم إلى بابل. ينظر: الزغيبي أحمد عبد الله، العنصرية اليهودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م، ج1، ص 208.

[2]– ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح:عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د.ت.ط)، ص46 .

[3]– علي حس الخربوطلي، المرجع السابق، ص10 .

[4]– ماهر سمك، اليهود في المغرب، دار الحرية للصحافة والنشر والتوزيع، مصر، ط01، 1998م، ص60.

هجرة يهود فلسطين، وذلك حينما استولى الملك بطليوس[1] على فلسطين وقيامه بنفي إلى مصر وليبيا حوالي مائة ألف يهودي.[2]

وكان من بين هؤلاء اليهود المهاجرين إلى شمال إفريقيا التجار والجنود العسكريين حيث اعتمد عليهم العديد من ملوك المغاربة لتدعيم جيوشهم.[3]

ولقد مرت هذه الهجرات بمراحل تاريخية أهمها:

❖ العهد الفينيقي (813 ق م– 146 ق.م):

اختار اليهود الاستيطان في المناطق الداخلية على غرار المناطق الساحلية، وقاموا بالاحتكاك بالسكان الأصليين " البربر" والفينيقيين، ونتج عن هذا الاحتكاك صلات قوية ، لما بين اليهود والفينيقيين من عادات وتقاليد ولغة، واستطاعوا كذلك تهويد بعض قبائل البربر، وأخذوا من الفينيقيين حرفة فن ممارسة التجارة.[4]

❖ العهد الروماني(146ق.م–430م):

خضعت منطقة شمال إفريقيا للوجود الروماني بعد احتلالهم مدينة قرطاجة سنة (146 ق.م)،[5] و كان سبب مجيئهم إلى المغرب هو الصراع الذي كان بينهم وبين الرومان، حيث اصطدم هؤلاء مع

---

[1]–كان واليا على مصر عقب وفاة الإسكندر سنة 323 ق م، فاستقل بمصر واتخذ لقب الملك سنة (305 ق م)، وأنشأ مدينة بطليموس لتكون مركز للحضارة الإغريقية هناك. ينظر: أحمد سوسة، المرجع السابق، ص456.

[2]– فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7–9 هـ /13–15 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ الوسيط، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008–2009 م، ص15.

[3]– فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 15.

[4]– عطا علي ومُحَمَّد شحاتة مُحَمَّد ريه، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عصر المرينيين والوطاسين، دار الكلمة للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، ط01، 1999م، ص25 .

[5]– فاطمة بوعمامة، المرجع السابق ، ص17 .

اليهود وخاضوا معهم صراعا طويلا[1]، خاصة حملة تيتوس[2] خلال (70م) ضد اليهود في المشرق، إذ تم تخريب أورشليم والهيكل و إبادة اليهود،[3] ومن نتائج هذه الثورة تفرق وتشتت اليهود، حيث كانت وجهتهم مدينة قورينا في منطقة برقة بتونس، وخلال الثلث الأخير من القرن الأول الميلادي، قام القائد الروماني المذكور بترحيل حوالي 30 ألف يهودي إلى بلاد المغرب في اثنا عشر مركبا، وبهذا عرفت بلاد المغرب التواجد اليهودي على أرضه.[4]

❖ اليهود في العهد البيزنطي (533-642 م):

لما قضى البزنطيون على الوندال، ساءت وضعية اليهود واضطر العديد منهم إلى الهجرة نحو المناطق الداخلية و الاندماج في القبائل البربرية، وتقلص عددهم بشكل كبير خاصة أثناء حكم "جستنيان"، إذ تدخلت السلطات البيزنطية في شؤونهم مما أدى إلى نزوح عدد منهم نحو إسبانيا وآخرون إلى إيطاليا فرارا من الاضطهاد،[5] كذلك انتشر اليهود في مدن عديدة من بلاد المغرب،[6] حيث كانت مدينة فاس تحتوي على العديد من اليهود،[7] وأشار العديد من المؤرخين العرب إلى وجود

---

[1]- مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م، ص ص17-18.

[2]- القائد الروماني الذي احتل القدس فخربها مع الهيكل سنة (70 م). ينظر: أحمد سوسة، المرجع السابق، ص326.

[3]- جمال حمدان، المرجع السابق، ص 69.

[4]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص18.

[5]- المرجع نفسه، ص 19.

[6]- علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، " مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بتاريخ العرب، يصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب"، العددان 57-58، أيلول –كانون الأول، دمشق، 1996، ص165 .

[7]- حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط02، 1993م، ج01، ص284 .

وجود قبائل بربرية متهودة في زرهون على مقربة من هذه المدينة،[1] كما عرفت منطقة وليلي[2] وجود عدد كبير من اليهود.[3]

ولما ضاق اليهود من القيود الاقتصادية و الاجتماعية التي فرضها القوط عليهم، هاجروا من اسبانيا، في شكل موجات، مما أدى إلى تزايد عدد اليهود في المغرب على مرور الزمن، فاستقروا في المناطق الكبرى مثل: برقة ، طرابلس ولبدة ونفوسة وتونس وجربة، كما تواجد بعضهم في المدن الصغرى والهضبات والمناطق الزراعية، وما يدل على كثرة اليهود في بلاد المغرب أن بعض المدن المغربية حملت أسماء يهودية،[4] فلقد وصل عدد اليهود في هذه البلاد في العصور الوسطى إلى حوالي 225 ألف يهودي.[5]

❖ اليهود في ظل الحكم الإسلامي:

بدأت الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا عام (21 هـ-642م)، حيث أصبحت تعرف هذه المنطقة ببلاد المغرب الإسلامي، حيث قاد عبد الله بن سعد جيشا قوامه 20.000 جندي كاد أن يقضي به على الوجود البيزنطي بهذه البلاد،[6] وفي زمن الخليفة سيدنا عثمان بن عفان

---

[1]- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية، دار الثقافة للنشر، ط01، 2007م، ص24 .

[2]- مدينة أسسها الرومان على قمة جبل زرهون عندما كانوا بالأندلس، وهي منطقة محاطة بصور من حجر كبير، وقيل أنها خربت من طرف الأفارقة قديما، وقام إدريس بترميمها والاستقرار بها. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ص 295.

[3]- المصدر نفسه ، ص295.

[4]- عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص ص 25-26 .

[5]- ماهر سمك، المرجع السابق، ص62 .

[6]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 27.

ﷺ(24هـ/644م)، تمكن عبد الله بن أبي سرح من القضاء على البيزنطيين ودخول مدينة قفصة التي كان أغلب سكانها من البربر والروم.[1]

أما في الفترة العباسية فقد عاش اليهود في المغرب الإسلامي في كنف الدولة الإدريسية التي عاشت حوالي قرنين من الزمن، وقد كان اليهود يمثلون فئة كبيرة من شرائح المجتمع، فابن أبي الزرع تحدث عن تجمع اليهود في الحاضرة التي بناها إدريس الثاني أي فاس بقوله:" تجمع فيها عدد كبير من اليهود ممن رغب في العافية"،[2] وقد سيطر هؤلاء على المدينة حتى أصبح يطلق عليها أنها مدينة خالية من المسلمين "فاس بلد بلا ناس".[3]

واستمر تواجد اليهود بالمغرب خلال فترة الفاطميين، حيث استعانت الدولة الفاطمية ببعضهم في تدبير شؤون الدولة والإدارة، فقد استوزر المعز لدين الله يعقوب بن يوسف بن كلس، وتحصل أيضا على هذا المنصب أبو سعيد النسري، وهما يهوديان وقد أسلما.[4]

ولما جاء عهد المرابطين أدى اليهود دورا هاما خاصة بعد المعاملة الحسنة التي حظوا بها خاصة في أواخر هذه الدولة، فكان لهم دورا في الجانب الثقافي، إذ برز عدد من المفكرين ومن بينهم إسحاق الفاسي"497هـ /1163م" وهو حجة الدراسات التلموذية كان بقلعة بني حماد ثم هاجر إلى فاس واستقر بها، لينتهي به المطاف إلى مدينة أليسانة أين أسس أهم المراكز التلموذية،[5] وكما كان لهم اهتمام بالعلوم العربية ومن أشهرهم إبراهيم بن سهل الإسرائيلي[6]، واهتموا بالترجمة من العربية إلى

---

[1]- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987م، ص 32.

[2]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 71.

[3]- المرجع نفسه، ص 71.

[4]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 73.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص108.

[6]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب،تح: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ج3، ص ص 223،225.

العبرية واللاتينية،[1] وفيما يخص الجانب الاقتصادي، فقد برع اليهود في التجارة خاصة تجارة الرقيق، وفضلوا شراء المحاصيل الزراعية والاتجار بها.[2]

ولقد شهد اليهود عدة تغيرات في الدولة المرابطية، ففي بداية التأسيس عرفوا نوعا من الاضطهاد والقهر، أما في أواسط وأواخر الدولة المرابطية، فقد تمتعوا بسياسة التسامح الديني إلى درجة أن خصوا بأحياء لهم تتوافر على جميع المرافق الخاصة بهم، وهذا لم يمنعهم من الاختلاط مع المسلمين أثناء معاملتهم التجارية والدينية.[3]

وظهر هذا التسامح في استخدام النصارى و اليهود في عدة وظائف بالدولة وفي مقدمة ذلك إشراكهم في جيش البلاد،[4] يقول ابن عذاري " وفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناته لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم الربتير فبقي يحاربهم نحو شهرين ثم رجع إلى مراكش"[5] بجانب ذلك كانوا يكونون الحرس الخاص لأمير المسلمين علي بن يوسف[6]، يضاف إلى ذلك اشتراكهم في جباية الأموال للدولة،[7] وقد شارك اليهود النصارى النصارى في وظيفة جباية الأموال[8].

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص108.

[2]- حاييم الزعفراني، يهود المغرب والأندلس، تر: أحمد شحلان،مرسم الرباط،ج1، ص10.

[3]- المرجع نفسه، ص 12.

[4]- ينظر:يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تر: مُحَمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996، ج1، ص 239 . ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص ص 203 - 204.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص97 .

[6]- يوسف أشباخ، ج1، المرجع السابق، ص 122 .

[7]- حسن محمود، المرجع السابق، ص 411.

[8]- يوسف أشباخ، ج1، المرجع السابق ، ص 238 .

➢ الاستقرار المسيحي ببلاد الغرب الإسلامي:

لقد تواجد النصارى في بلاد المغرب منذ زمن طويل قبل مجيء الإسلام وذلك عن طريق الرومان،[1] الذين كانوا على الديانة المسيحية، وباعتبار أن الرومان كانوا السلطة الحاكمة التي احتلت المنطقة، فاختاروا المناطق الساحلية،[2] كسبيطلة،[3] وقرطاج،[4] وجلولة،[5] وغيرها، ويذكر ابن خلدون خلدون أن المغاربة أخذوا بدين النصرانية على الروم،[6] أما الشمال الإفريقي فوصلت إليه في القرن الثاني الميلادي.[7]

ففي العهد الروماني بسط الرومان نفوذهم على شمال إفريقيا منذ سقوط قرطاج، حيث أصبحت هذه الأخيرة تشتمل على ثلاثة أقاليم وهي: إفريقية، طرابلس و نوميديا الجزائر الشرقية و موريتانيا القيصرية وموريتانيا الطنجية،[8] وكانت روما كانت تمجد الأباطرة وتحتفل بهم، فانتشرت الوثنية

---

[1]- بديعة الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط01، 2007 م، ص15 .

[2]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص32 .

[3]- ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للنشر و التوزيع، بيروت، 2000م، ج06، ص 424.

[4]- من ثغور المغرب الأدنى، تقع على شبه جزيرة صغيرة في خليج تونس، ويقول صاحب الاستبصار: "لو دخلها إنسان ومشى فيها يتأمل آثارها لرأى فيها كل يوم أعجوبة لم يراها من قبل ". ينظر: مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،(د. ت .ط)، ص121.

[5]- ابن خلدون،المصدر السابق، ج6، ص425.

[6]- ابن خلدون،المصدر السابق، ج6، ص425 .

[7]- شريف عبد القادر، المرجع السابق، ص18 .

[8]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص145–146.

الوثنية مع وجود كذلك المجوسية،[1] أما بالنسبة لمدينة فاس فلقد كان أهلها أهل أهواء فمنهم من يدين بدين النصرانية ومنهم من يدين بدين باليهودية.[2]

ومن النصوص التي تتحدث عن توغل المسيحية في بلاد المغرب القديم يوجد نص لابن خلدون يرجح فيه أصل الكنيسة في المنطقة إلى عهد الحواريين، إذ يقول:" إن الذي أرسل إلى روما من الحواريين هو بطرس وكان معه بولس ولم يكن حواريا وعبر إلى أرض السودان والحبشة " متى العشار" و" أندراوس"، وإلى أرض بابل والشرق " طوماس"، وأرسل إلى أرض إفريقيا "فيلبس"، وإلى أرض برقة والبربر "شمعون الكنعاني".[3]

و لقد وجدت المسيحية استجابة من طرف البربر الذي كان إيمانهم بها فقط سطحيا،[4] لذلك ارتد الكثير منهم عنها نتيجة الاضطهاد الذي عرفه النصارى من طرف الرومان خاصة زمن الإمبراطور دكيوس(Decius) والإمبراطور دقلديانوس"270م/275م"،[5] خاصة في مدينة "سكيلي"،[6] ويعد هذا الحدث نقطة مفصلية في التاريخ الروماني عامة حيث ظهر العداء الشديد للمسيحية، وصار المسيحيون يتعرضون لكل أنواع الاضطهاد، الذي نتج عنه هدم الكنائس وإحراق الكتب المقدسة مع سجن القساوسة وإقالتهم من المناصب الإدارية،[7] وبالرغم من هذا العنف

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص106.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1999، ص39.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 294.

[4]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص175.

[5]- عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص ص117-118.

[6]- عرفت هذه المدينة اضطهاد المسيحيين في 180م، حيث بلغ عدد قتلى المسيحيين اثنا عشر رجلا وامرأة، تمت محاكمتهم وإعدامهم في مدينة قرطاج. ينظر، عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 73.

[7] -Georges Marcai, les villes d'Art célèbres, TIemcen, Idition tell, Blida, Algeria, 1950, p 09 .

والاضطهاد إلا أن بعض الفرق من معتنقي الديانة المسيحية ظلوا يدافعون عنها حتى أصبحت الديانة الرسمية للبلاد خاصة زمن الإمبراطور قسطنطين (306-336م) الذي ترأس أول مجمع كنيسي في نيقية سنة 325م،[1] للقضاء على الدوناتية، وهذا الذي أدى إلى قيام العامة بثورة ضد المستعمرين والطبقة الأرستقراطية يطالبون بذلك تطبيق مبدأ المساواة، والتحرير من العبودية، وبقيت هذه الثورة في بلاد المغرب حتى انفصلت إفريقية عن روما بعدما انقسمت، والتي بدورها عملت على قمع الحركة الدوناتية وأجبرت روادها و أتباعها إلى العودة إلى الكاثوليكية، واستعملت في ذلك العنف والقوة ضدهم بدعوة من القديس أوغسطين (304هـ-430هـ) الذي حمل على عاتقه لواء نصرة الكنيسة الإفريقية.[2]

أما في العهد الوندالي صارت الأطماع تتجه نحو الإمبراطورية الرومانية نتيجة انقسامها مما نتج عنه ضعف وتدهور الأوضاع في هذه الإمبراطورية، وكان على رأس هؤلاء الأطماع الوندال الذين عاشوا الضغط من طرف القوط بأسبانيا، وهذا ما مكنهم من الاستيلاء على إفريقية بزعامة الملك جنسريق سنة 435م، وهاجموا الكنيسة واستولوا على مختلف ممتلكاتهم، حيث تمكنت هذه القبائل من احتلال جزئي البلاد الإفريقية وقضوا على النفوذ الروماني،[3] وهدفهم في ذلك هو ترسيخ مبادئ الأريوسية واللغة الجرمانية بالبلاد،[4] أما عن انعكاسات الحكم الوندالي بالمغرب فكانت جد سلبية نتيجة السياسة اللينة التي انتهجها ملوك الوندال، مما نتج عنه تراجع الأوضاع السياسية و الاقتصادية والاجتماعية لتسقط سنة 535م على يد البيزنطيين.[5]

---

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص255.

[2]- رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007م، ص 175.

[3]- صقر أحمد، مدينة المغرب في التاريخ، دار بوسلامة للنشر، تونس، 1959م،ج 1، ص400.

[4]- بديعة الخرازي، المرجع السابق، ص18.

[5]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص372.

ولما استقر الحكم البيزنطي في بلاد المغرب الذي،[1] استقبله السكان المحليين بحفاوة وترحيب، حيث تعاونوا مع البيزنطيين فقاموا باسترجاع الكنائس ومحاربة اليهود وعزلهم من مناصبهم السياسية، و سرعان ما ظهر المذهب الآخر الذي يدعو إلى ثنائية طبيعة المسيح أي الإلهية والبشرية معا، هذا ما أدى إلى الخلاف بين البيزنطين وأهالي المغرب، وبذلك انتشر الفساد، وانحلت الأخلاق، كما أن القساوسة كان لهم دور سلبي إذ ارتكبوا المعاصي، وهذا ما أدى إلى ضعف المسيحية ونتج عنها ارتداد الكثير من المتمسحين،[2] لكن القائد جستنيان لم يستسلم وعمل جاهدا على نشر المسيحية من جديد إذ شجع البعثات التنصيرية كما قام بتشييد العديد من المعابد، و لم يمنع هذا من انشطار الكنيسة الكاثوليكية إذ تعددت المذاهب وتنوعت، فظهرت اليعاقبة،[3] وغيرها من المذاهب.[4]

وأمام هذا التباين في زمن القسطنطين الرابع (667 م-685م) عقد مجلسا دينيا سنة 680م هدفه خلق الوئام بين الأفارقة والمحليين مع البيزنطيين، وقد نتج عنه التحالف بين البربر المسيحيين والبيزنطيين باستثناء البربر البتر[5]، وعندما توجه المسلمون لفتح بلاد المغرب اختلفت مواقف المسيحيين المسيحيين من هذا الفتح بين المواجهة العسكرية أو الخضوع للسلطة الجديدة، فمنهم من حافظ على دينه وحقوقه المدنية والشرعية، ومنهم من رفض الخضوع لهذه السلطة[6] .

---

[1]- أرشيبالذر، لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد مُحَمَّد عيسى، مُحَمَّد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت.ط)، ص163.

[2]- ينظر: بديعة الخرازي، المرجع السابق، ص18. أرشيالذر، المرجع السابق، ص157-158.

[3]- اليعاقبة: هم أصحاب الطبيعة الواحدة للمسيح وعرفت أيضا او دعت إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية،وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أسقف مدينة أوديسا "يعقوب برادايوس" لها علاقات طيبة مع الكنيسة القبطية. ينظر: هنري كريمونا، موسوعة الأديان، إع: مجموعة من الباحثين، دار النفائس، بيروت، ط2، 2002م، ص 502.

[4]- نميش سميرة، أهل الذمة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى(6-10هـ/12-16/)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018/2017م، ص 35.

[5]- ينظر: رضوان البارودي، المرجع السابق، ص177. نميش سميرة، المرجع السابق، ص 35.

[6] - نميش سميرة، المرجع السابق ، ص 36.

➢ مناطق تواجد اليهود والنصارى بالغرب الإسلامي:

استقر اليهود في عدة مناطق من بلاد الغرب الإسلامي، حيث سكنوا السواحل والمناطق الداخلية، فسكنوا إقليم برقة[1]، وهو من أهم الأقاليم التي انتشروا بها،[2] إذ هو الوجهة التي توصل القادمين من مصر إلى القيروان،[3] عرفت المدينة بنشاطها التجاري،[4] فهي مدينة عامرة بالعرب واليهود واليهود الذين كانوا يدفعون الجزية،[5] واستمر وجودهم إبان العصر العباسي، واستقر اليهود أيضا في مدينة طلمثية ومدينة الرمادة.[6]

كما انتشروا في العديد من المدن والقرى الداخلية فسكنوا زويلة، وهي مدينة متاخمة لبلاد السودان، لشهرتها بتوزيع الرقيق، وهي التجارة الرائجة عند اليهود،[7] ويقال بأن يهود المدينة كانوا يجالسون تجار وشيوخ المذهب الإباضي[8]، وكذلك مدينة سرت[9] ولبدة[10]، و جبل نفوسة، و نفزاوة نفزاوة ومدينة صفاقس ومدينة القيروان التي توافد عليها اليهود منذ أن أسسها سيدنا عقبة بن نافع سنة 54هـ/674م، كما استقطبت المهدية أعدادا كبيرة من اليهود.[11]

---

[1]- برقة: مدينة كبيرة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحرستة أميال، ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1960م، ص92.

[2]- ابن الأبار، الحلة السيراء، تج: حسن مؤنس، القاهرة، ص13.

[3]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1984م، ص310.

[4]- ابن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، 1938م، ص69.

[5]- البلاذري، المصدر السابق، ج2، ص ص221-222.

[6]- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد،(د.ت.ط)، ص ص85-86.

[7]- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج3، ص ص159-260.

[8]- ابن أبي زكرياء، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، 1979م، ص163.

[9]- سرت: مدينة في برقة، بينها وبين طرابلس مائنا ميل وثلاثون ميلا وبينها وبين البحر ميلان، وهي قديمه أهلها أحسن الناس خلقا.ينظر: الحميري، المصدر السابق، 312.

[10]- لبدة: مدينة قديمة بناحية طرابلس الغرب، كانت عظيمة الشأن مبنية بالرخام؛ ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص508.

[11]- عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص ص 39-40.

وقطن اليهود أيضا مدينة جربة[1] المتميزة بموقعها الجغرافي والقريبة من مدينة قابس، واشتهرت المدينة بالصناعة الحريرية وكثرة الأسواق والفنادق مما أدى إلى تضاعف عدد اليهود بها.[2]

واستقر اليهود أيضا إقليم تامسنا وتادلا، وجبال فزازا[3]، وسكنوا النكور التي عرف أحد أبوابها بباب اليهود،[4] كما سكنوا مدينة سجلماسة التي أسسها بنوا واصل في القرن التاسع، وكانت هذه المدينة مشهورة بتجارتها مع بلدان ساحل النيجر ووسط إفريقيا ومع مصر والهند، وكان لليهود فيها النصيب الأوفر في المبادلات التجارية ونقل الأموال،[5] ووجدوا أيضا بمنطقة درعة التي قال عنها الحموي بأن أكثر تجارها يهود،[6] وسكنوا أيضا منطقة أغمات،[7]وقمنورية.[8]

كما سكن اليهود أيضا الأندلس في مناطق عديدة منها: قرطبة حيث يذكر ابن حيان رواية يقول فيها:" توفي عبد الرحمن بن عثمان بن عفان سنة 95هـ/713م، ودفن بمقبرة حلال، بينها وبين مقبرة اليهود الطريق السالك بجوفي قرطبة"،[9] وسكنوا أيضا غرناطة ومما يدل على ذلك ما حل بهم أثناء ثورة المسلمين على يهود غرناطة، إذ يقول ابن عذاري:" وقتل في هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة، نهبت دورهم"،[10] ولولا أن معظم اليهود كانوا يتجمعون في مكان واحد لما تمكن الثائرون منهم.

---

[1]- جربة: جزيرة في إفريقية أقرب بلادها إلى قابس. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص158.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص72.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص12.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص90.

[5]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج2، ص 323.

[6]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص359.

[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ص235.

[8]- المصدر نفسه، ص105.

[9]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، اليهود في الدول العربية الإسلامية في الأندلس(92-897هـ/711-1492م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة بغداد، مطبعة ومكتبة دار الأرقم، فلسطين، 1999م، ص 80.

[10]- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1980م، ج3، ص 266.

كذلك استوطن اليهود مدينة طليطلة، حيث استقرت معظم أفراد الجالية اليهودية في طليطلة في الحي اليهودي الذي يقع في الجزء الغربي من المدينة،[1] ومن المدن الأندلسية التي سكنها اليهود أيضا مدينة مالقة، حيث كان الحي اليهودي يقع في الجزء الشرقي من المدينة، وكانت المقبرة اليهودية على منحدرات جبل الفارو، ومن هؤلاء اليهود الشاعر العبري الشهير سليمان بن جابيرول، ويقدر عدد اليهود بها في النصف الأول من القرن 5هـ/11م، بحوالي مائتي نسمة.[2]

أما النصارى فقد سكنوا كذلك ببرقة وطرابلس،[3] وانتشروا في الواحات الليبية الداخلية بسبب توفرها على أشجار النخيل المثمرة والمياه العذبة، وفيها مدن كثيرة مسورة وفيها الأمن والاستقرار،[4] ومن بين هذه المدن أيضا أجدابية، سرت، وإفريقية وغيرها من المدن الساحلية،[5] ومدينة باجة التي وجد بها عدد من الكنائس،[6] كذلك واحة الفرفرون، والتي يصفها البكري بأنها واحة داخلية كثيرة الشجر والنخيل، وهي تضم العديد من القرى وكان أهلها أقباطا،[7] نصارى،[8] بالإضافة إلى بلاد الجريد(توزر) التي فتحها المسلمون صلحا، ووجدت بها كنائس وبنى بها المسلمون إلى جانب كل كنيسة مسجد.[9]

---

[1]- خالد يونس عبد العزيز، المرجع السابق، ص 103.

[2]- خالد يونس عبد العزيز، المرجع السابق، ص 123.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص182؛ سعد زغلول، المرجع السابق، ص125-126.

[4]- مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص147.

[5]- المصدر نفسه، ص ص144،160.

[6]- إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص25.

[7]- قبط: كلمة يونانية تعني مصري وقد أطلقت على أهل مصر خاصة عندما اعتنقوا المسيحية. ينظر: رضوان البارودي، المرجع السابق، ص 185.

[8]- البكري، المصدر السابق، ج2، ص 187.

[9]- التجاني، رحلة التجاني، تق: حسن حمي عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص262.

كذلك سكن النصارى مدينة سبتة، و مراكش، حيث كان لهم حي خاص في مراكش يتوفر على مختلف المرافق الحياتية،[1] وسكنوا مدينة مكناسة، طنجة وتطاوين و مدينة سلا.[2]

وتشير العديد من النصوص، في المصادر الجغرافية والتاريخية إلى أن النصارى سكنوا مدينة قسنطينة، وبقوا فيها مقابل دفع الجزية وكان ذلك منذ الفتح الإسلامي.[3]

ثالثا: الدولة الموحدية:

قبل قيام الدولة الموحدية عرف بلاد الغرب الإسلامي أوقات صعبة وأوضاعا متدهورة، في مختلف الميادين سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية، و هذه الأوضاع مجملة فيما يلي:

- **الوضع السياسي :**

لقد تزامن مع قيام الدولة الموحدية عصر شهد فيه العالم الإسلامي الزحف الأوروبي على دياره، فمنذ مطلع القرن5هـ/11م، اتسع نطاق حملات الاستعادة في اسبانيا و مع ختامه بدأت الحملة الصليبية على المشرق، و هذان الحدثان غيرا مجرى التاريخ في المنطقتين لمدة ثلاثة قرون: ففي المشرق فشلت الإمارات السلجوقية في التصدي للخلافة الفاطمية، فأخذ الراية الزنكيون ثم المماليك، و عاصر الموحدون ضعف الفاطميين و سقوطهم، وقيام الأيوبيين و انحلال دولتهم.

ومنذ أن اندثرت دولة الأمويين في قرطبة مطلع القرن 5هـ/11م، شابهت أحوال المغرب العربي أوضاع المشرق في التمزق والانقسام، فعصفت النزاعات القبلية بالمغرب الأقصى والخلافات الشخصية

[1]- ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص305 .

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 116.

والإقليمية وبالأندلس ومنذ منتصف ذلك القرن استطاع المرابطون توحيد المغرب الأقصى و أسسوا دولتهم.[1]

بينما وجد نصارى إسبانيا المتحفزون في الشمال في اختلاف ملوك الطوائف فرصة اغتنموها، فزحفوا على أراضي المسلمين وبلغوا ذروة نجاحهم يوم استولت قشتالة على طليطلة (478هـ/1085م) و اتخذتها حاضرة، وزحفت أرغون على سرقسطة وحاصرتها، فأفاقت الزعامات الإسلامية المتناحرة من غفوتها و تبينت الخطر الذي دهمها، ولم تجد من سبيل سوى الاستغاثة بالمرابطين في المغرب، فأنجدهم يوسف بن تاشفين وأحرز نصرا كبيرا على النصارى بهزيمتهم في واقعة الزلاقة (479هـ/1086م) ثم ضم الأندلس إلى ملكه.[2]

و استطاع المرابطون الحد من الخطر النصراني و توفقوا عليه أمدا غير يسير حتى خسروا سرقسطة (512هـ/1118م) التي غدت عاصمة لأرغون، وتبع ذلك ثورة الموحدين بالمغرب (515هـ/1121م)، فواجه المرابطون خطرا متربصا من الخارج ووضعا متأزما في الداخل نتيجة الصراع بين أبناء علي بن يوسف على السلطة والخلاف بين إبراهيم بن تاشفين وعمه إسحاق بن علي، ففي بداية الأمر أولوا الخطر الخارجي جل أمرهم فتفاقم الوضع الداخلي، و لما توجهوا نحوه بثقلهم خرجت الأندلس من أيديهم و دخلت في عهد طوائف ثان، و بعد فترة قصيرة فقدوا المغرب نفسه و خلفهم على حكمه الموحدون يوم استولوا على عاصمتهم مراكش.[3]

وفي هذا العصر لم يكن حال المغربين الأدنى والأوسط بأحسن من الأندلس فقد خلف الصنهاجيون العبيديين على حكمهما، بنو باديس في المهدية وبنو حماد في بجاية وفي عهدهم نزحت القبائل الهلالية من مصر إلى افريقية بتدبير من الفاطميين لما نقموا على بني باديس قطعهم الخطبة

[1]- شوقي أبوخليل، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1994م، ص 39.

[2]- شوقي أبو الخليل، المرجع السابق، ص39.

[3]- محمد حسن العيدروس، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008م، ص178.

عنهم وتحويلها إلى العباسيين،[1] وعاشت تلك القبائل في منطقة من برقة إلى بجاية خرابا ودمارا، وتوجته بخراب القيروان عاصمة بني باديس الذين اتخذوا المهدية عاصمة جديدة.[2]

- **الوضع الاجتماعي:**

لقد كان للأوضاع السياسية الأثر الكبير على الحياة الاجتماعية، فنتيجة للغزو الهلالي لكل من إمارة بني زيري و إمارة بني حماد، دخلت إمارتهم في فوضى و اضطربت أحوالهم، الاجتماعية، وتملكوا المدن و القرى بالسيف ووصل الأمر بهم إلى استرقاق المسلمين و بيعهم كعبيد.[3]

ولقد تأثر المرابطون بالحضارة الأندلسية، بمعنى أن مراكش اشتملت على كل ما أنتجته الأندلس من خبيث و طيب، فأصبح أولئك البدو الحفاة يتخلون عن حماسهم الديني منغمسين في الرذيلة و الآفات الاجتماعية المختلفة، إضافة إلى تدهور ظروفهم المعيشية نتيجة الحروب و الفتن و انتشار الفقر.[4]

- **الوضع الديني:**

كانت بلاد المغرب تعمل بالمذهب الإسماعيلي الشيعي رسميا في معاملتها لما كان الفاطميون موجودين بالبلاد، و بخروجهم و تركهم لبني زيري خلفاء لهم بالمغرب، عملوا على نشره وتوطيده، و بما أن أهل المغرب نفروا من المذهب الفاطمي وعملوا بالمذهب السني، وبنو حماد كان اتباعهم لأي مذهب إنما يقوم على ما يقدمه لهم، و على ما تمليه عليه مصلحتهم، إلا أن معظم سكانهم اعتنقوا المذهب المالكي،[5] مع أن المذهب الغالب في دولة المرابطين هو المذهب المالكي في المغرب و هذا

[1]- ابن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص ص 204-206.

[2]-الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 89، 90، 100.

[3]- الغناي، قيام دولة الموحدين، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 2008، ص ص340،34، 338.

[4]- المرجع نفسه، ص 338.

[5]- الغناي، المرجع السابق، ص 339.

أدى إلى الجمود الفكري و عدم اهتمامهم بدراسة القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة،[1] و يرى بعض المؤرخون أن هذا التعصّب الأعمى كان السبب الأول في سقوط دولة المرابطين،[2] و انصراف الفقهاء عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلى جمع الثروات و المكاسب، و هذا ما أدى إلى ظهور السفور و الاختلاط بين الرجال و النساء و تدخل المرأة في البيع و الشراء و السلطة، مما جعل الرعية المسلمة تنفر من الدولة المرابطية.[3]

كما قام علي بن يوسف بعدّ فتوى أجمع عليها فقهاء قرطبة و على رأسها قاضي قضاتها أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد على إحراق كتاب الإحياء للغزالي و الذي جعلوه سببا في زوال ملكهم و ذهاب دولتهم.[4]

- **الوضع الاقتصادي:**

فقد كان لغزوات بني هلال وبني سليم أثر مدمر لاقتصاديات المغربين الأدنى و الأوسط لكونهم دمروا كل ما وصلوا إليه من مدن و قرى عامرة و شردوا أهلها و انعكس ذلك سلبا على الاقتصاد، فتعطلت التجارة و قلت الزراعة و الصناعة،[5] و نتيجة لانحباس المطر عدة سنوات، مما سبب في الجفاف و القحط، وما زاد من حدة الأزمة الاقتصادية أسراب الجراد التي هاجمت ما بقي من الأخضر على وجه البلاد و التي وقعت في الفترة الواقعة ما بين أعوام (524هـ- 1130م)/ (530هـ-1136م)،[6] إضافة إلى أن الحرب المستمرة بين المرابطين و الموحدين منذ سنة

---

[1]- محي الدين التميمي المراكشي (ت647هـ)، تاريخ الأندلس المسمى بالمعجب في تلخيص أخبار المغرب، (د.ت.ط)مطبعة العادة، ص 236.

[2]- مُحَمَّد علي الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهر ة ط1، 2006 م، ص 1651.

[3]- الغناي، المرجع السابق ص 31 .

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 59.

[5]- الغناي، المرجع السابق، ص 336.

[6]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1406هـ/1986م، ج2، ص 673.

(516هـ- 1122م) حتى سنة (541هـ-1147م) بسقوط مراكش، قد قضت على الثروة الزراعية و الحيوانية في جميع أنحاء المغرب الأقصى، وكان المرابطون قد استنفذوا مواردهم القليلة واحتياطهم في إعداد الجيوش و الإمداد[1]، كل هذه الظروف و العوامل أثرت سلبا وإيجابا و مهدت الطريق في بلد المغرب لقيام نظام وعهد جديد تمثل في بداية الدعوة التي قام بها مُحَمَّد بن تومرت مهدي الموحدين .

- **بداية الدعوة الموحدية:**

لقد قامت الدولة الموحدية على أسس إصلاحية دينية بحتة، وكان ذلك بزعامة مُحَمَّد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي كان مولده في (471هـ/1075 م)،[2] وهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام ابن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح مُحَمَّد ابن الحسن بن علي ابن أبي طالب ﷺ،[3] وهو بهذا يدّعي النسب الشريف،[4] وينتسب ابن تومرت إلى قبيلة هرغة المصمودية القاطنة بجبل السوس إلى أقصى بلاد المغرب، عرف عنه منذ صباه حبه لطلب العلم، وقد عرف باسم أسافوا البربري والتي تعني بالعربية الضياء لأنه كثيرا ما يعمل سرج القناديل

[1]- الغناي، المرجع السابق ص ص52،53 .

[2]- ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: مُحَمَّد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص99 .

[3]- ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: مُحَمَّد علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، (د.ت. ط)، ص34 .

[4]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1973م، ج1،ص205.

بالمساجد،[1] ويدل هذا الفعل منه منذ صباه أنه كان يخدم المساجد وذلك بضيائتها، وطلب العلم فيها، وتنظيفها.[2]

و قد تلقى المهدي علومه بالحواضر المغربية كسبتة و مراكش[3]، ثم انتقل إلى المشرق في طلب العلم سنة 501هـ/1107م، حيث بدأ رحلته من الأندلس، وقد نزل بالإسكندرية وأخذ فيها عن الفقيه ابو بكر الطرطوشي[4] وحضر مجلسه، وعمل على التحريض على المرابطين ودعا إلى قتالهم ومحاربتهم.[5]

ثم اتجه إلى مكة وأدى بها مناسك الحج, وخرج منها إلى بغداد أين التقى فيها بالإمام أبو حامد الغزالي وأخذ العلم عنه، ثم عاد إلى المغرب مشبعا بأفكار الغزالي، حيث لقي في بلاد المغرب موطنا خصبا مما ساعد على نشر أفكاره بين أهله، و تأثروا بها منهم " المهدي بن تومرت"،[6]كما قد نزل في في طريق عودته بالإسكندرية ثم طرابلس، حيث مارس دعوته المتمثلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاشتكى الناس منه، وهذا ما أدى إلى طرده، ليتجه إلى حاضرة بني حماد الصنهاجيين ببجاية وفيها نهى الرجال عن التزين بزي النساء، والحث على عدم اختلاط النساء بالرجال في الصلاة، وفي هذا الصدد يروي أمير بجاية" العزيز المنصور بن الناصر" بن عماد سنة 511هـ لما رآه يفرقهم بعصاه

---

[1]- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت. ط)، ج 7، ص46.

[2] - شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين(524-667هـ/1126-1226م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009/2008م، ص 14.

[3]- علي عبد الله علام، دعوة الموحدين في المغرب، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 1964م، ص 123 .

[4]- هو الفقيه أبو بكر مُحَمَّد بن الوليد بن مُحَمَّد بن خلف ابن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي الأندلسي، ولد في بلدة طرطوشة بالأندلس سنة 451هـ، حيث تلقى علومة بمسقط رأسه ، ثم رحل إلى المشرق سنة 486هـ، فحجّ واستقر به المقام في الإسكندرية، توفي سنة 520هـ أو 525هـ. ينظر: ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الاسلامي،(524هـ-936هـ/1130م – 1529م)، الجامعة الاسكندرية ، 1985م، ص 49.

[5]- مُحَمَّد أحمد أبوا الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515-686م)، دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص 53 .

[6] _ شرقي نوارة، المرجع السابق، ص 17.

قال له:" يا فقيه لا تأمر السارق بالأمر بالمعروف وهم لا يعرفونه، فإني أخاف أن يأمروا فيك وتهلكهم، لا يستوي حر كريم مع شيطان رجيم "،[1] وبهذا تحول أسلوبه في الدعوة إلى استعمال العنف في تغيير المنكر، مما أدى إلى طرده، فخرج إلى ملالة وبقي بها مدة من الزمن وبها التقى بعبد المؤمن بن علي الكومي خليفة المهدي.[2]

ويجمع المؤرخون أن لقاء المهدي بن تومرت بعبد المؤمن بن علي كان صدفة حيث كان عبد المؤمن صحبة عمه يقصدون السفر إلى المشرق، ولما وصلا إلى بجاية ونزلوا بمسجدها وحضر إلى درس المهدي فاقتنع به وبدأت الدعوة الموحدية تظهر في ثوبها العسكري، بعد أن رأى المهدي أن القضاء على حكام المرابطين صار ضرورة دينية وأن دولتهم بدعة وخارجة عن الدين، فأمّر على جيش الموحدين عبد المؤمن بن علي أن يواجهوا المرابطين وهزموا في معركة البحيرة سنة 524 هـ / 1130م و توفي المهدي بن تومرت في نفس السنة وبويع عبد المؤمن، حيث عمل على تنظيم شؤون الدولة وتوحيد صفوفهم،[3] و بقي بتينملل إلى سنة 528هـ/1134م، حيث استولى على الجبال المجاورة له وعلى الحواضر المغربية، وبهذا أسس دولة مترامية الأطراف.[4]

- **عصر ازدهار الدولة الموحدية:**

بدأ حكم المرابطين أثناء حكم علي بن يوسف يضعف في الأندلس، و ضغط النصارى يزداد شدة، فأخذت أراغون سرقسطة سنة 512هـ/م1118م، وبقيت ثورة الموحدين تتصاعد مما سبب في ضعف حركة المرابطين في الأندلس، فاستطاع ابن رذمير أن يخترق الأندلس من شمالها إلى جنوبها في سنة 519هـ/1125م، من غير مقاومة تذكر.[5]

---

[1] _ ابتسام مرعي خلف الله، المرجع السابق، ص ص 56- 57.

[2] – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، جامعة القاهرة، (د.ت.ط)، 2004م، ص 12.

[3] – ابتسام مرعى خلف الله، المرجع السابق، ص ص 58- 59 .

[4] – عز الدين عمر احمد موسى، تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، بيروت، لبنان، فبراير1969م، ص47.

[5] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص ص 79-80 .

وانتعشت مقاومة المرابطين بقدوم تاشفين بن علي سنة 523هـ/1129م، فحد من خطورة الزحف النصراني، و ساقهم من الهزائم كؤوسا، و لكنه استدعي إلى مراكش عام 523هـ/1128م بأمر من أبيه، وتفاقم أمر الموحدين فسحبت الجيوش المرابطية من الأندلس، فضرب النصارى على جهاتها، و كثر المنتهزون،[1] فأخد النصارى شنترين[2] و باجه و ماردة و إشبونة وألمرية وبياسة وجيان وطرطوشة وحصون لاردة،[3]، و قامت الأندلس على المرابطين في السنة 538هـ/1143م.[4]

ثم استبد أهل كل البلد بناحيتهم، و لم يظل على طاعته من سوى غرناطة و إشبيلية، فقام بشرق الأندلس عبد الرحمن بن عياض وخلفه مُحَمَّد بن سعد بن مردنيش، و في المرية ابن الرميمي، و في جيان ابن همشك، و في غرب الأندلس بن قسي و غيرهم كثير.[5]

و يبدوا أن عبد المؤمن كان يطمع في الأندلس و المغرب لم يخلص له بعد، ففي أول عام 539هـ/1144م، بايعه ابن قسي ثم نكث[6]، و في آخر العام دانت له شريس و الجزيرة الخضراء،[7] الخضراء،[7] وانتصاره في المغرب جعل أعيان غرب الأندلس يتشوفون إلى الموحدين، و يتنافسون في الهجرة إليهم،[8] فجاءت بيعة اشبيلية عام 541هـ/1147م.[9]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 208.

[2]- ابن القطان، المصدر السابق، ص245.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص ص121-122.

[4]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص109.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 208-212.

[6]- المصدر نفسه، ص 105.

[7]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص122-123.

[8]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 212.

[9]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص125. النويري، المصدر السابق، ص 202.

ولم يتفرغ عبد المؤمن لأمر الأندلس إلا بعد أن خلص له المغرب عام 543هـ/1148م، و كان عليه أن يقضي على بقايا المرابطين في قرطبة و غرناطة و ابن مردنيش في شرق الأندلس، فوالى إرسال البعوث إليها بقيادة الشيخ أبي حفص عمر الهناتاتي،[1] و تتبع سير الأحوال فيها،[2] ففتحت جيان و قرطبة و قرمونة،[3] و في 548هـ/1153م، أرسل لابن مردنيش منذرا له،[4] و في 552هـ/1157م، سلمت غرناطة فانقرض أمر المرابطين في الأندلس و تلتها المرية و بياسة،[5] وأمر الخليفة عبد المؤمن بن علي ببناء مدينة جبل طارق لتكون مركزا للموحدين و أعمالهم في الأندلس.[6]

الأندلس.[6]

و رغم أنه جاء إلى الأندلس في ذي القعدة 555هـ/1160م إلا أنه استطاع القضاء عليهم و الحد من فعاليتهم،[7] ولما رجع إلى المغرب تعاظم خطرهم و اشتدت فتنتهم حتى دخل ابن همشك غرناطة سنة 557هـ/1162م، فاستعيدت منه،[8] فشرع عبد المؤمن في الاستعداد لغزوهم و في أثناء ذلك توفي عام 558هـ/1163م،[9] فتصاعدت أعمال ابن مردنيش و صهره ابن همشك وحلفائه النصارى،[10] فاختلف ابن همشك مع ابن مردنيش ووحد ابن همشك سنة 564هـ/1169م، فقلب

---

[1]- أحمد العزاوي، رسائل موحدية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب، ط1، (1416هـ-1995م)، ج1، ص ص 13-17.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص29-30.

[3]- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص ص13،17.

[4]- المرجع نفسه، ص148.

[5]- ينظر: احمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص ص73،80. ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص ص223-224.

[6]- ينظر: عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي للنشر،ط3، 1987م،ص ص361،138.

[7]- المصدر نفسه، ص ص147،172.

[8]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص ص 50-54.

[9]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص187.

[10]- المصدر نفسه، ص ص372-374.

ميزان القوة في شرق الأندلس مما يسر ضمها إلى الموحدين عام 567هـ/1172م،[1] وخضعت إسبانيا الإسلامية كلها لحكم الموحدين، و بلغ توسعهم مداه في الجهة الأندلسية وذلك لما ضم الخليفة الناصر منورقة و ميورقة و يابسة.[2]

و منذ أن اخضع عبد المؤمن المغرب لسلطانه كان اتجاه توسعه في شعبتين: أندلسية و إفريقية، و سار الفتح فيهما في وقت واحد، ففي عام 547هـ/1152م، فتح مملكة بني حماد الصنهاجيين،[3] الصنهاجيين،[3] رغم استنجادهم بالعرب الهلالية من إفريقية،[4] فقد دخل عبد المؤمن بجاية عنوة بمساعدة وزير الصنهاجيين أبي مُحَمَّد ميمون بن علي بن حمدون.[5]

ومنذ عام 551هـ/1156م بدأ حكم الصقيليين يضعف في إفريقيا، و فقدوا سيطرتهم على الكثير من المدن و لم يستطيعوا الحفاظ على المهدية وزويلة إلا ببذل الأموال للعرب الهلالية،[6] ففتح عبد المؤمن في حملته عام(554-555هـ/1159-1160م)تونس والمهدية و بلاد الجريد و طرابلس، فوضع حدا لسيطرة النورمان واخضع القبائل العربية الهلالية.[7]

---

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج6،ص 131.

[2]- النويري، المصدر السابق، ص230.

[3]- أحمد العزاوي، المرجع السابق،ج1، ص17.

[4]- المرجع نفسه، ص ص29،32.

[5]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص ص123-124.

[6]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص203-205.

[7]- ابن القطان، المصدر السابق، ص129-130.

- **تفوق الموحدين على الدول المعاصرة:**

بفضل الجيش المنظم والأسطول القوي كان لخلفاء هذه الفترة النصر الحاسم في كل صراع مع من عاصرهم من ملوك وامراء وكان صراعهم مع دول اسبانيا المسيحية و صقيلية مباشرا، بينما لم تسمح لهم الفرصة للنزاع المباشر مع الأيوبيين.

ففي الأندلس أوقفوا زحف الممالك المسيحية و تجلت قدرتهم في انتصارهم العظيم في موقعه الأراك سنة 519هـ/1195م،[1] وتفوق الموحدين في عصر الازدهار هذا ما دفع بعض أمراء المسيحيين إلى أن يتحالفوا معهم و يحاربوا في صفهم،[2] ومن ظل في عدائه كان يغتنم انشغال الخلافة بأحداثها الداخلية، و كانت كثيرا ما تقع في المغرب أو افريقية فيشن حربا شعواء، و لكن الموحدين كانوا يقفون في وجوههم و يجرعونهم من الهزائم كؤوسا، فيضطرون لطلب السلم والمهادنة،[3] و استرد الموحدون مدنا وحصونا كان المسيحيون قد استولوا عليها من قبل مثل: باجة، وشلب، وبابرة و قلعة رباح، و شلبطرة،[4] و توغلوا في أراضي غزاة فوصلوا مجريط و وادي الحجارة.[5]

تبين الصقيليون تفوق الموحدين عليهم عسكريا لاسيما في البحر منذ ان أجلوهم عن إفريقية، فسعوا لمصالحتهم وأبرموا السلم مع يوسف بن عبد المومن سنة (576هـ/1180م)،[6] و ظلوا على

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص282.

[2]- أحمد العزاوي، المصدر السابق،ج1، ص 238.

[3]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 526-527.

[4]- ابن خلكان، المصدر السابق، ص8..

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق،ج3، ص203.

[6]- ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص468. النويري، المصدر السابق، ص220.

علاقة طيبة معهم حتى انقرض أمر بني عبد المؤمن، و لكنهم كانوا إن وجدوا فرصة لإضعافهم لا يفوتونها، فلهذا تجدهم يساعدون الميورقيين لاستعادة جزيرتهم لما فقدوها في سنة581هـ/1185م.[1]

وكانت علاقة الموحدين بالأيوبيين متوترة و بصفة خاصة أيام المنصور، ولما دخل الأغزاز المصريون إفريقيا، أثاروا الفتن و الثورات بالتعاون مع العرب الهلالية ثم بني غانية، وشعر بذلك الموحدون و اعتبروه تدبيرا من حكام مصر، وأن الأيوبيين كانوا يعلمون ذلك،[2] ولاسيما أنهم كانوا يعطفون علي بني غانية و يساعدونهم[3]، واتضحت النوايا فطلب صلاح الدين الأيوبي مساعدة الموحدين بحريا فلم يستجب المنصور، بل صرح بنيته في غزو مصر،[4] غير أن ظروف الدولتين حالت دون الصدام المسلح، فكل منهما كانت مشغولة بحملات خارجية متزايدة.

- **تصدي الموحدين للثورات الداخلية:**

إن تاريخ المغرب هو تاريخ القبائل، والقبيلة لا تعرف سلطانا خارج نطاقها، ولا ترقى لفهم مسألة الدولة، وعرف ابن تومرت هذه الحقيقة، فوضع نظاما حفظ به وحدة قبائل الموحدين، وأبقت تلك القبائل على وحدتها طوال ازدهار الدولة، ولما كانت كلها من المصامدة فنجاحها أغرى مجموعات أخرى، فانطلقت في ثورات متعددة، وتكررت ثوراتهم في جبال غمارة وبلاد صنهاجية،[5] ومنطقة السوس كلما واتت الظروف، وقد تمكن الخلفاء الثلاثة الأول من إخمادها.[6]

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص ص156-157.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص260.

[3]- سعد زغلول النجار،" العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي و أبي يوسف يعقوب المنصور" مجلة كلية الأداب، جامعة الإسكندرية، 1952- 1953م، ص ص84،100.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص284.

[5]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص ص312-313.

[6]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص360.

وساوق ثورات القبائل المغربية فتن أشد و أعتى في إفريقية(تونس)، لعب الدور الأساسي فيها العرب الهلالية و الأغزاز ثم الميورقيون، وتصاعد الخطر لما تحالفوا جميعا، وعقب كل فتنة إفريقية يضطر الخلفاء للخروج بأنفسهم لإخمادها، وهذا ما فعله يوسف و المنصور ثم الناصر، و لم ينجح أحدهم في القضاء النهائي على هذه الفتن، ولكنهم حدوا من الخطر.[1]

وقد حال دون القضاء المبرم على أن الثورات التي كانت تندلع وجيوش الخلافة في أشد حالات المجابهة مع القوى المسيحية في اسبانيا، هذا بالإضافة لطبيعة المنطقة الصحراوية وبعدها عن العاصمة، بالرغم من ذلك فقد نجح خلفاء عصر الازدهار في إخماد ثورات المغرب و الحدة من الخطر و الفتن بإفريقية، الأمر الذي لم يتيسر للدولة في فترة انحلالها.

– إزدهار إقتصاد الدولة الموحدية:

إن تفوق الموحدين على أعدائهم في الخارج والثائرين في الداخل، مكنهم من فرض الأمن والاستقرار في ربوع دولتهم وفي البحر الذي حولهم وقد بين خلفاؤهم الارتباط بين حالة الأمن والوضع الاقتصادي، فشدد عبد المؤمن في أمر قطاع الطرق، ويروي ابن شداد فيما نقله عنه النويري أن عبد المؤمن قتل حفاظ محلة قرب بجاية سرقت فيها أمتعة أحد تجار المهدية،[2] وتابع يوسف والمنصور هذه السياسة و يقول ابن صاحب الصلاة عن أيام يوسف: "يسير الراكب حيث شاء من بلاد العدوة في طرقها من جبالها وسهلها آمناً في نفسه وماله لا يخاف إلا الله أو الذئب"[3]، ويذكر صاحب روض القرطاس عن بعيد المنصور مثل هذا القول،[4] ونتيجة للأمن والاستقرار اتسعت الزراعة وراجت

[1]– ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 380.

[2]– النويري، المصدر السابق،ص ص 215-216.

[3]– ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص286.

[4]– أبن أبي زرع، المصدر السابق، ص143.

التجارة ونهضت الصناعة، وبلغت الدولة في ازدهارها الاقتصادي حالة لم ير أهل المغرب أياماً قط مثلها.[1]

والمتصفح لكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار الذي كتب في هذه الفترة يلمح إلى التوسع الزراعي في كثرة المحصولات وتنوعها، ولا ريب في أن توسع أراضي الدولة وتنوع مناخها له فضل في ذلك كبير، ولكن الفضل الأكبر يعود إلى سياسة الدولة نفسها، فالخلفاء غرسوا كثيراً من البساتين،[2] وحثوا الناس على التوسع في الزراعة، وأشركوا الجند في الحصاد في بعض الأوقات، وعملوا على حماية الزراعة من الثورات والفتن.[3]

وتجلت النهضة الصناعية في استغلال المعادن،[4] وصناعة السفن التي انتشر دورها في السواحل، وإنتاج السلاح والمصنوعات الزراعية وخاصة المنسوجات والسكر والزيت،[5] ورافق هذه النهضة الزراعية والصناعية اتساع التجارة الداخلية والخارجية فقد تاجروا مع المشرق العربي وبلاد السودان وأوروبا وعقدوا الاتفاقيات التجارية.[6]

---

[1]-ابن عذاري، المصدر السابق،ج3، ص256.

[2]- مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 210.

[3]- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص215.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص ص362-363.

[5]- مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص212.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص316-317.

- **ضعف وسقوط الدولة الموحدية:**

لقد بدأ الموحدون بالتراجع والانكسار الذي لقوه في موقعة حصن العقاب ضد النصارى بالأندلس سنة (609 هـ/1212 م) ، وهذا التراجع سببه يعود إلى سوء تسيير من قبل الخليفة الناصر، الذي توفي سنة (610 هـ/1213 م)[1]، وبعده تدخل الموحدين دوامة لا تنتهي إلا بنهاية دولتهم.

ولما توفي الخليفة الناصر خلفه ابنه يوسف المنتصر الذي قام عليه أقرباؤه في الأندلس والمغرب، ومن ثم بدأت الحروب والفتن في عهده[2]، فقد قام بإبعاد مشايخ الموحدين عنه، ومال للدعة والراحة، مهملا بذلك أمور الخلافة و الرعية و ما زاد الأمور سوء ظهور المرنيين في عهده،[3] وتوفي المنتصر سنة (620 هـ/1223 م)،[4] وبعد وفاته انغمست الدولة في الانحطاط أكثر إذ امتد الخلاف إلى داخل الأسرة الحاكمة، وذلك بتصارع أفرادها على السلطة، وسيطر الأشياخ والوزراء والولاة على بعض الخلفاء وهو ما انعكس سلبا على الخلافة التي تراجعت في جل الميادين.[5]

امتد الصراع على السلطة إلى درجة أن أغلب الخلفاء الذين ولوا بعد المنتصر قتلوا بعد فترات قصيرة من مبايعتهم، ثم بعد وفاة المنتصر سنة (620 هـ/1223 م) اضطربت أمور الدولة الموحدية إذا تولي الحكم في مراكش أبو مالك عبد الواحد يوسف بن عبد المؤمن ولكن بعد ثمانية أشهر وتسعة أيام خلع، وبايع الموحدون بعده العادل صاحب مرسية، وقد حكم إلى غاية (624 هـ/1227 م)،

---

[1]- عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991، ص55.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص154 .

[3]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص132.

[4]- مُحَمَّد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر القاهرة، ط1، 1964م، ص336 .

[5]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص55.

وبقي الموحدون منشغلين بالصراع فيما بينهم متناسين بذلك خطر النصارى الذين لم يفوتوا الفرصة، وقاموا باستخلاص العديد من المدن الأندلسية من أيدي الموحدين.[1]

ولم يفوت الفرصة حتى بعض ولاة الموحدين إذ استقلوا بولايتهم من الدولة الموحدية وكانت إفريقية أول من استقل عن الخلافة الموحدية،[2] وعندما تولى يحي بن الناصر خلافة الموحدين ظهر بن هود واستولى على حصون مرسية وخطب فيها لبني العباس معلنا استقالته عن الموحدين،[3] وانتهت بذلك سلطتهم على إقليم غرناطة،[4] وكان أبو العباس إدريس الواثق بالله المعتمد، الملقب بأبي الدبوس آخر الخلفاء الموحدين الذي قتل سنة (668 هـ-1271 م) وبموته انقرضت دولة الموحدين، بعد أن كانت قد تمكنت من توحيد بلاد المغرب والأندلس لأول مرة منذ تواجد الرومانيون فيها.[5]

- **العناصر المكونة للمجتمع الموحدي:**

سكن المغرب الإسلامي خليط من العناصر السكانية المتعددة من جنسيات مختلفة، و في مقدمة هذه العناصر قبائل البربر وهم السكان الأصليين في البلاد و عاش معهم العرب الذين لعبو دورا واضحا في الأحداث وصار لهم دور مؤثر في عهد الموحدين ، وبجانب البربر و العرب كانت هناك أقليات من الأندلسيين والصقالبة و الغز وأهل الذمة المتمثلة في اليهود و النصارى .

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص335 .

[2]-Abdallah Larawi : l'histoire du Maghreb un essai de Synthèse Casablanca,Maroc,1995,P210.

[3]- الصفدي، الوافي بالوفيات، اعتناء مُحَمَّد يوسف نجم، مطابع دار صادر ، بيروت ، 1971م،ج8 ، ص322 .

[4] - مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشطيبي، الجمان في مختصر أخبار الزمان، مخطوط، المكتبة الوطنية، ص1575.

[5] -Plusieurs écrivains : L'histoire du Monde : Le Moyen âge ,imprimerie, grafica, éditoriale, Italy, 1997, p233 .

1- البـــربـــر :

كلمة بربر تطلق على شعوب شمال إفريقيا، بحيث يعتبر عنصر البربر الغالبية العظمى من السكان، و منهم تأسست أكبر دولتين شهدهما المغرب الأقصى في العصور الوسطى، و هما دولتان المرابطين والموحدين، و قد اختلف المؤرخون حول أصل نسبهم فابن حزم الأندلسي يذكر أنهم من بقايا نوح عليه السلام ، و ادعت طائفة أخرى من المؤرخين أنهم ينتسبون إلى بر بن قيس عيلان، وتذكر مصادر أخرى أنهم من إفرقيش بن صيفي الحميري.[1]

حيث اتفق النسابة على أن البربر ينقسمون إلى قسمين هما البتر والبرانس، وبهذا الصدد يذكر ابن خلدون و غيره:" أن شعوب هذا الجيل وبطونهم قد اتفق العلماء أنه يجمعهم جذمان عظيمان و هما برنس و مادغيس الذي يلقب بالأبتر"،[2] الذي كان فيه عدد من أشجار الزيتون والكروم ، وتوجد فيه بساتين كثيرة، وكانوا بيض البشر، ونساؤهم جميلات، لكن الرجال جريؤون لأنهم جنود ممتازون.[3]

و كلا الفريقين عاشا غلى أرض المغرب الأقصى متأثرا بالأحداث التي مرت بها المنطقة ومؤثرا فيها، فقد قامت قبائل البرانس و منها صنهاجة و مصمودة بدور مهم في توجيه سير أحداث القرنين الخامس و السادس من الهجرة، إذ على أكتاف صنهاجة قامة دولة المرابطين و على أكتاف المصامدة قامت دولة الموحدين ، ومن هنا تبين أهمية تلك القبائل التي شاركت في صنع الأحداث في المنطقة و من بينها.[4]

---

[1]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس " عصر المرابطين و الموحدين "، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 1980، ص 292.

[2]- شرقي نوارة، المرجع السابق، ص28.

[3]- مارمول كاربخال، المرجع السابق، ج2، ص 285.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 294.

أ- صنهاجة :

تشكل صنهاجة أول إقليم مأهول غرب صحاري ليبيا، لأنه يبتدئ عند شواطئ المحيط و يشمل كل المساحة الممتدة بين وادي نون و نهر النيجر، و يسميه العرب واد النجار، ويفصل هذا بين البيض و السود، أي مناطق الأعراب و مناطق الزنوج.[1]

ولم تكن صنهاجة مجرد قبيلة بل كانت شعبا عظيما، حيث يقول ابن خلدون: " هذه القبيلة من أوفى قبائل البربر، وهم أكثر أهل البربر لهذا العهد وما بعده، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر".[2]

وقد ضمت صنهاجة مجموعة كبيرة من القبائل بلغت السبعين قبيلة منها : قبائل لمتونة ،كدالة، مسوفة، لمطة، مسراطة، و غيرها من القبائل.[3]

ب- مصمودة :

توجد هذه القبيلة في الجزء الغربي من المغرب الأقصى، و يقطنون جبال الأطلس الكبير،[4] و تحتل مركز الصدارة بالمغرب الأقصى باعتبارها القبائل المؤسسة للعهدة الجديد، و أعتبر ابن خلدون ديارهم و أماكنهم هي حدود المغرب الأقصى وذلك لكثرتهم في منطقة المغرب الأقصى.[5]

يقول حسن علي حسن نقلا عن ابن خلدون:"فأما المغرب الأقصى منه وهو ما بين واد ملوية من جهة الشرق إلى أسافي حاضرة البحر المحيط، وجبال درن من جهة الغرب فهي في الأغلب ديار المصامدة من أهل درن وبراغوطة، و أما القبائل التي اندرجت تحت اسم المصامدة فكثيرة منها:

---

[1]- مارمول كاربخال، المرجع السابق، ج3، ص 179.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 152.

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 295

[4]- مارمول كاربخال، المرجع السابق، ج 1، ص 90.

[5]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 299.

هرغة، هنتاتة، تينملل، كيدموية، كنفيسة، وريكة، وغيرها من القبائل.[1]

ت- بربر الأندلس :

يرجع تواجد البربر في الأندلس ضمن حملات الفتح الإسلامي للمنطقة، حيث تمكنت الجماعات الأولى التي دخلت الأندلس من الاندماج في المجتمع الأندلسي.[2]

وبعدها جاءت وفود جديدة من البربر إلى الأندلس وكانوا في الغالب من زناتة وصنهاجة، وذلك بطلب من الأندلسيين أنفسهم من أجل مساعدتهم على رد هجمات النصارى الذين استحوذوا على البلاد، وبعد الانتصار الذي حققه البربر من المرابطين على النصارى، بدأو بالاستقرار بالمنطقة ونزلوا المدن.[3]

وعند قيام دولة الموحدين لم تتوقف وفود المغاربة المتجهة إلى الأندلس حيث اتبع خلفاء الموحدون سياسة توطين القبائل البربرية ببعض الحواضر الأندلسية، فيوسف بن عبد المؤمن ترك في شرق الأندلس من كل قبيلة بعضا منهم، فأسكن زناتة والعرب بلنيسة، وأسكن صنهاجية وهسكورة في شاطبة وفي سنة 580 هـ،استعاد الموحدون مدينة باجة من أيدي النصارى و أعادو إليها أهلها، وأسكنوا معها جماعة من الموحدين، و في سنة 616هـ أرسلت مجموعة من قبائل كومية إلى الأندلس لتعزيز تواجد البربر بالأندلس.[4]

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 301.

[2]- شرقي نوارة، المرجع السابق، ص 40 .

[3]-حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 311.

[4]- شرقي نوارة، المرجع السابق ، ص 41.

2- العـرب :

هم العنصر الثاني من سكان المغرب الأقصى والذي شارك البربر في الإقامة بالمنطقة،[1]حيث لم يكن للعرب تأثير كبير في المغرب الأقصى إلا بعد منتصف القرن 05 هـ/ 11م مع الغزوة الهلالية التي بفضلها انتشر العرب في البوادي و الأرياف وتفرقوا في كل مكان فمنهم من قصد المغرب الأقصى، ويوضح عبد الواحد المراكشي أن أكثرهم قصد مدينة فاس وذلك في قوله:" كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمرها بحيث العرب فيها فر منها أهلها ونزل أكثرهم مدينة فاس".[2]

ولما خلص أمر العرب للموحدين عام 541هـ/ 1146م، ودخل الخلفاء الموحدين في وقائع كثيرة مع العرب الهلالية، فرأوا أن يستغلوا طبيعتهم وطاقاتهم لمصلحة الدولة ضد أعدائها، فجلبوا عدد كبير من هذه القبائل العربية المغرب الأقصى، حيث أداع بين الناس أن عبد المؤمن كان نسبه عربيا.[3]

و قد ذكر المراكشي نسب عبد المؤمن بن علي الكومي، هذا هو عبد المؤمن بن على بن تملوي الكومي، أمه حرة كومية أيضا، واتخذ عبد المؤمن و من جاء بعده هذا النسب وسيلة لاستمالة العرب الموجودين في إفريقيا لاشتراك معهم في عمليات الجهاد بالأندلس.[4]

3- الأندلسيون :

إلى جانب البربر و العرب وجدت عناصر أخرى سموا بالأندلسيين ويطلق لفظ"الأندلسيين" على المسلمين من أهل الأندلس، باستثناء البربر الطارئين كقوة سياسة مسيطرة مرابطية كانت أم موحدية، ويصرف النظر عن الأصول الأولى لهذه الجماعة عربية كانت أم بربرية، أم من السكان

---

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق ، ص 306.

[2]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 62.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 26.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 205.

الأصليين الذين أسلموا فاندمج أحفادهم مع المسلمين، أما العبيد الذين اعتقوا، فغدوا جزءا من مجتمع أسيادهم الأولين بالولاء.[1]

وترجع النواة الأولى لدخول العرب و البربر إلى الأندلس عند اتساع مدى الفتوحات الإسلامية وذلك بإتمام فتح المغرب الإسلامي، وكان الانتصار الذي حققه طارق بن زياد على القوط هو من ثبت أقدام المسلمين بالأندلس، وتلت بعد ذلك وفود المسلمين الفاتحين على المنطقة ونتيجة لامتياز الأندلسيون بالعديد من الميزات والخصائص من بينها قدرة الاستيعاب التي امتلكها الفقهاء الأفاضل، وكان لنبوغهم الفكري وبراعتهم العلمية أثرا في نفوس خلفاء الموحدين ومن سبقهم إلى عواصمهم ومدنهم الكبرى فقربوهم منهم.[2]

و من جملة الذين هاجروا إلى بلاد المغرب الكثير من العلماء منهم " أحمد بن خالد المالقي" و هو عالم الطب والحكمة والإلهيات.[3]

و قد اتسمت حياة الأندلسيون في القرنين 05هـ و06هـ / 12مو13م بالهجرة إلى بلاد المغرب، ويتضح هذا من خلال التراجم العديدة التي وردت في شخصيات مختلفة من المدن الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب بقصد الاستيطان، و بلغ عدد هذه الهجرات الاستيطانية قرابة 80 هجرة من مختلف المدن الأندلسية، حيث يذكر جمال احمد طه نقلا عن عبد الواحد المراكشي أنه لما اضطرب أمر قرطبة رحل منها من كان فيها من العلماء و الفضلاء من كل طبقة فرارا من الموت فنزل أكثر من المغرب.[4]

---

[1]- جمال احمد طه، المرجع السابق، ص 161.

[2]- شوقي نوارة، المرجع السابق، ص 56.

[3]- عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، العصر الهجري، إلى الاحتلال الفرنسي، القاهرة ، (د.ت.ط)، 1408م، ص 206.

[4]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 161 .

4- عناصر مختلفة :

أ. الروم و الصقالبة :

عاشت طائفة منهم بأرض المغرب الأقصى، نتيجة للمعارك التي خاضها الموحدون والمرابطون بالأندلس والتي أسفرت عن الكثير من الأسرى استخدمهم ولاة الأمر في خدمتهم بالمغرب الأقصى وخاصة بالجيش حتى يستفيدوا من خبرتهم العسكرية.[1]

وقد بدأت صلة الروم والصقالبة بالمغرب الأقصى كجماعة في أول عهد المرابطين حيث عمد يوسف بن تاشفين إلى شراء جماعة منهم بلغت مائتين وخمسين فارس ليكونوا حرسا خاصا له ثم ازدادت أعدادهم بعد ذلك نتيجة للمعارك، وعند تولي علي بن يوسف بن تاشفين الحكم استخدم الروم وهذا ما دفع ابن عذارى إلى القول "و هو أي علي بن يوسف بن تاشفين أول من استعمل الروم وهذا ما أركبهم في المغرب و جعلهم يحقدون على المسلمين، و يأخذون منهم نفقاتهم وأكثر ما يجب عليهم.[2]

ولم يصبح استخدامهم قاصرا على الحراسة بل تعدى إلى وظائف مدنية أخرى كجباية الأموال حيث يقول ابن الأثير: "وكان لأمير المسلمين أي علي بن يوسف ابن تاشفين عدة كثرة من المماليك والإفرنج و الروم يغلب على ألوانهم الشقرة و كانوا يصعدون الجبل في كل مرة ويأخذون مالهم فيه من الأموال المقررة من جهة السلطان.[3]

---

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق ، ص 323.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص102.

[3]- ابن الاثير، المصدر السابق، ج 2، ص 296.

وقد دخل الصقالبة في خدمة الخلفاء الموحدين، حيث تنافس الأمراء و الملوك على اقتنائهم وملأ بلاطهم بأمثالهم،[1] وهذا نتيجة لإتقانهم ألوان عدة في الأعمال وفنون الأدب و الموسيقى و الرقص، دون أن ننسى خبرتهم العسكرية في مجال القتال، حيث أن المنصور الموحدي قام في سنة 586هـ/1190م، بتجهيز جيوشه من اشبيلية إلى قصر " أبي دانس " من غرب الأندلس، فنزلوا على حكمه فاحتملهم إلى مراكش وهم ينتمون إلى الروم و الصقالبة وغير ذلك من سكان البلاد.[2]

ب. الأغـزاز:

و هم من جنس الترك ، تقع بلادهم في أقصى المشرق على تخوم الصين،[3] ولقد استعان بهم المرابطون في جيوشهم، ونقلت الدولة الموحدية الطائفة منهم إلى المغرب الأقصى ويقول حسن علي حسن نقلا عن المراكشي:"و في أيام أبي يعقوب ورد على المغرب وأول من وردها من الغز، و ذلك في آخر سنة 574هـ، وما زالوا يكثرون عندنا إلى آخر أيام أبي يوسف".[4]

و عند تولي المنصور الحكم زادت طائفتهم وخاصة بعد المعارك التي دارت بين الموحدين و بين الثوار بإفريقيا وانضمام الغز للثوار ووقوعهم في الأسر نتيجة هزيمتهم ونقلهم إلى العاصمة مراكش،[5] و قد انضم هؤلاء الغز إلى الجيش الموحدي وصارت لهم مرتبات شهرية حيث يقول المراكشي: "

---

[1]- أحمد مختاري العبادي، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، (د.ت.ط)، ص 197.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص 40 .

[3]- عمر فروخ، معالم الأدب العربي في العصر الحديث، دار العلم، بيروت، ط1، 1980، ج1، ص 162 .

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 325.

[5]- المرجع نفسه ، ص 325.

فأحسن نزلهم أي أحسن المنصور الموحدي نزل المماليك، وبالغ في تكريمهم و جعل لهم منزلة ظاهرة على الموحدين.[1]

و هكذا تمتع الغز في عهد المنصور الموحدي بعدة مزايا مالية نتيجة انضمامهم في الجيش الموحدي، ووصل به الحد إلى أن يوصى بهم بعد وفاته بالاستمرار في معاملة الغز معاملة طيبة، حيث يقول ابن عذارى: "حيث قد وصى أي المنصور الموحدي في مرض وفاته على معاملة الغز معاملة حسنة".[2]

خامسا: أراء بعض المؤرخين حول موقف الموحدين من أهل الذمة وخاصة اليهود منهم.

لقد قام بعض الدارسين باتهام الموحدين بالقسوة ضد اليهود وذلك من خلال تعميم هذا الاتهام على كل تاريخ هذه الدولة، فلذلك ينبغي أن تدرس وضعية اليهود فيها سواء فيما يتعلق بواقعهم الاجتماعي أو الاقتصادي أو غيرهما من المجالات الأخرى، وذلك بطريقة نقدية صارمة عند مختلف الإشارات الواردة في المصادر، وخاصة عند مظاهر تعسف الموحدين ضد اليهود و التي صورتها بعض الدراسات بصيغ تهويلية، وهي تدور حول القضايا و الجوانب الآتية : إكراه اليهود على الدخول في الإسلام، و إلغاء عقد الذمة، وتمييز لباس اليهود، ودفع اليهود إلى الهجرة نحو المشرق، ولقد تم الاقتصار في هذا الفصل على قضية إكراه اليهود على الدخول في الإسلام ، و قضية إلغاء عقد الذمة، أما قضية تمييز اليهود بلباس، فسيتم التطرق إليها في الفصل الثاني، و قضية هجرة اليهود للمشرق في الفصل الثالث.

[1]- شرقي نوارة، المرجع السابق، ص 59.

[2]- ابن عذارى ، المصدر السابق،ج3، ص 87.

أ- إكراه خلفاء الدولة الموحدية اليهود والنصارى على الدخول في الإسلام :

لقد وردت قضية إكراه الموحدين أهل الذمة وخاصة اليهود وإرغامهم على الإسلام في مصدرين مغربيين، أولهما كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي الذي ستأتي رواياته، أما المصدر الثاني فهو كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة، والذي أشار بشكل مقتضب إلى يهود غرناطة الإسلاميين "الذين أسلموا على كره "[1]، وذلك حينما تكلم عن مشاركتهم في التمرد بغرناطة سنة 557هـ/1162م، ولم يعطينا تفاصيل عن وقائع أخرى.

ولقد وردت كذلك هذه القضية في بعض المصادر المشرقية، وتحدثت عنها وذلك بناء على موقف الخليفة عبد المؤمن بن علي من أهل الذمة وخاصة اليهود منهم ، وقد تبنت هذه المصادر موقفين، تمثل الأول منهما في ربط ذلك بحادثة فتح تونس والمهدية سنتي (554-555هـ/ 1159-1160م)، أما الثاني فقامت هذه المصادر بتعميم هذا الإكراه على العصر الموحدي كله.

وتمثل أصحاب الموقف الأول فيما ذكره المؤرخ أن الخليفة عبد المؤمن بن علي بعد أن فتح تونس سنة 554هـ/1159م"عرض الإسلام على من بها من اليهود والنصارى، فمن أسلم سَلِم ومن امتنع قُتِل"[2]، وقد ذكر النويري هذا القول نفسه نقلا عن ابن الأثير ،[3] وذكر كذلك التجاني هذا القول ونسبه للمؤرخ ابن شداد.[4]

أما أصحاب الموقف الثاني فقد ذكر ابن القفطي (ت646هـ/1248م) في ترجمة موسى بن ميمون: "ولما نادى عبد المؤمن بن علي الكومي البربري المستولي على المغرب في البلاد التي ملكها بإخراج اليهود و النصارى منها، وقدر لهم مدة، وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه ما

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص123.

[2]-ابن الأثير، المصدر السابق ،ج2، ص 63 .

[3]-النويري ، المصدر السابق ، ص123 .

[4]-التجاني، المصدر السابق ، ص347 .

للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومن بقي على رأي ملته فإما أن يخرج قبل الأجل الذي أجله، و إما أن يكون بعد هذا الأجل في حكم السلطان مستهلك النفس والمال، ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون، وبقي من ثقل ظهره وشح بأهله وماله فأظهر الإسلام وأسر الكفر"[1]، أما المؤرخ ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م) فذكر بعد قرون أن عبد المؤمن قام منذ سنة 542هـ/1147م بإحضار "اليهود والنصارى وقال لهم :" إن الإمام المهدي أمرني ألا أقر الناس إلا على ملة واحدة وهي الإسلام وأنتم تزعمون أن بعد الخمسمائة عام يظهر من يعد شريعتكم، وقد اقتضت المدة و أنا مخيركم بين ثلاث: إما أن تسلموا، و إما أن تلحقوا بدار الحرب، و إما أن أضرب رقابكم، فأسلم منهم طائفة، ولحق بدار الحرب أخرى، وأخرب عبد المؤمن الكنائس والبيع وردها مساجد وأبطل الجزية وفعل ذلك في جميع ولايته"[2].

و لقد ذكر النويري تفصيل فتح المهدية سنة 555هـ/1160م، لم تذكره المصادر وهو أن النصارى سألوا الخليفة عبد المومن بن علي " الأمان لمن فيها من الفرنج على أنفسهم و أموالهم ليخرجوا منها ويعودوا إلى بلادهم، فعرض عليهم الإسلام فأبوا، ولم يزالوا يستعطفوه حتى أجابهم و أمنهم و أعطاهم سفنا فنزلوا فيها وساروا إلى جزيرة صقلية، وكان الفصل شتاء فغرق أكثرهم، ولم يصل منهم إلى صقلية إلا القليل، وكان صاحب صقلية قد قال: لو قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين بجزيرة صقلية و أخذنا حرمهم و أموالهم"[3].

[1]- القفطي، المصدر السابق، ص 209 .

[2]- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و النشر، ج5،ص281 .

[3]- النويري، المصدر السابق، ص 424.

ب- اضطهاد خلفاء الدولة الموحدية اليهود:

إن الكثير من الدراسات الحديثة ذهبت إلى القول بأن اليهود عاشوا في بلاد الغرب الإسلامي، ولمدة قرنين من الزمن، وذلك منذ سنة 448هـ/1056م، إلى نهاية العصر الموحدي في شبه عزلة[1]، وقد تراجع المؤرخ اليهودي قرقوز من اتهام الموحدين بالتعصب ضد اليهود،[2] إلى ذكره أن أوضاع اليهود تحسنت في عهدهم، وهذا ما وصف به المصادر اليهودية المعاصرة للموحدين بأنها اتسمت بالمبالغة في خاصة في ذكر تعصب الموحدين ضد اليهود خاصة مرثية أبراهام بن عزرا (466-565هـ/1073-1163م) التي ذكر فيها ندب يهود فاس و مكناسة و سبتة و مراكش ودرعة ، وهي مؤرخة بسنة 1148/546 [3]، وقد نبه سيمون ليفي أيضا إلى أن هذه المرثية " رامت إثارة الألم واستدرار الدموع، مما يقلل من أهميتها كمصدر إخباري"[4]، وهناك أيضا مرثية ابن عزرا التي تذكر قصة الربي يهودا بن سوسان الذي تزعم إحدى الروايات أنه أحرق حيا لرفضه الدخول في الإسلام سنة 567هـ/1165م [5].

وذكر أيضا جان جربير أن معاملة الموحدين القسوة لليهود قد شكلت تحطيما لحياتهم، وأدت إلى هجرة عدد منهم إلى البوادي و تحولوا إلى ممارسة الزراعة، لكن ذلك لم يكسر سيطرتهم الاقتصادية التي استعادوها بعد زوال الدولة الموحدية، يلاحظ من هذا القول أن جربير ربما قال هذا اعتمادا على

---

[1] -Granzel ,Solomon, A History of the jews, America,1948,p 724.

[2] -Corcos David , » vThe jews of Moroco under the Marinides »,in the History of the jews, jewish Quarterly Review.0 LIV, 1963-64. (pp.271-287).p.280 .

[3] -Eisenbeth. Les juifs au Maroc, essai historique. Alger, Imprimerie Charras, 1948,p29 .

[4] -Simon Levy، Essais d'histoire et de civilisation judéo-marocaines. Rabat, centre Tarik. Ibn Zyad .2001.p158 .

[5] -Corcos David, op-cit, p283 .

إشارات متأخرة عند الحسن الوزان إلى وجود ساكنة، يهودية كثيرة في البوادي و الجبال في عصره[1]، وأرجعها بالتالي إلى العصر الموحدي.

كذلك اعتبر شمعون ليفي أن عبد المؤمن هو من " ألغى عهد الذمة لليهود و النصارى الذين كان عددهم كبيرا بالأندلس و المغرب فلم يكن أمامهم إلا الإرتداد عن دياناتهم أو مغادرة البلاد، لكن بعض المصادر الداخلية تؤكد تنكر العديد من اليهود و إخفاء ديانتهم، رغم ذلك فالمجتمع المغربي لم يقبل بهؤلاء اليهود المتنكرين، ولا شك أن العديد من اليهود قد دخلوا في الإسلام و استمروا عليه خلال هذه الفترة مشكلي بذلك أجداد اليهود الذين عرفوا فيما بعد بالإسلاميين بمدن فاس و مكناس وغيرها وأيضا في بعض القرى حيث تشير الرواية الشفوية إلى الأصول اليهودية لبعض الأسر"[2]، ومع هذا فقد أكد ليفي أن مراسلات موسى بن ميمون (تبين أن ملاحقة الموحدين لليهود كانت أقوى بالأندلس ، ولم يسجل على الموحدين اقتحامهم لمنازل اليهود"[3]

وأما جوايتاين فلقد أشار إشارة تحتاج إلى تبصر وإعادة نظر، وذلك فيما يخص كلامه عن فتح المهدية قائلا: "غزو البلاد على يد المسلمين المتعصبين جماعة الموحدين، الذي قاموا بقتل المسيحيين واليهود، كما قاموا بقتل المسلمين الذين لم يتقبلوا معتقداتهم"[4]، وزاد على هذا أيضا قوله أن :" الموحدين قاموا ابتداء من عام 542هـ/1147م، بالهجوم على التجمعات اليهودية والمسيحية في بلاد الغرب الإسلامي واضطهدوهم لأكثر من جيلين"[5].

---

[1] - Corcos David,op.cit.pp117.124.

[2] -Simon Levy, op-cit, pp.37-38 .

[3] - Ibid, p.71 .

[4] - جوايتاين ، دراسات في التاريخ الإسلامي و النظم الإسلامية، الكويت، وكالة المطبوعات، 1980م، ص 228 .

[5] - المرجع نفسه، ص228 .

هذا بالرغم من أنه يقر بصمت وثائق الجنيزة في هذا الموضوع بقوله : "ولم تعطنا تقارير الجنيزة تغطية كاملة لأخبار هذه الكارثة الأخيرة، ووضع جدار من الصمت على أخبار تونس في هذه الفترة ، لكن هنالك تقرير مفصل عن الموحدي في مراكش و الجزائر ،فقد كان يشار إليهما في سجلات الجنيزة"[1].

هذا ولم يكشف عن طبيعة المواضيع التي أثارها هذا التقرير المفصل للوثائق بالنسبة للفترة و البلدان المشار إليها، ويبدو من خلال تصريحات جوايتاين ، وهو الخبير بوثائق الجنيزة وغيرها ، أنه يفتقر إلى مادة جديدة تدعم ما يميل إليه ، فقرر بطريقة ملتوية أن يتبنى فرضية الاضطهاد اعتمادا على تخمينات مجردة[2]، ويذكر كولفان سبب اضطهاد الموحدين اليهود قائلا: " أن الموحدين انتقموا من اليهود بسبب ولائهم للمرابطين، وخيرهم بين الإسلام أو الموت ، وهكذا قضي على جماعات يهودية بتلمسان ومكناسة وفاس وسبتة ومراكش وسجلماسة، ولم تعد موجودة، وكثير من اليهود اعتنقوا الإسلام كرها "[3].

أما روجي لوترنو فذهب إلى القول بأن: " اليهود الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام رسميا، ثم اشتبه في أنهم يمارسون ديانتهم سرا، أجبروا على ارتداء أزياء خاصة تبعث نوعا ما على الاستهزاء، لكي يسهل على المسلمين تمييزهم "[4].

---

[1]- جوايتاين، المرجع السابق، ص228 .

[2]- محمد المغراوي ، المرجع السابق، ج1، ص116.

[3] -Goulven. »Notes sur les origines anciennes des Israelites du Maroc « .Espérais, tome1.1921, (pp 317336).p335 .

[4] -روجي لوترنو، حركة الموحدين بالمغرب، تر: أمين الطيبي، تونس، الدار العربية للكتاب، 1982م ، ص 88 .

ت- رأي المصادر المغربية حول موقف خلفاء الدولة الموحدية من اليهود:

إن ذكر تفاصيل قضية الموحدين واليهود في المصادر المغربية ضئيل بالنسبة لغيرهم من المصادر الأخرى، لكن يرى أن في مجملها تقرر نتيجة واحدة، فعبد الواحد المراكشي ذكر أن عبد المؤمن بن علي أمن النصارى الذين بالمهدية "على أنفسهم، على أن يخرجوا له عن البلد ويلحقوا بصقلية بلدهم حيث مملكة صاحبهم، ففعلوا ذلك "[1]، أما ابن أبي دينار، وهو مؤرخ تونسي متأخر، فقد انفرد بالقول أن عبد المؤمن بن علي لما فتح المدينة "قتل خلقا كثيرا من النصارى الذين كانوا فيها"[2]، ولا ندري مستنده في هذا الخبر الغريب المناقض للمصادر المعاصرة للحدث، واكتفى البيدق بعدم ذكر شيئا عن فتح مدينة المهدية سوى استسلامها بعد الحصار[3]، وكما اكتفى كذلك ابن صاحب الصلاة الذي اقتصر على القول بأن النصارى نزلوا عنها، فأورد قطعة شعرية تؤكد الانتصار على النصارى منها[4]:

وطهر هذا السقع منن كل كافر وعاد بها الإسلام بعد تغيب

وكسرت الصلبان في كل بيعة ونادى منادي الحق في كل مرقب.

من خلال المقارنة بين هذه الروايات يتبين أن فتح المدن المذكورة قد تم فعلا بعد تمتيع النصارى بالأمان، وقد أكد ذلك البرزلي الذي ذكر أن فتح الموحدين لتونس تم بعد منح الأمان لجميع من فيها من أهل الذمة، حتى صارت حمايتهم عرفا يدافع عنه الناس و العلماء بالمدينة ضد أي سلطة ترغب في انتهاكه وبقي بالمدينة بعض النصارى منذ عهد الموحدين[5].

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص230 .

[2]-ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار افريقية وتوس، تح: محمد شمام، تونس المكتبة العتيقة ى،1967م، ص116 .

[3]-البيدق ، المصدر السابق، ص115 .

[4]- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص71 .

[5] - محمد المغراوي، المرجع السابق، ص 120.

وورد في تراجم بعض علماء اليهود الإشارة إلى أن سبب هجرتهم هو فرارهم من الإكراه على الإسلام، ومنهم موسى بن ميمون الذي أعلن إسلامه "ببلده وأقام، ولما أظهر شعار الإسلام التزم بجزئياته من القراءة والصلاة ففعل ذلك إلى أن مكنته الفرصة من الرحلة بعد ضم أطرافه في مدة احتملت ذلك، وخرج من الأندلس إلى مصر ومعه أهله ونزل مدينة الفسطاط بين يهودها فأظهر دينه"[1].

وللإشارة إلى أن إسلام موسى بن ميمون لم يرد في أي مصدر مغربي أو أندلسي، كما لم ترد ترجمته في أي كتاب تراجم بصفته عالما مسلما، ولا حتى مرتدا، لأنه عاش بالمغرب يهوديا إلى أن هاجر، وورد نفس الشيء في ترجمة أبي الحجاج يوسف بن يحي بن إسحاق ابن شمعون السبتي الإسرائيلي (ت622هـ/1225م) الذي "لما ألزم اليهود و النصارى في تلك البلاد بالإسلام أو الجلاء كتم دينه و تحيل عند إمكانه من الحركة في الانتقال إلى الإقليم المصري وتم له ذلك"[2].

رغم كل ما سبق من إشارات واضحة إلى مسألة الإكراه على الإسلام، يظل التمثل التاريخي لهذه العملية مسألة في غاية الصعوبة، فهل تم الإكراه بقرار رسمي ملزم وفي وقت واحد، وهل اتخذ طريقة منظمة؟ أو ببساطة ما هي الصيغة التي تم تطبيقه بها على أرض الواقع، على كل حال فإن عدم إمكانية الحصول على أجوبة عن مثل هذه الأسئلة، من خلال المصادر المختلفة، يزيد من صعوبة الحسم فيما أثير عن إكراه اليهود على الدخول في الإسلام وبالتالي يبقى باستمرار غموض هذه المسألة[3].

[1]- القفطي، المصدر السابق، ص209.

[2]- المصدر نفسه، ص257 .

[3]- مُحَمَّد المغراوي، المرجع السابق، ص121.

ث- خلفاء الدولة الموحدية وإلغاء عقد الذمة :

إن أول من أشار إلى هذه القضية هو عبد الواحد المراكشي حيث قال:" ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي و لا نصراني منذ أن قام أمر المصامدة، ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة و لا كنيسة، إنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام و يصلون في المساجد و يعلمون أولادهم القرآن، جارين على ملتنا وسنتنا، والله أعلم بما تكن صدورهم و تحويه بيوتهم"[1].

كان هذا النص هو مستند الدراسات المعاصرة في الحسم في مسألة إكراه اليهود على الإسلام و إلغاء ذمتهم دون مناقشته على ضوء غيره من النصوص التاريخية ، ولا حتى افتراض إمكانية مبالغته أو عدم دقته أو مبالغته[2] .

من الملاحظ أن قضية إسقاط عهد الذمة هو مسألة فقهية اجتهادية، وليس مسألة سياسية، وإذا سلمنا بأن الموحدين قد ألغوا عهد الذمة، فقد كان من المنتظر أن يتردد صدى ذلك في الكتابات الفقهية سواء بالموافقة أو المعارضة، وهذا ما لم يتم الوقوف عليه، فهل يمكن أن يمر قرارا سلطاني أو اجتهاد فقهي خطير مثل هذا دون أن يكون له صدى في الأدبيات الفقهية للعصر والعصور اللاحقة[3]؟.

على كل حال فإن اعتمادنا على هذا النص يضعنا أمام ضرورة اختباره وتحليله على ضوء النصوص التاريخية الموجودة دون الاستسلام له كلية .ونريد أن ننبه إلى بعض المسائل التي أثارها ومنها[4]:

---

[1]- المراكشي، المصدر السابق، ص305 .

[2]- محمد المغراوي، المرجع السابق، ص123.

[3]- المرجع نفسه، ص 123.

[4]- المرجع نفسه، ص 123.

- أن الذمة لم تنعقد لكل من اليهود والنصارى، وليس لليهود وحدهم.
- انسحاب هذا الموقف على العصر الموحدي كله منذ قيام الدولة.
- عدم وجود البيع و الكنائس ببلاد الغرب الإسلامي كلها.
- أن اليهود يظهرون الإسلام و شعائره .

وأشار قبل ذلك في نفس النص إلى عنصرين آخرين :

- أن المنصور كان متشككا في أمرهم.
- أنه لا يخفي نته في إلزامهم بالإسلام أو إبادتهم و تفييئهم إن ثبت له كفرهم .

ولمناقشة مضمون هذا النص نشير إلى أن المراكشي لم يذكر إكراه اليهود على الدخول في الإسلام، ونبدأ بقضية إلغاء عقد الذمة، التي رغم وجود شواهد أخرى تعززها، من مصادر أخرى، فإنها لا تحسم الموضوع ولا تعطينا تصورا دقيقا حول معناها التاريخي، ومن هذه المصادر كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة لابن النقاش الدكالي الذي أشار إلى أن " عهد ذمتهم أي أهل الذمة انقضى من سنة ستمائة من الهجرة النبوية "[1]، في المغرب، واستمر العمل به إلى سنة 700هـ/1301م، فنلاحظ إذًا أن أول خلاف بين المراكشي وغيره هو في تحديد تاريخ إلغاء عهد الذمة .

في جميع الأحوال فإن هذه الإشارات تؤكد أن الأمر يتعلق بإلغاء ذمة اليهود والنصارى على حد سواء، ولا يخص اليهود وحدهم، ويؤرخ المراكشي هذا الإجراء بقيام أمر المصامدة، بينما يقدم ابن النقاش تاريخا محددا هو سنة 600 هـ/ 1201م، لبدء العمل بإسقاط الذمة[2].

وخلاصة القول يمكن القول بإن موقف الموحدين من اليهود هو إقدامهم على إلغاء الذمة في مستواها القانوني بإسقاط الجزية، الشيء الذي فهم على أنه تنكر كامل لأهل الذمة، واستدعى كل

[1]- ابن النقاش، محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي (ت 1362/763)، المذمة في استعمال أهل الذمة ، تحقيق عبد الله إبراهيم بن علي الطريقي، الرياض، دار المسلم، ط1،1416م ، ص114 .

[2]- محمد المغراوي، المرجع السابق، ص 124.

ما ذكر عن قسوتهم مع اليهود بالخصوص، مع أن الواقع التاريخي يشهد على استمرار وجود اليهود والنصارى كجماعات ذات حضور اجتماعي وتأثير اقتصادي واجتماعي، وتعبير ثقافي.

الفصل الثاني.

الحياة الاجتماعية لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية.

- التركيبة الاجتماعية لأهل الذمة في الدولة الموحدية.
- عادات وتقاليد أهل الذمة في الدولة الموحدية.
- المرأة الذمية على عهد الدولة الموحدية.
- التأثير والتأثر بين أهل الذمة والمسلمين على عهد الدولة الموحدية.

أولا: التركيبة الاجتماعية لأهل الذمة في الدولة الموحدية:

عرفت الدولة الموحدية كغيرها من الدول تواجدا هاما لأهل الذمة من مسيحين ويهود، حيث انحصر التواجد المسيحي في فئتين هما: فئة التجار المقيمين في أحياء خاصة تصعب من مهمة التعرف عليهم واستقراء تركيبهم الاجتماعي، حيث يسود الكثير من الغموض في معظم المصادر والوثائق المتوفرة إلا تعاملاتهم الاقتصادية وعلاقاتهم التجارية مع الدولة الموحدية، والفئة الثانية تتمثل في شريحة الخدم في القصور أو الأسرى القابعين في سجون الدولة والذين تقع على عاتقهم الأعمال الكبرى، يضاف إليها الجند الذين استعملهم الموحدون كميليشيات في بعض العصور.

ولقد أهملت الوثائق الجوانب الاجتماعية لهذه الفئات بصفة كبيرة، وبسبب قلة المعلومات المتوفرة عن العنصر المسيحي، فإننا نرى أنفسنا مضطرين أن نقتصر في هذا الفصل عن الجانب الإجتماعي لأهل الذمة على الحديث عن العنصر اليهودي وتركيبته الإجتماعية وبعض العادات المتعلقة به، مع إيراد ما توفر عن تواجد المسيحيين التجار على أرض الموحدين.

1/ مكانة اليهود والنصارى في المجتمع الموحدي:

شكل المجتمع اليهودي ببلاد الغرب الإسلامي طبقة من طبقات المجتمع الموحدي، التي سنحاول التعرف عليها من خلال الآتي:

أ- اليهود:

لقد كانت أوضاع المجتمع اليهودي في بلاد الغرب الإسلامي مع بداية الدعوة الموحدية لا تختلف كثيرا عن أوضاع الآخرين فقد كان يميزها التسامح، وخاصة أن الدولة الموحدية قامت على أسس دينية، فقامت بينهم علاقة على أسس الشريعة الإسلامية المتمثلة في عقد الذمة الذي يربط المجتمع الإسلامي مع غيره من الفئات الأخرى، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوع أوقات تغيرت فيها المعاملة وذلك في مراحل تداول الحكام على الحكم أو عند قيام اليهود بتجاوز حدود الذمة، وبسبب

الاضطهاد الذي كان يعيشه اليهود في الأندلس من طرف النصارى، شهدت بلاد المغرب الإسلامي توافد عدة هجرات يهودية[1]، إضافة إلى الموقع التجاري الذي تمتعت به المنطقة، والذي جعلها محطة أنظار الكثير من التجار اليهود، ومن بين هؤلاء اليهود:

أ.1 – اليهود الأهالي[2] (التوشابيم)TOCHABIM:

تطلق عليهم المصادر اليهودية:(les indigènes)، وهم الذين يمثلون الأساس الاجتماعي لليهود في بلاد المغرب منذ أقدم العصور،[3] فوجود اليهود بالمغرب كان قبل الإسلام، حيث يذكر ابن خلدون أن الكاهنة البربرية كانت تدين باليهودية،[4] ويضيف ابن عذارى أن مملكة يهودية قامت بالسوس عرف ملكها باسم مزدانة، وتذكر إحدى الوثائق العبرانية أن أول مملكة قامت في المغرب هي مملكة يهودية بالريف، ولكن مع مرور الزمن أصبح عددهم يتناقص ويتراجع حسب الظروف التي تطرأ عليهم.[5]

---

[1]– مصطفى بن حموش، يهود الأندلس في تلمسان (قصة النزوح والإقامة)، مجلة الوعي، مطبعة الديوان، الجزائر، عدد4/3، 2011، ص173.

[2]– Maurice Eisenbeth, Les Juif en Algérien, esquisse historique depuis LesOrigines Jusqu à nos, Extrait de Lèncyclopédie Coloniale et Maritime Paris,PP8-9.

[3]– حمزة عبد الصمد، أهل الذمة في الدولة الزيانية (633-962هـ/ 1235-1554م) دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية، أطروحة الدكتوراه، تخصص حضارة إسلامية، قسم حضارة الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، 2017/2016م، ص149.

[4]– ابن خلدون، المصدر السابق ج2، ص107.

[5]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص45.

أ.2- أماكن تواجد اليهود على عهد الدولة الموحدية:

كان لليهود خلال العصر المرابطي وجود بعدد من مدن ومناطق المغرب و الأندلس،[1] وظلت تجمعاتهم قائمة ونشيطة خلال العصر الموحدي أيضا، وكانت أعدادهم بعضها كبيرة، كما كان تأثيرهم قويا في المجال الاقتصادي في عدد من مدنها، كسجلماسة التي كان يهودها يسيطروا على نصيب مهم من التجارة الصحراوية، أدى إلى اغتناء العديد من تجارهم،[2] أما مدينة فاس التي كان الغنى شائعا في يهودها[3] فقد ظلت خلال العصر الموحدي أكثر بلاد المغرب يهودا كما كانت من قبل[4] واستمرت كذلك لقرون لاحقة،[5] ومن المدن الأخرى التي احتضنت ساكنة يهودية خلال نفس العصر أيضا سبتة،[6] ومكناسة وبادس،[7] و أزمور و أغمات وريكة.[8]

ورغم أن المرابطين قد منعوا اليهود من المبيت بمراكش،[9] فإن هذه الوضعية قد تغيرت خلال العصر الموحدي، فسمح لهم بسكناها وصار لهم بها حي خاص،[10] أما وجودهم في المناطق البدوية

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص255 .

[2]- ينظر: البكري، المصدر السابق، ص149. مؤلف مجهول، الاستبصار، ص202 .

[3]- المصدر نفسه، ص202 .

[4]- ينظر: البكري، المصدر السابق، ص149. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 230 .

[5]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص284 .

[6]-القزويني، المصدر السابق، ص534،201.

[7]- مارمول، المرجع السابق، ص231 .

[8]- محمد ابن عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق، ص ص46-47 .

[9]-الإدريسي، المصدر السابق، ص 235 .

[10] -G. Deverdun. Marrakech des origines a 1912, Rabat, 1959,p140 .

فكان ببلاد فازاز،[1] وتامسنا، إضافة إلى بلاد درعة التي كانت بها سلسلة من التجمعات اليهودية المهمة و القديمة ، وكان "أكثر تجارها اليهود".[2]

وبالنسبة للأندلس كان اليهود يقيمون بعدد من المدن الكبرى مثل قرطبة و إشبيلية،[3] وكان بعدد من المدن ساكنة يهودية كثيرة العدد مثل غرناطة التي عرفت "بغرناطة اليهود ، لأن نازليها كانوا يهودا"،[4]وطركونة التي وصفت أيضا بأنها " مدينة اليهود"،[5] وكانت ساكنة أليسانة بقرطبة مكونة في في أغلبها منهم،[6] وحسب صاحب الحلل الموشية فقد "انفرد بسكانها اليهود"،[7] وكذلك الشأن بباقي بلاد المغرب.

ب- النصارى:

لقد حظي المجتمع النصراني بمكانة اجتماعية مرموقة في الدويلات الإسلامية، بحيث مثلوا شريحة من شرائح المجتمع وتمركزوا في أهم المدن الموحدية، فاختلطوا بالمسلمين وشاركوا في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، مما نتج غن ذلك اندماج وتبادل للثقافات والعادات.

وتذكر مختلف المصادر التاريخية أن الخليفة عبد المؤمن بن علي لما دخل المهدية وجد بها النصارى، فطلبوا منه الأمان على أنفسم وأموالهم أو السماح لهم بالخروج منها، لكن الخليفة الموحدي أراد أن يعرض عليهم الإسلام إلا أنهم فضلوا الرحيل على الدخول فيه،[8] قائلين له في ذلك: "ما جئنا

---

[1]- ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص187 ، ابن عبد المنعم ، الروض المعطار ،ص435 .

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 451 .

[3]- ابن القطان ، المصدر السابق، ص217 .

[4]- مُحَمَّد ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص45 .

[5]-الإدريسي، المصدر السابق، ص191.

[6]- ينظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص80. ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،بيروت ، دار الثقافة ، ط5، 1987 ،124/3 .

[7]- مؤلف جهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص58 .

[8]- ابن كردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صلاح بن عبد الله الغامدي، المدينة المنورة، ط1، 2008م، ج1،ص38.

جئنا لهذا نطلب فضلك، وترددوا إليه أياما وقالوا ما عسى المهدية وما فيها من الإفرنج بالنسبة إلى ملكك العظيم وأمرك الكبير، وإن أنعمت علينا كنا أرقائك في بلادنا"،[1] ومنه سمح لهم الخليفة بمغادرة المدينة مجهزا لهم سفنا وخرجوا في البحر إلى صقلية.

كما عرض عبد المؤمن الإسلام على نصارى مراكش وقال لهم: "إن الإمام المهدي أمرني أن لا أقر الناس إلا على ملة واحدة وهي الإسلام[2].

أما في أواخر الحكم الموحدي فقد تمتع النصارى بحرية أكثر مما كانت عليه، فسمح لهم عدة مرافق كالملاجئ، وإقامة كنيسة في مدينة مراكش،[3] وتعدى الأمر بالسماح لنصارى فاس بدق أجراس كنيستهم[4]، كما أن نشاطهم الديني تعدى إلى القيام بالتبشير والتنصير، فقد نشطت حركة التوحيد خاصة مع انطلاق المذهب "الفرنسيسكاني"[5] سنة 604هـ/1208م، وقد تم قتل أربع مبشرين أرسلوا من طرف المجمع المدني سنة 617هـ/1220م من طرف الموحدين، ولم ينجوا إلا واحد فرّ إلى المغرب الأوسط ثم إلى الأدنى[6].

---

[1]- التيجاني، المرجع السابق، ص349.

[2]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة، تق وتع: مُحَمَّد حسي شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1992م، ج5،ص271.

[3]- بديعة الخرازي، المرجع السابق، ص ص 25-27.

[4]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص170.

[5]- جماعة دينية مسيحية تأسست على يد الراهب فرنسي الآسيري، وقد انبثقت عن الطائفة الكاثوليكية، ومع الزمن تفرغت إلى ثلاث فئات منها: الكبوشينس، رهبان فرنسيسكان وأديرة فرنسيسكان، والهدف منها تحدي التراجع الروحي والنمو الحضري والانتشار السريع للبدع. بوحلوفة مُحَمَّد أمين، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي(914هـ-1508م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير فيالتاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م، ص80.

[6]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، تونس، رجب 1414هـ/1994م، عدد11، ص27.

ومن مظاهر التسامح والتمازج الاجتماعي ما حدث في عهد الخليفة الموحدي المنصور، حيث ذُكِر أن قحطا أصاب مراكش فخرج النصارى للدعاء والاستسقاء مع سكان المنطقة.[1]

وهناك بعض الكتابات الغربية تقول عكس ذلك، مثل ما قاله الكاتب جورج مارسيه وهو يشيد إلى التعصب والتضييق الذي تعرضت له الجماعات النصرانية، وبسبب مجموعاتها القليلة الكثافة لم يتبقى منهم الكثير حتى وقت المحن، وتكاد تختفي مع الوجود الموحدي،[2] ولقد تركب المجتمع النصراني من عدة طبقات نذكر منها:

ب.1- أصحاب الوظائف السامية (القناصل والموثقون):

تعتبر مهمة القنصل والموثق من الوظائف السامية في الدولة الموحدية، حيث كان القنصلي يقوم بمهام القضاء بين التجار والمقيمين بالفنادق، كما أنه يقوم بتعيين النواب عنه بالمدن الساحلية والموانئ، أما عن الموثق، فتمثلت مهمته في توثيق الأعمال بين مختلف طبقات المجتمع خاصة التجار منهم، فكان على علاقة وطيدة بالسكان وذلك لإتقانه اللغة العربية، ومثالا عن ذلك أن الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور عقد معاهدة للتجارة تضمن حرية تجارة بيزة في كل من وهران، تبسة، بجاية وتونس، لإنشاء الفنادق في هذه المنطقة، و هذه الفنادق عبارة عن حي كبير أو مدينة صغيرة تحتوي على كل المرافق الضرورية للتجار النصارى، ووجدت بها دكاكين وكنائس وكاتب عدل، وكان لهم قنصل خاص بهم[3].

---

[1]- حسين علي حسين، المرجع السابق، ص372.

[2]- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف الإسكندرية للتوزيع، (د.ت.ط)، ص308.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، المرجع السابق، ص94.

ب.2 - **المرتزقة:**

تمثلت هذه الطائفة في جند النصارى الذين انضموا إلى جيش الخليفة يوسف بن تاشفين أواخر الحكم المرابطي لقتال الموحدين سنة 534هـ/1139م، لكن بانهزام المرابطين انضمت هذه الفئة إلى جيش الموحدين، فكانوا لها عونا كبيرا في دخول مراكش 541هـ/1146م.[1]

تضاعفت أعداد النصارى بالمغرب أيام المأمون، الذي لم يكتف بما حواه جيشه من النصارى، وطلب المساعدة من دار الحرب من أجل التمكن من اعتلاء عرش الخلافة،[2] في أواخر الحكم الموحدي إزداد عدد النصارى المرتزقة، وذلك بسبب الاستعانة بهم في إخماد الثورات التي كانت تثير القبائل،[3] ومن ذلك إخماد ثورة مُحَّد ابن هود الماسي،[4] وهذا ما فعله أيضا الرشيد في صراعه مع زعيم "الخلط" إذ استعان بالنصارى وحرضهم على قتله.[5]

كذلك استخدم النصارى كقادة في الجيش الموحدي، ومن أشهر هؤلاء أبو الحسن علي، وهو ابن الربرتير الفارس النصراني الذي أسره المرابطون، فجعله الأمير علي بن يوسف قائدا على جنده من المرتزقة النصارى، ليعتنق الإسلام فيما بعد ويسمى بأبي الحسن علي، ليصبح من كبار القادة في البر والبحر في الجيش الموحدي.[6]

كان استخدام الموحدون للنصارى كقادة في جيوشهم سببا في سقوط مدن إسلامية، وذلك ما حدث عندما استخدموا القائد "بلاسكودي الأجون" واليا في جيش بلنسية لنحو سنتين، وبعد

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص183.

[2]- نوارة شرقي، المرجع السابق، ص76.

[3]- ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ص150. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص37.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص183.

[5]- المصدر نفسه، ص183.

[6]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص355.

رجوعه إلى بلده أطلع الملك على أماكن ضعف بلنسية وحصونها مما أدى لسقوطها في يد الملك خايمي[1].

2/ عادات وتقاليد أهل الذمة على الدولة الموحدية:

أ/- الأعياد الدينية لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية:

تعتبر الأعياد والحفلات من الظواهر التي عرفها البشر منذ القدم، وهذه الأعياد والحفلات ترتبط ارتباطا وثيقا بشعيرة من الشعائر الدينية أو الاجتماعية، وعلى ذلك فقد كان لليهود والنصارى احتفالا بأعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية في ظل الدولة الموحدية، وهذا مظهر من مظاهر تسامح المسلمين مع أهل الذمة.

أ.1- أعياد اليهود:

كان المجتمع اليهودي كغيره من المجتمعات الأخرى يحتفلون بأعيادهم الخاصة في المجتمع الإسلامي بصفة عامة، و المجتمع الموحدي بصفة خاصة، إذ يذكر الونشريسي بأنهم كانوا يحتفلون بأعيادهم في أوقات معينة، إذ كانت لهم أعياد شرعية جاءت في التوراة و أعياد غير شرعية[2]، فالشرعية كانت تخضع للتشريع العام "الحلخة HALAKHA"، وأخرى غير شرعية حيث أنها أصبحت جزءا من العادات والأعراف التي خلدتها الممارسات الطويلة القديمة.[3]

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص92.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 111.

[3]- عطا علي ريه، المرجع السابق، ص103.

أ.1.1- الأعياد الشرعية:

يذكر بأنها خمسة أعياد نصت عليها التوراة[1] وهي كالتالي:

1- عيد رأس السنة:

وهو عيد رأس السنة العبرية ويعرف أيضا باسم روش هاشاناه،[2] ويسمى أيضا بعيد النيروز، وهو من الأعياد الفارسية،[3] ومعناه اليوم الجديد،[4] وسماه المقريزي بعيد البشارة،[5] لهذا اليوم دلالات دينية وقدسية مختلفة، فقد جاء أنه اليوم الذي بدأ فيه الإله خلق العالم،[6] كما أنه يمثل يوم الحساب السنوي الذي تمر فيه كل المخلوقات جميعها أمام الله، لذا وجب على اليهودي أن يحاسب نفسه في هذا اليوم عما ارتكبه من ذنوب طوال العام، فيكثر من الصلاة وقراءة التوراة،[7] و هي شبيهة بعيد الأضحى عند المسلمين،[8] ومن أبرز عادات اليهود في هذا اليوم أكل فواكه متعددة كالتفاح وأكل العسل تمنيا بذلك حياة حلوة للسنة الجديدة، ويكثر يهود المغرب الأوسط أكل التمور، ويمنعون

---

[1]- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ج2، ص 436. النويري، المصدر السابق، ص187-189.

[2]- ينظر: حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 112. فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص142

[3]- النويري، المصدر السابق، ص 184.

[4]- خديجة قروعي، ظواهر اجتماعية مسيحية وإسلامية في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الإمارة (92هـ/711م -316هـ/929م)، دار المحاكاة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1433هـ/2012م، ص400.

[5]-كواتي مسعود، المرجع السابق، ص112.

[6]- عطا الله علي ريه و مُحَمَّد شحاتة، يهود المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة، دمشق، سوريا، ط1، 1999، ص103.

[7]- حمزة عبد الصمد، المرجع السابق، ص188.

[8]- حسن ظاظا، المرجع السابق ص142

استعمال الليمون والخل والملح ويستبدلون الزيتون الأسود بالأخضر، كما يستبدلون اللباس الأسود بالأبيض، وكل هذا لجلب السعادة والخير.[1]

2- عيد الفصح:

يعرف هذا العيد ب "بيساح" في العبرية، ويعرف كذلك بعيد الفطر، ويحتفل به إبتداءا من اليوم الخامس من شهر نيسان (أفريل) اليهودي، ويدوم سبعة أيام،[2] يحرم العمل في اليوم الأول والأخير وتقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة، ويعتبر هذا العيد أول أعياد الحج اليهودية الثلاثة،[3] وخلال هذه الأيام يأكل اليهود الفطير، وينظفون بيوتهم من خبز الخمير، وهذا تذكيرا لهم بأن وقت خروجهم مع النبي موسى عليه السلام لم يكن لهم وقت للتأنق في الأكل وانتظار العجين حتى يتخمر، وكل من يأكل خبزا مخمرا كأنه فصل نفسه عن اليهودية،[4] كما كان هذا الاحتفال ذكرى نجاتهم من فرعون وغرقه، وخروجهم من صحراء التيه بعد نجاتهم من سطوة فرعون.[5]

3- عيد يوم الغفران:

يعرف بالعبرية "يوم كيبور" وكلمة كيبور من أصل بابلي ومعناها "يطهر"، والترجمة الحرفية للعبارة العبرية "يوم الكفارة"، ويطلق عليه اسم " سبت الأسبات" كما يسمى أيضا "عيد صوماريا"، وهو عندهم الصوم الكبير، مدة هذا الصوم خمس وعشرون ساعة، يبدأ فيها قبل غروب الشمس من

---

[1]- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 142.

[2] - مسعود كواتي، المرجع السابق، ص219.

[3]- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهودية والصهيونية، مج2، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2006م، ج1، ص86.

[4]- غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، عمان، الأردن،ط1، 1994، ص15.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ص111.

اليوم التاسع من شهر تشرين الأول(أكتوبر) وينتهي بغروبها في اليوم الموالي، وهذا الصوم بالنسبة إليهم يوم تمام الأربعين الثالثة التي صامها موسى عليه السلام. [1]

يتفرغ في هذا العيد للعبادة، و يذبح فيه الطيور ذات الريش الأبيض خاصة الدجاج لكونه رمز للطهارة والغفران، و يفطرون على الحلويات و من أشهرها حلوة" البولو" المصنوعة بالزبيب و "خبز الجوز" في الغرب الإسلامي،[2] أما عقوبة تارك هذا فهي القتل.[3]

حيث يعلن اليهود في هذا اليوم نقضهم للعهود التي قطعوها لغير اليهود، ويختمون احتفالهم بصلاة النعيلة التي تعلن أن السماوات قد أغلقت أبوابها.[4]

4- عيد المظلة "عيد الظلل":

يطلق على هذا العيد في العبرية "سكوت"،كما سمي بمسميات أخرى منها: "عيد السلام"، "عيد البهجة"، يحتفل به في الخامس من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ويدوم سبعة أيام[5]، وآخر ليلة من هذه الأيام السبعة تعتبر ليلة مقدسة،حيث يقرؤون التوراة، ويحضرها الأطفال الذين يسهرون، ثم يبدؤون بالتسلل إلى الخارج كبارا وصغارا لمراقبة السماء لعلهم يباغتون اللحظة التي تنكشف فيها تلك الليلة فتحقق أمنياتهم،[6] ثم إن هذه التسمية "المظلة" نسبة لبقاء اليهود أو بنو إسرائيل تحث المظل فرار من فرعون،[7] ويطلق عليه "حجاسيب" أي عيد التخزين و هو عيد الزراعي يحتفل فيه بتخزين

---

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ص426.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص 436. النويري، المصدرالسابق،ص195.

[3]- عاشور مُحَمَّد وحسن ظاظا، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، ط1، 1975م، ص203.

[4]- عطا علي ريه، المرجع السابق، ص117.

[5] زكي شودي، المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 275

[6] حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص ص 252-253.

[7]- زكي شودي، المرجع السابق، ص 275.

المنتوجات الزراعية لذلك يسمى بعيد الحصاد،[1] وكان اليهود يأكلون فيه شربة اليقطين أما الخبز فيدق و يمزج بالحليب والعسل، وكانوا يأخذون الأغصان و يضربون بها على الكراسي داخل المعبد معتقدين بذلك أن ذنوبهم تتساقط بسقوط أوراق الغصن.[2]

5- عيد الأسابيع:

يشار إليه بالعبرية بكلمة "شفوعوت" أي الأسابيع، ويعتبر من الأعياد المهمة عندهم، ويعرف كذلك بعيد العنصرة أو عيد الحصاد، ويكون بسبعة أسابيع بعد عيد الفصح، يحتفل به في اليومين السادس والسابع من شهر سيوان(ماي)، يصنع اليهود فيه القطائف ويتفننون في صنعها ويأكلونها تذكارا للمن والسلوى الذي انزل على أسلافهم ويعرف بعيد الخطاب،[3] لزعم اليهود أن الله خاطب بني إسرائيل في طور سيناء.[4]

أ.1. 2- الأعياد الغير الشرعية:

لقد استحدث اليهود أعيادا أخرى غير الواردة في التوراة، وتعتبر هذه الأعياد المستحدثة بمثابة ذكرى لبعض من مراحل التاريخ اليهودي عبر العصور التاريخية ومنها:

1- عيد الفوز:

يدعى هذا العيد بالعبرية بعيد "بوريم" وهذه الكلمة مشتقة من "بور" البابلية التي تعني القرعة أي النصيب، كما أطلق العرب على هذا العيد " عيد الشجرة" أو "عيد المساخر"، ويحتفل به في الثالث عشر من شهر آذار إلى غاية الخامس عشر من نفس الشهر، ويعتبر اليوم الثالث عشر من

---

[1]- خالد أبو الحسن على القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين، تح و تع: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 1، 1986، ص 154.

[2]- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص170.

[3]- ينظر: القلقشندي، المصدر السابق،ج2، ص 466. المسيري، المرجع السابق، ص89.

[4]- زينب عبد الله أحمد كرير، المرجع السابق ص 196- 102.

هذا الشهر ذكرى لليوم الذي أنقذت فيه إستير(زوجة أحد ملوك الفرس) يهود فارس من المؤامرات التي دبرها هامان لذبحهم،[1] وذكر القلقشندي بأن:" اليهود يصومون قبله ثلاثة أيام، وفي هذا العيد يصوّرون في الورق صورة هيمون ويملئون بطنها نخالة وملحا ويلقونها في النار حتى تحترق يخدعون بذلك صبيانهم"،[2] وتوزع فيه الحلويات على الفقراء والأصدقاء وحتى المسلمين، فكانوا يصنعون الفطير المحشي بالتمر، والقمح المدقوق الممزوج باللبن، وفي آخر النهار يحضرون السمك واللحم بالخضر والدجاج ويضيفون عليه رغائف صغيرة من الخبز محشية ببيضة مسلوقة وتسمى "عين عمان"،[3] التي تعتبر ذكرى لتحطيم المعبد، وجلب النحس لبني إسرائيل.[4]

2- عيد التدشين:

ويسمى هذا العيد بالعبرية "الحانوكة" أو " الحانوخة"، ومناسبته التاريخية لتسميته التدشين هي دخول يهودا الحشموني (المكابي) القدس وإعادته الشعائر اليهودية في الهيكل،[5] حيث أن يهود المكابي حينما دخل الهيكل وجد أن الزيت طاهر أي أن الذي يحمل ختم كبير الكهنة لا يكفي إلا ليوم واحد، وكان من الضروري أن تمر ثمانية أيام لإعداد زيت جديد، كما تنص التوراة، فحدثت المعجزة واستمر الزيت في الاحتراق ثمانية أيام بدلا من يوم واحد، لهذا صمم لهذا اليوم شمعدان خاص من تسعة فروع،[6] ويسمى أيضا بعيد التنظيف لأن اليهود زعموا أن هيكل سليمان نظف من الأوثان الأوثان زمن البطالمة،[7] ويدوم هذا العيد ثمانية أيام، إذ توقد الشموع أمام البيت من اليوم الأول شمعة

---

[1]- المسيري، المرجع السابق، ص 85.

[2]- القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 428.

[3]- المسيري، المرجع السابق، ص85.

[4]- ينظر: فاطمة بوعمامة، المرجع السابق ص146. حمزة عبد الصمد، المرجع السابق، ص194.

[5]- المسيري، المرجع السابق، ص 84.

[6]- غازي السعدي، المرجع السابق، ص14.

[7]- زينب عبد الله، المرجع السابق، ص202.

واحدة إلى غاية يوم الثامن لتكتمل الشموع الثمانية، يقومون بالصلاة و قراءة سفر الخروج، كما يهتمون بصناعة الأكل المميز له إذ يكون من قمح و الزيت المحروق، و الكسكس بالدجاج و سيفيري و هو نوع من السفنج بالعسل.[1]

وفي هذا العيد يحتفل فيه بإعداد الطعام والأفراح واللهو، وكما يعد "الحانوكة" مناسبة للألعاب والتسلية للأطفال،[2] وتشعل الشموع أمام مدخل البيت لذا يسمى كذلك" عيد الأنوار.[3]

3- عيد السبت:

إن يوم السبت يوم مقدس عند اليهود وكانوا يطلقون عليه بالعبرية" شبات" فقد جعلت الشريعة اليهودية منه يوما شديد الخصوصية "من دنّسه يقتل قتلا"، ففي ستة أيام يقومون بالعمل أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدسة للرب، لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس،[4] لهذا السبب في هذا اليوم اليهود لا يعملون ولا يحترفون وتغلق المخازن، ولا يأكلون من مآكل أهل تونس لحرمتها عليهم في هذا اليوم ولا يأكلون لحم الصيد، ولا مما ذكّاه المسلون ولا النصارى.[5]

كذلك من خصوصيات هذا اليوم أن هناك عشرة أوامر ينبغي على اليهود القيام بها:

---

[1]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص ص145-146.

[2]- عطا علي ربه، المرجع السابق، ص 118.

[3]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 146.

[4]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 115.

[5]- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13م إلى نهاية القرن15م، تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص ص452-453.

تبدأ بغسل اليدين وإعداد خبزتين لكل وجبة من الوجبات الثلاث التي يتناولونها، بعدها غسل المصابيح التي تنير مائدة الطعام ثم مبارك كأس الخمر التي تفتح بها الوجبة، وعند البدأ في الطعام تبدأ مدارسة التوراة في أثناء الجلوس حول المائدة والدعاء والتسبيح وأخيرا شرب كأس الخمر الأخير.[1]

وتمثل الخبزة الأولى من الخبزتين المعدتين للوجبات الثلاث الشريعة المكتوبة، والخبزة الثانية الشريعة الشفوية، ويعتقد اليهود أن في يوم السبت نار جهنم تخبو فلا تحرق شيئا، ويبدأ الاحتفال بيوم السبت ظهر كل جمعة ويستمر إلى ما بعد الغروب من يوم السبت.[2]

وجد في المغرب الأقصى عند اليهود شعرا يروونه في يوم السبت، وهو عبارة عن تراتيل خاصة تجمع بين الرمز الروحي والأمل في الرجوع إلى الأرض المقدسة، ومن الشعراء الذين نظموا مثل هذا الشعر إسحاق لوريا وسلمون هيلفي الذي قال في إحدى قصائده[3]:

لنذهب حبيبي لاستقبال الخطيبة

لاستقبال السبت علينا أن نذهب لأنه مصدر كل بركة.

4- عيد دانسيا:

وهو الذي يحتفل به عندما تبدأ أسنان الطفل تظهر[4].

---

[1]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 229-230.

[2]- عطا علي ريه، المرجع السابق، ص 115.

[3]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص229-230.

[4]- سعيداني لخضر، الأقليات الدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، ماجستير جامعة وهران، الجزائر،2012-2013م، ص40.

5- عيد الأشجار الجديدة "طاويشاط":

ارتبط هذا العيد بسقوط الأمطار لإخراج الأشجار للسنة اللاحقة، وموعده الخامس عشر من شباط(يناير)، جاء ذكره في الفصول الأولى من التلمود، ولم يحتفل به كل اليهود المغاربة، ولكن وجد عند بعض العائلات اليهودية المغربية، حيث تعد مائدة عليها الأنواع السبعة التي ذكرتها التوراة،[1] وهي الحنطة، الشعير، الكروم، التين، الرمّان، زيت الزيتون والعسل،[2] إلى جانب فرحة الأطفال بهذا العيد.

أ.2- أعياد النصارى:

لقد احتفل النصارى في الغرب الإسلامي بأعيادهم ومناسباتهم الدينية، وتعتبر هذه الأعياد من المظاهر الاجتماعية السعيدة التي يحتفل بها الناس لاستعادة الذكريات الخاصة بمناسبات معينة يتذكرون فيها الأحداث الماضية، وينسون فيها صعوبات الحياة المختلفة، وكان المسلمون واليهود يشاركونهم في بعض هذه الاحتفالات، فكان يتم إيقاد الشموع والتزين وتقوم الأسر بتحضير مختلف الأطعمة وإعطائها للجيران سواء كانوا مسلمين أو يهود أو نصارى، ومن هذه الأعياد:

1- عيد النيروز:

يسمى هذا العيد كذلك " عيد رأس السنة الشمسية"، كما يعرف بيوم عيد المسيح عليه السلام، إذ كان النصارى يصومون أربعين يوما تبدأ من 16 ديسمبر و تنتهي في 24 من شهر يناير،[3] وكان الميلاد في ليلة الرابع والعشرين من شهر ديسمبر، حيث أن هذه الليلة ولدت مريم المسيح في قرية بالقرب من القدس تسمى بيت لحم.[4]

---

[1]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص285.

[2]- التوراة، سفر التثنية الأصحاح8.

[3]- البيروني، المصدر السابق، ص ص 111، 309.

[4]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ج1، المطبعة الحسينية، مصر (د.ت)، ص 92.

ولقد كان من عادة النصارى في هذا العيد أنهم يشترون بعض اللوازم للاحتفال به كالحنة واللحم،[1] ويطبخون أنواعا من الثريد وفي اليوم الأول يصنع الأطفال الأقنعة ويتوجهون إلى الأعيان قصد طلب الفواكه وينشدون أغانيهم.[2]

2- عيد العنصرة:

يعرف هذا العيد بعيد " المهرجان" أو يوم ميلاد القدّيس يوحنا المعمدان يحي عليه السلام، ويحتفل به في 24 يونيو،[3] حيث يصادف بداية الصيف، ولقد كان هذا اليوم يشوبه الكثير من البهرجة والزينة لدرجة أن المسلمين ظلوا يترقبون موعد هذه الأعياد ليفرحوا فيها مع النصارى، وفي هذا العيد يخرج الرجال والنساء للتنزه، وترش النساء بيوتهن بالماء ويخرجن ثيابهن بالليل إلى الندى.[4]

3- عيد الفصح:

يسمى هذا العيد بقيامة المسيح يبدأ الفصح عندهم في الثاني والعشرين من شهر آذار(مارس)، وآخر أوقاته الرابع والعشرين من نيسان(أفريل)، ولا يكون الفصح إلا في يوم الأحد ويتقدم صومهم إثنان وأربعون يوما،[5] وفي هذا العيد يشترون المجبنات والإسفنج.[6]

---

[1]- الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تح: مُحَمَّد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط،(د.ت)، ص 328.

[2]- سعيداني لخضر، المرجع السابق، ص 40.

[3]- المقري، شهاب الدين احمد بن مُحَمَّد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب،ج3، طبعة جديدة، دار صادر، بيروت، 1997م، ص 128.

[4]- عمر بن ميرا، جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية، بحث منشور في مجلة الدراسات الأندلسية، المطبعة المغاربية، تونس يونيو، 1995، العدد 14، ص 59.

[5]- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، المرجع السابق، ص 71.

[6]- الطرطوشي أبو بكر مُحَمَّد بن الوليد الفهري، الحوادث والبدع، إشراف لجنة التحقيق بدار الفتح، الشارقة، ط1، 1415هـ/1995م، ص 117.

ب- أزياء وطعام أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية:

لقد حافظ اليهود على عاداتهم وعرفوا بها وهذا طيلة قرون متتالية، ومن أشهر العادات التي بقيت في يهود المغرب الإسلامي هي التحديد ويخص الذكر دون الأنثى إذ يوضع خط من الرماد على جبين المولود وتستمر هذه المناسبة أسبوعا كاملا مع ضرورة غلق الباب بإحكام على النفاس وإدخال امرأة مسنة معها بشرط أن تكون كفيفة، مهمتها ترتيل الأدعية لحماية الأم النافس من الجن والعين،[1] تليها مهمة إختتان المولود في اليوم الثامن وتسميته،[2] وانتشرت بصفة خاصة في المغرب،[3] كما كان اليهود كثيري الخوف من العين والحسد، وإذ أعرب المسلم عن إعجابه بأحد منهم فيقومون بذكر ألفاظ خاصة بهم ظنا منهم أنها تبعد عنهم العين والحسد.[4]

أما بالنسبة للنصارى فمن أشهر عاداتهم هي تقديم العصيدة للمسلمين في يوم الميلاد، فكان المسلمون يرددون وراء المسيحي كلام دون أن يدركوا معناه خاصة وأن أعيادهم كانت مزيج من الابتهاج والسرور،[5] كما أن هناك عادة سميت بدانتيستا عرف بها النصارى، وهي وليمة تقام على شرف الطفل الذي برزت أسنانه الأولى،[6] كل هذه العادات كان لها بعض الآثار السلبية على أطفال المغرب الإسلامي، إذ أصبح الصغار في هذه المناسبات يقدمون لمعلميهم في الكتاتيب النقود، كدليل على فرحة مشتركة.[7]

---

[1]- حابيم الزعفراني، المرجع السابق، ج2، ص 427.
[2]- المرجع نفسه، ص427.
[3]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص151.
[4]- المرجع نفسه، ص152.
[5]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص258.
[6]-الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص295.
[7]- البرزلي، المصدر السابق، ج4، ص211.

ولقد بقيت هذه العادات الشعبية التي خلفها اليهود والنصارى في المغرب الإسلامي، راسخة في مجتمعاته وتوارثها الأجيال، وذلك بامتزاجهم وتعاملاتهم مع أهل الذمة.

ب.1- **الألبسة:**

يعتبر اللباس شكلا من أشكال الثقافة الذي يجسد رؤية الجماعة والفرد لمجموعة من القيم والمعايير الاجتماعية، وعلى ذلك فإن وظيفة اللباس تكمن في إبراز اختلاف الامتيازات الاجتماعية والمهنية، كما يعبر عن درجة التحضر.

أخذت مسألة لباس اليهود حيزا مهما على المستوى السياسي في عهد الموحدين، أدت إلى تساؤلات عديدة، وبالرجوع إلى قاعدة الشريعة الإسلامية نجدها تنص على أنه ينبغي على المسلم أن يتشبه بالمسلم في زيه فيعرف أنه مسلم، وعلى الكافر أن يتشه بالكافر فيعرف أنه كافر، ولذلك على الكافر أن يتشبه بقومه ليعرفه المسلمون.[1]

وعلى هذا فإن تمييز اليهود بلباس خاص، أو ما يعرف بالشكلة في حق الرجال والجلجل في حق النساء،[2]لم يكن من اختراع الموحدين بل ساروا في ذلك على عرف جرى في عدد من الدول الإسلامية، فقد فرض عليهم تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار، إذ نجد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يكتب إلى الأمصار أن تجز نواصيهم وأن لا يلبسوا لبسة المسلمين حتى يعرفوا،[3] كذلك في عهد عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز.[4]

---

[1]- ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص136.

[2]- الشكلة: وتعني اللون، أي يلبسون ملابس لا تشبه ملابس المسلمين في اللون، أما عن الجلجل فهو جرس صغير. ينظر: عبد الحليم منتصر وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية للنشر، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص133.

[3]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق،ج2، ص 135.

[4]- المصدر نفسه، ص ص 183-184 .

وكان الهدف من هذا الإجراء هو سهولة التمييز بين المسلمين وغيرهم،[1] أما الزنار[2] فيعود فرضه على الذميين إلى عهد هارون الرشيد العباسي، واختلفت ملابس أهل الذمة بعد ذلك اختلافا كبيرا في الدول الإسلامية، حيث كان الفقهاء دائما يرون ضرورة تميز لباسهم عن لباس المسلمين، بل إن المحتسبين كانوا يمنعون اليهود من ارتداء لباس الفقهاء والأخيار[3].

ذكر الماوردي أنه يجب تغيير لباس أهل الذمة بلبسهم للغيار والزنار،[4] وفي ذات الموضوع يقول الطرطوشي: " ويلزمهم أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس، فإن لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالحذق، ويشدون الزنانير في أوساطهم، ويكون في رقابهم خاتم من رصاص أو نحاس أو جرس يدخل معهم الحمام، وليس لهم أن يلبسوا العمائم والطيلسان".[5]

ولقد ذكر أبو بكر بن العربي الذي عاش في الأندلس في عصر المرابطين أن حكام الأندلس منذ فتحها وحتى عصره لم يلزموا أهل الذمة بلباس خاص، ولو فعلوا ذلك لاشتهر عنهم ذلك وعرف وصف هذا اللباس.[6]

وبهذا المنطلق فلم تتوفر أخبار عن لباس يهود المغرب في عهد الموحدين إلى حدود عهد يعقوب المنصور، فهو الذي قام في آخر عهده بإلزام اليهود بلباس "ثياب كحلية وأكمام مفرطة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلا من العمائم كانوا يلبسون كَلْوَتَات على أشنع صورة كأنها البرداع تبلغ تحت

---

[1]- ترتون، أهل الذمة في الإسلام ، تر: حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1194م ،ص127.

[2]- الكلمة يونانية الأصل وتعني الحزام، وقد أصبح علامة مميزة لأهل الذمة القديم. ترتون، المرجع السابق، ص130 .

[3]- مُحَمَّد بن أحمد ابن عبدون التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، تح: فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/2009م، ص51.

[4]- لخضر سعيداني، المرجع السابق، ص48

[5]- أبو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 1414هـ/1994م، ج2، ص547.

[6]- خالد يونس الخالدي، المرجع السابق، ص274.

آذانهم ، وشاع هذا الزي بين جميع يهود المغرب"[1]، ووصف ابن عذارى من جهته هذا اللباس بقوله : "فجعل لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين، أردان قمصهم طول ذراع في عرض ذراع زرق وبرانيس زرق وقلانس زرق، وذلك في سنة خمس وتسعين المؤرخة"،[2] بينما ذكر الزركشي أن المنصور: " جعل قمصهم طول ذراع في عرض ذراع، وجعل لهم برانس وقلانس زرقا".[3]

وقد اختلف المراكشي وابن عذارى في تبرير هذا الإجراء، إذ أرجعه المراكشي لشك المنصور في إسلامهم وفي كفرهم وكان يقول:" لو صح عندي إسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم، ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أموالهم فيئا للمسلمين، ولكني متردد في أمرهم"،[4] وأرجعه ابن عذارى إلى أن اليهود " قد علوا على زي المسلمين وتشبهوا في في ملابسهم بعليتهم وشاركوا الناس في الظاهر من أحوالهم فلا يمييزون من عباد الله المؤمنين".[5]

وبهذا نجد أن اليهود منعوا من الزي الذي هو من زي المسلمين، ويذكر أن الشكلة كانت علامة مميزة باليهود المحليين، في حين أن اليهود القادمين من الأندلس ألزموا بلبس القلنسوات،[6] أما رجال الدين فلبسوا الجلباب، وإلى جانب ذلك لبسوا معطفا ذا غطاء رأس ضخم، أو برنس تفتح أكمامه من عند الكوع حتى المعصم.[7]

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،من تراث المغرب، ص251 .

[2]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط1، 1985م، ص228 .

[3]- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،تحقيق محمد ماضور ، تونس ، المكتبة العتيقة ، ط2 ، 1996 ، ص16 .

[4]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص 252.

[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص228 .

[6]- روبار برنشفيك، المصدر السابق، ج1، ص437.

[7]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص123.

أما نعال اليهود فقد ذكر الحسن الوزان أنهم كانوا يلبسون نعالا من القش،[1] وعن ملابس الأطفال فقد كانت زاهية الألوان، فارتدى أطفال اليهود صدرية بنفسجية اللون فوق ملابسهم تحميهم من البرد.[2]

ولم يدم إلزام اليهود بالشكلة إلا أشهرا معدودة، ولم يلبث المنصور أن توفي بعد أشهر من فرضها، فعمل الشاعر اليهودي الأندلسي ابن نغرالة يعد في ذلك أرجوزة من النكت من الحدثان، ويتعرض فيها للتفاؤل بهذا الأزرق للسلطان يقول فيها[3]:

لبس الأزرق ليس فيه خسارة

فافهموا يا قوم هذه الإشارة.

وبعد وصول الخليفة أبي عبد الله مُحَمَّد الناصر إلى السلطة في سنة 1198/595، وبعد توسلهم إليه سمح لهم بارتداء " ثياب صفر وعمائم صفر ، فهم على هذا الزي إلى وقتنا هذا ، وهو سنة 621هـ/1224م".[4]

أما عن النصارى فنجد أن المصادر التاريخية تبين أن ملابسهم اختلفت عن المسلمين في العصر الموحدي، ففي فترة حكم المأمون طلب البابا "هونوريوس الثالث (626هـ/1229م) بتغيير لباس النصارى وإطلاق لحاهم، فسمح لهم الخليفة الموحدي في ذلك.[5]

---

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص284.

[2] عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص123.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص229.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ،ص252 .

[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص ص 304-305.

كما أن النصارى لبسوا الزنار رغم أن الخليفة الموحدي يعقوب المنصور لم يدخله ضمن الأزياء التي أمر بها،[1] وأخذت نساء النصارى عن نساء المسلمين لبس الحجاب، فكانوا يغطين وجوههن ولا يبدين زينتهن.[2]

يبدوا أن هذا الترغيب على إلزامية أهل الذمة بلبس زي مغاير للمسلمين من طرف الفقهاء والحكام والذي يعد في حكم المستحب وليس الواجب، ما هو إلا وضع لحد تكبرهم وتجاوزهم على الإسلام والمسلمين، ومن الفتاوى التي تقول بذلك نجد فتوى ابن عبدون: " يجب أن لا يترك أحد من المتقبلين ولا من الشُرط ولا من اليهود ولا من النصارى بزي كبار الناس، ولا بزي فقيه، ولا بزي رجل خير... يجب أن تكون لهم علامة يعرفون بها على سبيل الخزي لهم"[3].

ب.2 - **الأطعمة:**

يحتل الغذاء أهمية كبيرة في حياة الإنسان، فمنذ أن خلق وهو يسعى إلى البحث عن الطعام، واكتشاف طرق لتحضيره وتهيئته، فكان لكل مجموعة بشرية غذائها الخاص بها والذي كان يخضع لظروف متعددة، طبيعية، دينية، أو نتيجة لامتزاج ثقافات مختلفة بسبب الهجرة أو الغزوات والحملات العسكرية، وعلى ذلك فقد أصبح الغذاء يعتبر إحدى المزايا التي تعكس تاريخ وثقافة المجتمعات.

---

[1]- جمال طه، المرجع السابق، ص264.

[2]- هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفراق، عمان، ط1، 1984م، ص362.

[3]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص51.

وتؤكد المصادر التاريخية الاهتمام الكبيرة بالطعام الذي كان قائما عند أهل الغرب الإسلامي، و ذلك بسبب الاختلاط بين المسلمين من جهة وأهل الذمة من جهة أخرى انتقلت الكثير من الوصفات والعادات الغذائية.[1]

ولقد كان لليهود عادات أخرى يقولون أنها تستند إلى تعاليم دينية[2]، وهذه العادات الغذائية تسمى بالعبرية "كاشروت" وهي مأخوذة من الكلمة "كاشر" أي مناسب أو ملائم، وهي قوانين مصدرها "التوراة" خاصة بنظام الأكل وطريقة إعداده وطريقة الذبح، لذلك سمي "كاشر" أي الطعام المباح أكله على الشريعة اليهودية.[3]

وفي ذلك يقول السموأل بن يحي الأندلسي الذي كان يهوديا وأسلم:" فما بال هؤلاء (اليهود) لا يأكلون من أيدي المسلمين اللبن والجبن والحلوى والخبز، وغير ذلك من المأكولات"،[4] كما أن محرمات أخرى تعلقت بالأعياد كتحريم أكل الخبز المخمر في عيد الفصح.[5]

وفيما يُحِلُّونه من الحيوانات التي لها أربعة أرجل والتي لها ظلف مشقوق وليس لها أنياب، وتأكل العشب، وعلى ذلك فإن الخيل مستثناة ولحمها محرم، لأنها ليست من ذوات الأظلاف المشقوقة، وكذلك الجمل لأنه ذو خف ولا ظلف، وتحرم الأرانب لأن لها أظافر ويحرم الخنزير بالرغم

---

[1]- رجب مُحَمَّد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية "دار الهدى"، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، شركة دار الإشعاع للطبع، بيروت للنشر، جامعة القاهرة، مصر، (د.ت.ط)، ص439.

[2]- السموأل بن يحي، بذل المجهود في إفحام اليهود، تق: مُحَمَّد أجمد الشامي، مكتبة الجهاد الكبرى، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ص56.

[3]- غازي السعدي، المرجع السابق، ص67.

[4]- السموأل بن يحي، المرجع السابق ، ص56,

[5]- المسيري، المرجع سابق، ص49.

من أظلافه المشقوقة لأنه ذو ناب، وتحرم السباع كلها لأنها ذات مخالب وأنياب، وتحرم الطيور غير النظيفة التي تأكل الجيف مثل الصقر والنسر والبومة والحدأة والببغاء.[1]

وعن ذبائحهم فإن اليهود اتبعوا طريقة ذبح على الشريعة اليهودية مشددة، تبدأ من شروط السكين إلى كيفية الذبح وشروط الحيوان المذبوح وصلاة الذبح "صلاة الذبح الشرعي" حتى أن هذه المهمة لا يتولاها إلا الذي يعرف الذبح الشرعي وهو الذي يطلق عليه "شوحيط"[2].

تقاسم اليهود أكلاتهم من مختلف اللحوم مع جيرانهم المسلمين، وفي ذلك اختلف الآراء حول أكل هذه الأكلات أو تركها فقد جاء في كتاب الحسبة لأحمد بن عبد الله الجواب عن الشطر الثاني من النازلة فيقول: "... ولا بأس أن تكون لهم مجزرة على حدة"،[3] ومن خلال هذا النص يتضح أنه من الواجب أن تكون لأهل الذمة قصابة خاصة بهم لوحدهم، ولا يجوز شراء اللحم منهم رغم أن شرعة اليهود توجب الذبح.[4]

وبالمقابل نجد رأي آخر في فتوى ابن العربي عندما سئل عن حكم أكل دجاج أهل الكتاب معهم إذا سلوا عنقه أو أخذ الطعام عنهم، فقال بجواز ذلك: "فالله أباح لنا طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه الذي أبيح لهم... أما إذا حرم عليهم وكذبهم الله في إباحتهم له فلا يحل أكله".[5]

أكله".[5]

---

[1]- المسيري، المرجع السابق، ص 49.

[2]- المرجع نفسه، ص 50.

[3]- أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق، في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص ص 94-95.

[4]- بوحلوفة أمين، المرجع السابق، ص88.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص9-10.

أما عن الحيوانات المائية فلم تحل الشريعة اليهودية إلا السمك الذي له زعانف وعليه قشور، وفيما عدا ذلك فكل صيد البحر حرام، ويمنع اليهود من أكل الأسماك الملساء وأنواع الأخطبوط والجمبري والسرطان.[1]

ويبدو أن النصارى قد اختلفوا مع اليهود فيما يخص أكلات البحر، وذلك أن بعض الأكلات النصرانية انتقلت إلى المجتمع الإسلامي منها: أكلة "الحوت المروج" أو "صفة لون من الحوت الكبير الجرم" وكذلك "ذو الفلفل المسحوق على الطعام".[2]

كان التأثر اليهودي بمسلمي الأندلس واضحا في الطعام وأصنافه، وذلك لما جاء ذكره في كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس أنه كان لليهود أسماء خاصة في طبخاتهم تسمياتها مشتقة من التسمية العربية فوجد:"حجلة يهودية"، "لون يهودي محشو مدفون"، "لون من فروخ يهودي"، "لون من حجلة يهودي"[3].

ولقد ارتبطت بعض عادات الأكل بالمناسبات والأعياد، فقد أشار "آشتور" إلى أن أفراد العائلة يأكلون فرادى بينما يجتمعون لتناول الطعام أيام السبت والأعياد، ومن الأكلات المفضلة في هذه الأيام نجد الفطائر المختلطة بالخل والنبيذ والتي تدعى "بوادير"، وكذلك الهريسة المصنوعة من الدقيق واللحم المقطع، إضافة إلى الفطير المحشو بقطع الدجاج والفطر،[4] وأثناء اجتماع العائلة على

[1]- غازي السعيد، المرجع السابق، ص56.

[2]- مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، صحيفة مُحَمَّد للدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، 1962/1961م، ص68.ص25.

[3]- المصدر نفسه، ص25.

[4]- يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص286.

مائدة الطعام تتلى صلاة المائدة حسب التعاليم التلمودية، والتي ينبغي على الشخص الذي يتلوها أن يضع على رأسه قلنسوة أو غطاء أو حتى طرف معطفه.[1]

ويضيف آشور أن الأطعمة الخاصة بالأعياد والولائم الخاصة بالطائفة اليهودية يتولى الأغنياء الإنفاق عليها، وأن في هذه المناسبات كان المضيف يستأجر طباخا معروفا بمهاراته وخبرته الطويلة، وكان هذا الطباخ يقدم الفواكه للضيوف ثم يليها الحمام المطبوخ بالخل، وتنتهي الوجبة بالحلويات، ثم يضع الخدم الفاكهة على طاولات صغيرة مستديرة.[2]

في يوم عيد الميمونة في شهر نيسان ذكرى تحرير بني إسرائيل من الأسر يقدم اليهود السمك الطازج المغلف بأوراق خضراء والذي يزين بخمس حبات فول أخضر وخمس بيضات وخمس نقود فضية أو ذهبية، ثم يوضع السمك داخل الدقيق، وأوراق الزهور وأعشاب خضراء وسنابل من القمح أو الشعير والحليب، كما أنهم يحضرون أنواعا عديدة من الحلويات من أشهرها بغرير بالعسل "موفليتة".[3]

– الخمر:

عرف اليهود شرب الخمر، فقد كان لهم دور كبير في صناعته وفي تجارتهم وبيعهم وكونهم يشربونه في مناسباتهم الخاصة وحياتهم العامة، تأثر بعض المسلمون بهم وراحوا يشربون الخمر، وكون

---

[1]– عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص162.

[2] Achor , the jews of Moslem spain , vol 3,jenny Mashlouitz Klein,AromKlecn,jewichPublicition society,1992, p160.

[3]– عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص162.

الشرع الإسلامي يمنع الخمر ويلعن صاحبه وحامله وشاربه،[1] فقد لجأ بعض المسلمون إلى اليهود لشرائه منهم.[2]

ونظرا لارتباط اليهود بهذه الحرفة فقد حاول المسلمون الحد من ظاهرة تفشي الخمر بين المجمعات فقاموا بتحريم بيع أصول الكروم لهم.[3]

ج/- الـــــــزواج عند أهل الذمة في الدولة الموحدية:

الزواج في مفهومه الواسع نظام اجتماعي له قواعده و أحكامه التي تختلف من حضارة إلى أخرى، هو لبنة أساسية لبناء الأسرة،[4] وهذه الشرعية مستمرة لفترة طويلة من الزمن ولم يحدث ما يعكر استمراريتها،[5] وفي المجتمعات الإسلامية تستمد شريعتها من النصوص الشرعية كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَالاَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً "[6].

---

[1]- حسين مؤنس، نصوص سياسية من فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1420-2000م، ص20.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ص69.

[3]- عطا علي مُحَمَّد شحاتة، ، المرجع السباق، ص125.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص21.

[5]- إحسان مُحَمَّد حسن، العائلة والقرابة والزواج، دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة الزواج في المجتمع العربي، بيروت، 1981م، ص15.

[6]- سورة النساء، الآية 1.

ج.1- الزواج عند اليهود:

تأكد الشريعة اليهودية على الزواج، فقد جعلته من الواجبات الدينية، ويعتبر أنه من المطالب التي وجهها الله للإنسان،[1] فالشريعة اليهودية نصت على أن الزواج فرض على كل إنسان مهما كانت حالته الاجتماعية والصحية، إذ تفرض الزواج على الصغار والكبار والفقراء والأغنياء والعلماء والجهلاء لأنهم يجب عليهم الاشتراك في استبقاء النسل.[2]

جاء في التلمود أن الذي لا يتزوج إنما يعيش عيشة بلا بهجة، بلا بركة، بلا مال، وأن العازب ليس له بمعنى الكلمة،[3] لكن ذكرت بعض المصادر التاريخية نجد من عزف عن الزواج مثل اليهودي الأندلسي إسحاق بن قسطار (ت448هـ/1056م)، الذي لم يتخذ قط فيها امرأة.[4]

تحرم الشريعة اليهودية الزواج بين اليهود وغيرهم والذين هم في نظرهم كفارا، يستوي في ذلك المسلمون والنصارى والوثنيون، ولهذا ينظر اليهود إلى الزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو العكس باطل، ويعتبرونه نوع من أنواع الزنا والفجور.[5]

كما أن نظرة اليهود للنساء غير اليهوديات هي نظرة دونية، فهم يعتقدون أن لهم الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات أي الغير يهوديات، فهن في نظر التلموذ وشراحه من الحاخامات

---

[1]- صابر أحمد طه، نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص10.

[2]- مسعود كواتي ، المرجع السابق، ص127.

[3]- صابر أحمد طه، المرجع السابق، ص10.

[4]- صاعد أبو القاسم صاعد ابن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985، ص205.

[5]- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص231-232.

كالبهائم، يجوز لهم امتلاكهن والتمتع بهن والتصرف فيهن كيفما يتصرف اليهودي في الأنعام والأرزاق.[1]

ومما ساعد على تكوين هذه الصورة لليهود في أذهان المسلمين، أن اليهود ينظرون إلى الناس بعين النقص والازدراء إلى أبعد غاية فقد جاء في التلمود: "أن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وبقية الشعوب"، وأظهر التلمود كرها شديدا وحقدا خاصا للمغاربة. فجاء فيه: "إن سكان المغرب شعب من المجرمين".[2]

كذلك لا يجوز عند اليهود نكاح العاقر أو من بلغت سن اليأس إلاّ إذا كان الرجل قد قام بفرض التناسل أي أنه أنجب من قبل أولادا ذكورا.[3]

يجوز عند اليهود الزواج من بنت الأخ وبنت الأخت، بينما لا يجوز للمرأة أن تتزوج ابن أخيها أو ابن أختها، وحرم الكثير من فقهائهم زواج بنت الأخ، حيث أن الحادثة التي وقعت مع الشاعر الأندلسي موسى بن عزرا والذي أحب ابنة أخيه، وطلب أن يتزوجها إلاّ أن أباها قابله بالرفض،[4] هذه المسألة تعد خلافية فقط، حيث أنه سمح ليهود الأندلس بالزواج على طريقتهم الخاصة ولم يعارضوا حتى في الزواج من المحارم، وهذا استنادا على تشريعاتهم الخاصة بالأسرة والزواج ومصادرهم التلمودية القديمة، والتي يكملها ويعدلها العرف،[5] وكما جاء في المدونة "قلت أرأيت أهل الذمة إذا كانوا يستحلون في دينهم نكاح الأمهات والأخوات وبنات الأخ أتخليهم على ذلك؟ قال:" أرى أنه

---

[1]- مسعود كواتي ، المرجع السابق، ص ص111-112.

[2]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص306.

[3]- عمر رضا كحالة، الزواج، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة2، 1400هـ-1980م، ج،2، ص ص32-33.

[4]- ينظر: خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص294. حسن ظاظا، المرجع السابق، ص ص232-233.

[5]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج1، ص277.

لا يعرض في دينهم وهم على ما عوهدوا عليه، فلا يمنعون من ذلك إذا كان ذلك ما يستحلون في دينهم"[1].

ج.1.أ - خطوات الزواج عند اليهود:

حدد سن الزواج في الشريعة اليهودية مابين ثلاثة عشر بالنسبة للمرأة و ثمانية عشر سنة أما بالنسبة للرجل فثلاث عشر كحد أدنى، ويمكن أن يتجاوز هذا السن كما يعتقد اليهود إن الزواج يتقرر في السماء قبل ميلاد الإنسان بأربعين يوما[2].

ولقد كان ليهود المغرب نظامان للزواج:

أ- الزواج القشتالي:

وهو نظام يعطي مساواة قانونية عند فسخ عقد الزواج بسبب وفاة أحد الزوجين من جهة وتوزيع الميراث من جهة أخرى، كما أنه يحترم تعدد الزوجات، ولكن القرائين اشترطوا العدل عند تعدد الزوجات.[3]

ب- عقد يسمى بالصداق:

وهذا العقد الذي تعارف عليه عندهم يقدمه الزوج ويبرم أمام مجلس قضاء مكون من قاضي وشاهدين عدلين.[4]

---

[1]- الإمام مالك وآخرون، المدونة الكبرى، مطبعة السعادة، مصر، مكتبة المثنى بغداد، ج5، ص1323.

[2]- بشير عبد الرحمان، المرجع السابق، ص ص114-115.

[3]- ينظر: عطا علي مُحَمَّد شحاته، المرجع السابق، ص101. ماهر سمك، المرجع السابق، ص131.

[4]- حاييم الزعفراني، ج1، المرجع السابق، ص19.

أ- الخطبة:

يتم الزواج بعد أن يتقدم الزوج لخطبة الفتاة المراد الزواج بها، ويسمى ذلك بالعبرية "الشيدوخين"، بعدها مرحلة "الايروسين"[1]، حيث يتم الإعلان عن الخطبة وتعرف بالعامية "ملاك" أو "الرسيم" وتعتبر المرحلة الثانية بمثابة الرابطة الحقيقية بين الطرفين، فإن فسخ العقد سيحتاج إلى طلاق، وفي حالة ما إذا توفي الخاطب تعتد خطيبته عدة المتوفى عنها زوجها والتي تقدر بثلاثة أشهر.[2]

ب- **المهر أو الصداق:**

والذي يعتبر أحد أركان الزواج وشرط قانوني لانعقاده، ويستحق المهر في الشريعة اليهودية من حين العقد ولو لم يحصل دخول، مادام لا مانع من هذا الأخير، بل أنه في شريعة القرائين" يحرم الدخول بها (الزوجة) قبل قبضها المهر، كما كان يحرم تجاوزها عنه تفاديا من أن تضع نفسها موضع غير الزوجة الشرعية، كما يشترط المهر أن يكون مما يجوز الانتفاع به وألاّ يكون من الأشياء المقدسة، وألاّ يكون من الزوج قد حصل عليه من سرقة أو خيانة أو غصب أو لقطه، وإلا كان الزواج باطلا.[3]

وينقسم الصداق إلى نوعين:

النوع الأول: يتمثل في صداق يدفعه الزوج لوالد خطيبته عند عقد الخطبة، ومقدر ب200 دينار للبكر، و100 للثيب، ويمكن للزوج أن يضيف ما يشاء.[4]

والنوع الثاني: يتمثل في المؤجل وهو ما يدفع في حالة طلاق الزوج أو ميراث في حالة موت الزوج، ويثبت هذا المبلغ في عقد الزواج.[5]

---

[1]- المسيري، المرجع السابق، ص76.

[2]- حمزة عبد الصمد، المرجع السابق، ص171.

[3]- سرور محمّد شكري، المرجع السابق، ص284.

[4]- ثروت أنيس السيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص243.

[5]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص172.

ونجد تأثر العقود الزوجية اليهودية بالقانون الإسلامي واضحا في مدن الشمال الإفريقي، حيث كتبت وثيقتان للزواج، الأولى يهودية والثانية إسلامية، وفي عصر الموحدين خصيصا كان الزواج يتم وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، يوقع الحاخام على عقود الزواج كما يوقع أعداد من الشهود الذين كان بعضهم من المسلمين.[1]

ث- تقديس الزوجين وكتابة العقد:

وعليه يبارك الزواج بالقدوس، وهي مباركات الخمر السبع، ويصبح هذا الزواج قائما ويشار إلى ذلك باللفظة العبرية "تسوئين" بمعنى حمل الزوجة إلى البيت الزوجية،[2] بعدها يعقد العقد أو ما يسمى بالعبرية "كتوباه" تكتب فيه تفاصيل الواجبات الزوجية ومختلف التفاصيل الأخرى، ومن شروطه أنه يكتب داخل المعبد، ويوقع أمام الحاخام وبحضور شهود،[3] ويصحب هذا العقد بيان بكل القطع التي تحضرها العروس معها، إضافة إلى ما يتفق عليه من شروط.[4]

أما عن مراسيم الزفاف في بلاد المغرب فيقول في ذلك عبد الرحمان بشير: "أن يذهب العريس إلى الحمام الطقسي قبل الزفاف بيوم، وهذه الخطوة تمثل شريعة رئيسية للطهارة، ويصاحب ذلك تجميل العروس وصبغ شعرها باللون البرتقالي بالزعفران، ويديها بالحناء، كما كانت عادة بين الفقراء والبسطاء وهي صينية للنقود خلال استقبال التهاني، ويذهب العروسان إلى المعبد في السبت السابق واللاحق ليوم الزفاف، حيث يرتل المرتل أشعارا دينية مخصصة لهذه المناسبات"[5].

---

[1]- بشير عبد الرحمان، المرجع السابق، ص116.

[2]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص79.

[3]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص173.

[4]- سرور محمّد شكري، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978م، ص ص218-219.

[5]- بشير عبد الرحمان، المرجع السابق، ص116.

ولقد ظهرت التأثيرات البربرية على الزواج اليهودي من خلال بعض العادات، كعادة إعداد منزل مؤقت للعريس قبل مراسيم الزفاف (الزواج)، وان يحترس من كل الاتصالات مع الأقارب الذكور حتى الأخوة والوالد، وغالبا ما كان البربر يؤجرون منزلا للعريس يمكث فيه حتى يصحب عروسه إلى منزله، ومن ذلك أيضا عدم رؤية والد العروس لابنه مدة 15 و16 يوما قبل تركها منزله.[1]

ج.1.ب- **زواج اليبوم:**

وهو نظام تنفرد به الشريعة اليهودية، وتعني ضرورة زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفي عنها شريطة أن لا تكون أنجبت منه ولدا، إذ سكن أخوه معه ومات أحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى الخارج لرجل أجنبي، فأخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة، ويقوم لها بواجب أخو الزوج، والبكر الذي تلده يقوم باسم أخو الميت لئلا يمحى اسمه من بني إسرائيل، ويلتزم بذلك الشقيق الأكبر، ويباح للشقيق الأصغر (الثاني) تأدية هذا الدور في حالة رفض الأول[2]، ويسمى هذا الرفض في الشريعة اليهودية بـ "الحاليصاه" ويدعى في إسرائيل " بيت مخلوع النعل" إذ أن أرملة الأخ تصعد إلى الباب عند الشيوخ وتقول: "قد رفض أخ زوجي أن يخلد لأخيه اسما في بني إسرائيل ولم يشأ أن يقوم نحوي بواجب أخ الزوج" ثم تتقدم المرأة نحو الأخ الممتنع على مرأى من الشيوخ وتخلع حذائه من رجليه وتتفل في وجهه قائلة:" هذا ما يحدث لمن يأبى أن يبقي بيت أخيه هكذا".[3]

[1]- بشير عبد الرحمان، المرجع السابق، ص116.

[2]- المرجع نفسه، ص117.

[3]- بوعمامة فاطمة، المرجع السابق ص121.

ج.1.ج- تعدد الزوجات عند اليهود:

تعترف التوراة بتعدد الزوجات، ولم يرد فيها نص واحد يحرم التعدد وكذلك لا يوجد نصوص في التلمود تحرم التعدد، وليس في الدين اليهودي حد أقصى لتعدد الزوجات،[1] وإن لم يكن ينص على ذلك صراحة، فقد ورد بصدده تنظيم حقوق الزوجات الأربع في مؤخر الصداق، من كان متزوجا بأربع نساء ثم ماتت الأولى سابقة الثانية، والثانية سابقة الثالثة، والثالثة سابقة الرابعة، أي سابقة الرابعة في تحصيل مبلغ "الكاتوباه" من تركة المتوفي،[2] لكن هذه الظاهرة كثرت عند الأغنياء اليهود فقط خلاف الفقراء،[3] وكان التعدد عندهم يمثل نوعا من الحفاظ على العفاف والأخلاق، فقد عرف عن رجالهم الزواج بأكثر من امرأة، ويستدل على ذلك بسؤال وجه إلى الحبر موسى بن حنون في قرطبة حول يهودي يدعى يعقوب تزوج بامرأتين هما: "ليا" و "راحيل"[4].

ويرى حاييم الزعفراني بأن تعدد الزوجات عند اليهود هو في حقيقة الأمر تساهل أريد به صون الأخلاق والحفاظ على العرف والعادة، وإلاّ فإن التشريع يسعى دوما إلى الحد منه والتقليل من ممارسته.[5]

ولقد تقرر تعدد الزوجات في التشريع اليهودي على الأسباب التالية[6]:

- ✓ اتخاذ زوجة ثانية في حالة عدم إنجاب ذكر من الزوجة الأولى.
- ✓ يسمح للزوج بزوجة ثانية في حالة عقم الأولى.

---

[1]- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص101.

[2]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 118.

[3]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص296.

[4] -Ashtor .e, op-cit, vol1,p268 .

[5]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج1، ص281.

[6]- عطا علي أبو ريه ومُحَمَّد شحاته، المرجع السابق، ص102.

- ✓ ضمان ممارسة زواج السلفة[1].
- ✓ إذا وجد الزوج بعيدا عن زوجته الأولى ويصعب عليه الاتصال بها لأسباب قهرية (طرق وعرة مقطوعة أو غير آمنة).
- ✓ إذا كانت الزوجة الأولى مريضة مما يعسر إقامة علاقة معها.
- ✓ يجيز القانون الزواج على المرأة الأولى إذا كان الزوج في سعة من الرزق ويستطيع معايشتهما معا أو منفردتين ويعدل بينهما.[2]

نتج عن تعدد الزوجات مشكلات تقوم بها على الأغلب الزوجة الأولى، وهناك حالات عديدة طلبت فيها زوجات يهوديات أندلسيات الطلاق وحصلن عليه، وأخذن حقوقهن المنصوص عليها في العقد، وذلك بالرغم من حبهن لأزواجهن، ودافعهن فقط هو رفض الإهانة التي تراها الزوجة في زواج زوجها من أخرى،[3] ولم يكن تعدد الزوجات منتشرا بين اليهود في بلاد المغرب عموما، فقد كانت عائلة الزوجة تمنع الزوج من أن يتزوج امرأة ثانية ما لم يحصل على رضا زوجته الأولى،[4] حتى أن أن بعض الوثائق أشارت إلى أنه من حق الزوجة الأولى طرد الثانية إن لم تكن على هواها.[5]

---

[1]- زواج السلفة: إذا مات زوج عن زوجته دون أن ينجبا أطفالا فإن أخاه الشقيق أو أخاه من أبيه يتزوج من زوجته، ولا تحل لغيره مادام حيا إلا إذا تبرأ منها، ينظر: حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج2، ص81.

[2]- عطا علي مُحَمَّد شحاته، المرجع السابق، ص102.

[3]- خالد يونس عبد العزيز، المرجع السابق، ص296.

[4]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج2، ص80.

[5]- عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص177.

وكانت ظاهرة تعدد الزوجات منتشرة في المدن الكبرى عنها في القرى، حيث تأثر اليهود بالعرب في المدن وبالبربر في الجبال والأودية، ولم يكن تعدد الزوجات منتشرا بين البربر رغم سماحة الشريعة بذلك.[1]

ج.1.د- الطلاق عند اليهود:

ويقصد به حل الرابطة الزوجية حال قيامها بإرادة أحد الزوجين أو باتفاقهما، وتختلف الشرائع السماوية اختلافا بينا في نظرها إلى مدى جواز هذا الطريق من طرق انحلال العلاقة الزوجية،[2] كما يقصد به أيضا إصدار حكم قضائي بانحلال الرابطة الزوجية،[3] ويعد الطلاق في العبرية عند اليهود "جيطين" ويتم الطلاق حسب الشريعة اليهودية في حكمة حاخامية، وتنتهي الإجراءات بأن يعطي الرجل زوجته قسيمة الطلاق، ويكون في حضور شهود، وتعطي نسخة من القسيمة لكل من الزوجين، والطلاق حسب نص التوراة هو حق للرجل فقط وليس للمرأة نفس هذا الحق، وإن كان من المعروف أن قسائم الزواج كانت كثيرا ما تحتوي على شروط تحمي الزوجة من أهواء الزوج.[4]

ولقد عمل اليهود على استغلال حق الطلاق وجعلوه مطلقا بلا ضابط فشاع بينهم وأصبح من الممكن للرجل أن يطلق زوجته لأسباب واهية.[5]

- الطلاق المشروع:

---

[1]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص118.

[2]- صالح محمد محي الدين الكيلاني وأنس عوض الخلايلة، الطلاق في الديانات الثلاث، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد20، 1425، أعتمد النشر في 2014/02/07، ص89.

[3]- زكي علي السيد أبو غضة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1424هـ/2003م، ص259.

[4]- المسيري، المرجع السابق، ص76.

[5]- حمزة عبد الصمد، المرجع السابق، ص179.

جعلت الشريعة اليهودية الطلاق من حق الشرع نفسه في الحالات التالية:[1]

- ✓ إذا تكرر ظهور دم الحيض ثلاث مرات متتاليات حين اختلاء الرجل بزوجته.
- ✓ إذا زنت المرأة وثبت عليها ذلك، أو إذا علم الرجل من ثقة أن زوجته تزني.
- ✓ إذا ظلت الزوجة عقيما مدة عشرة سنوات.
- ✓ إذا كان الرجل عقيما .
- ✓ إذا مرض أحد الزوجين بالصرع أو مرض أحدهما بمرض معد.
- ✓ إذا ضرب الرجل زوجته.
- ✓ عدم قدرة الزوج على توفير القوت الضروري لزوجته.
- ✓ إذا عصت الزوجة أوامر الشريعة.

خ.ب– الطلاق من حق الزوجة:

وكما قرر المجتمع اليهودي تقييد حرية الرجل في الطلاق، كذلك طلب المرأة للطلاق في أسباب مازال معمولا بها وهي:[2]

1- عدم القدرة على مضاجعة الزوجة (الجب والعنة) أي الإخلال بواجبات الاتصال الجنسي مدة ستة اشهر.

2- تغيير الدين: وهو سبب كذلك للإبعاد من المجتمع اليهودي والحرمان من كل الحقوق واعتباره عدوا لله.

3- إسراف الزوج في الفجور والفساد وإشهاره بذلك.

4- الامتناع عن الإنفاق عن الزوجة.

---

[1]- صابر طه، المرجع السابق، ص ص139-140.

[2]- لواء أحمد عبد الوهاب، مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية، وزارة الأوقاف ،مصر، (د.ت.ط)، ص213.

5- هروب الزوج من البلاد لجريمة ارتكبها.

6- سوء معاملة الزوجة باستمرار.

7- إصابة الزوج بمرض خبيث أو ممارسته عملا أو تجارة محرمة[1].

- حالات تقييد الطلاق:

وهي الحالات التي لا يمكن للزوج أن يطلق زوجته مدى الحياة:

1- اتهام الزوج لعروسه في شرفها والادعاء بعدم عذريتها:

إذا تزوج رجل امرأة ودخل بها ثم أبغضها فنسب إليها ما يوجب الكلام فيها، وأذاع سمعة قبيحة فقال: إني اتخذت هذه المرأة فلما دنوت منها لم أجد لها عذرة، يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة على عذرة الفتاة إلى شيوخ المدينة إلى الباب ويقول أبوها للشيوخ: "إني أعطيت ابنتي لهذا الرجل فأبغضها، وها هو قد نسب إليها ما يوجب الكلام فيها قائلا لم أجد ابنتك عذراء وهذه علامة عذرة ابنتي"، ويبسطان أمام شيوخ المدينة فيأخذ ذلك الرجل، ويغرمونه مائة من الفضة ويدفعونها إلى الفتاة لإذاعة سمعة قبيحة على بكر من إسرائيل، وبالتالي يكون لها زوج ولا يستطيع أن يطلقها طول عمره.[2]

2- اغتصاب العذراء الغير مخطوبة لرجل آخر:

إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها وأضجع معها وضبطا معا، يعطي الرجل الذي أضجع مع الفتاة لأبيها خمسين من الفضة، وتكون له زوجة من أجل أنه قد أذلّها، ولا يقدر أن يطلقها كل أيامه.[3]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 213.

[2]- موسى بن ميمون، دلائل الحائرين، تح وتر: حسن أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت.ط)، ص297. .

[3]- المرجع نفسه، ص294. زكي علي السيد أبو غضة، المرجع السابق، ص260.

– إجراءات الطلاق:

تتم مراسيم الطلاق في المعبد بحضور القاضي وشاهدين والزوجين معا، ويمر هذا الطلاق عبر ثلاث إجراءات متتالية وهي:

- **الإجراء الأول:** أن يكتب الزوج ورقة يثبت فيها طلاق زوجته.
- **الإجراء الثاني:** أن يسلم الزوج لزوجته الورقة بيده لتكون دليلا على أنه هو الذي أزال بكرتها قائلا: "استلمي وثيقة طلاقك، فأنت طالق وصرت حلا لغيري"[1].
- **الإجراء الثالث:** أن يطلب منها مغادرة منزله[2].

ويتم كتابة وثيقة بالعبرية وتوقع بالتاريخ العبري واسم المدينة التي يسكنها الزوجان، وتعلن الزوجة استلامها لمستحقاتها وهو ما يسمى بالإبراء، وفور خروج المطلق من المعبد بعد إتمام مراسم الطلاق تنتظرها النسوة ويسكبون عليها اللبن رمزا للصفاء والسعادة، ولا تعود لبيت أبيها في أول ليلة الطلاق إذا كان فيه نساء متزوجات، خشية أن يلقين نفس المصير، وبعد مرور 91 يوما يحق للزوجة التزوج مالم تكن حاملا.[3]

ج.1.ح– الإنجاب:

عمل اليهود على الإنجاب وأوجب على كل واحد أن ينجب ولدين أو أكثر، وهذا ما حث عليه التلمود حيث تراوح عدد الأبناء في الأسرة اليهودية في مدن المغرب ما بين ثلاثة إلى خمسة أفراد،

[1]– بشير عبد الرحمان، المرجع السابق، ص ص120،121.
[2]– صابر طه، المرجع السابق، ص134.
[3]– بشير عبد الرحمان، المرجع السابق، ص121.

كما عملت الأسرة اليهودية على تعويد ابنهم الأكبر أن يعول عائلته وأشقائه خاصة النساء منهم وذلك كمظهر من مظاهر الترابط الأسري[1].

- الاحتفال بالمولود:

كما سبق الذكر أن التلمود عند اليهود حث على الإنجاب واعتبره واجب ديني للحفاظ على النوع وتخليدا لاسم العائلة مدى الأجيال، وعلى ذلك فبمجرد أن تحمل المرأة تعم الفرحة أوساط العائلة، وفي هذه الفترة (أي فترة الحمل) تتبع الحامل مجموعة من الأوامر والنواهي التي رسختها التقاليد والعادات المتوارثة، ومع اقتراب وضع المولود يجهز "القماط"، وهو ما يعرف بالعبرية "تقطيع أتكامط" والتي تعني اللفائف التي يلف بها الطفل بعد ولادته، ولا تزال هذه اللفظة مستعملة بين عرب الشمال الإفريقي إلى اليوم.[2]

- الختان:

يقابله في العبرية اليهودية كلمة "ميلاه"، ويقال أحيانا "بريت ميلاه" أي "عهد الختان"[3]، وهو قطع الجزء الزائد من الحشفة –نهاية الرأس– من العضو التناسلي للذكر، ويسمى "الغرلة" وهو خفض الجزء الزائد في العضو التناسلي في الفرج، إلا أن ختان الذكور هو الشيء الثابت في الشريعة اليهودية، ولا وجود لنص توراتي واحد يدل على ختان الإناث.[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 117.

[2]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق،ج2، ص418.

[3]- المسيري، المرجع السابق، ص47.

[4]- زكي علي أبو السيد، المرجع السابق، ص231.

يختن الطفل اليهودي بعد ميلاده بسبعة أيام على الأكثر، حتى لو وقع اليوم السابع في يوم السبت، لأن الختان لا يفسد قداسية السبت، وإذا مات الطفل قبل مرور سبع أيام من ميلاده فإن جثمانه تختن ويعطى اسما عبريا "إبراهيم" ليكسب الهوية اليهودية.[1]

ويأخذ الإختتان شكل حفل يحضره عشرة أفراد، وهو نفسه ما يعادل النصاب اللازم للقيام بالصلاة اليهودية، ويجلس الجد على كرسي آخر يترك خاليا يسمى "كرسي إلياهو" صاحب العهد بين الإله وجماعة إسرائيل، ويقوم بعملية الختان شخص مكلف بهذه العملية يسمى بالعبرية "الموهيل" وتتم العملية داخل المعبد،[2] فتقطع الحشفة وتقرأ بركة الختان "مبارك بالله إلهنا التي أوصيتنا بفريضة الختان"، ويقرأ فقرات من سفر حزقيال 16، ثم المزمور128، طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طريقه"[3].

وبالحديث عن ختان أولاد النصارى فقد اختلف العمل بين اليهود والنصارى، فالنصارى لا يختنون أولادهم، وهم في ذات الوقت يحتفلون بعيد ختان عيسى عليه السلام، وهو أكبر الأعياد عندهم، على علمهم أن الله عز وجل أمر موسى في التوراة بالختان، ومع ذلك تركوا سنة الأنبياء جميعا.[4]

ج.2- الزواج عند النصارى:

[1]- المسيري، المرجع السابق، ص47.

[2]- المسيري، المرجع السابق، ص47.

[3]- السيد عاشور، الختان في الشرائع السماوية، القاهرة، (د.ت.ط)، ص25.

[4]- المرجع نفسه، ص25.

الزواج في المسيحية ليس واجبا دينيا كما هو الحال في اليهودية، وإنما يندب إلى عقده إذا كان وسيلة لتجنب الخطيئة بارتكاب الزنى، أما من يستطيع أن يكبح جماح شهوته، فأفضل له وأطهر أن لا يتزوج، إذ البتولية أفضل عند الله من الزواج.[1]

وعلى الرغم من مشروعية الزواج في الدين المسيحي دخل نظام الرهبنة والدعوة إلى التبتل على المجتمع المسيحي، وذلك عن طريق تعاليم بولس، فالزواج عند بولس ليس غاية في ذاته وإنما مجرد وسيلة لدرء المعصية، ويستند بولس في تفضل هذه البتولية على أساس من أن غير المتزوج وغير المتزوجة إنما يركزان كل اهتمامهما لإرضاء الرب، في حين أنه إذا تزوج الرجل فإن اهتمامه سينصرف في إرضاء امرأته وكذلك الحال إذا تزوجت، فطريق العزوبية أقصر في الوصول إلى الملكوت من طريق الزواج.[2]

ولكن بولس يعود سياق الأصحاح نفسه ويقول: "لكنك وإن لم تتزوج لم تخطئ، وإن تزوجت العذراء لم تخطئ"[3].

وعلى ذلك فإن المسيحيين يروا أنه من يقدم على الزواج إنما يختار الطريق الأسهل الذي يتبعه غالبية الناس، أما من يوثر العفة فإنه يختار الطريق الأعلى رفعة والجدير بالملائكة.[4]

ج.2.أ- تعدد الزوجات عند النصارى:

أقرت النصرانية في بدايتها ما أقرته ديانة موسى في التعدد واستمر رجال الكنيسة لا يعترضون، والدارس للإنجيل لا يجد فقرة واحدة تحرم التعدد وإن كان فيه الكثير من الفقرات التي تحبذ البتولية

---

[1]- سرور محمّد سكري ، المرجع السابق، 68.

[2]- صابر أحمد طه، المرجع السابق، ص34.

[3]- المرجع نفسه، ص35.

[4]- سرور محمّد سكري ، المرجع السابق، ص69.

"عدم الزواج" وأيضا عدم زواج الأرملة مرة ثانية،[1] ولكن من جهة أخرى نجد أن النصارى يعتبرون أن وحدة الزوجة من خصائصها، فلا يتزوج الرجل إلا بامرأة واحدة، ولا تتزوج المرأة إلا برجل واحد، ولا يجوز لأحدهم أن يتزوج مرة ثانية إلا بعد موت الأولى، فلا يجمع الرجل بين أكثر من امرأة.[2]

ومنع التعدد صراحة كان أمرا لازما برجال الدين، وذلك إعلاء لشأنهم وحتى يتفرغوا للدعوة ولا تشغلهم مشاكل النساء عن رعاية أبناء الكنيسة،[3] وفي إلزام الأسقف وحده بذلك دليل على جوازه لغيره، وفي ذلك ذكر جورجي زيدان بأن النصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بامرأتين وأكثر، ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزا عندهم، ويؤكد ذلك الأستاذ "وستر مارك" ويؤيده "أرجست فوريل" على أن الكنيسة وحدها هي من ابتدعت القول بمنع تعدد الزوجات خضوعا لمؤثرات أجنبية على المسيحية.[4]

ج.2.ب- الطلاق عند النصارى:

لقد اتفقت جميع الطوائف النصرانية على أن الزواج سر مقدس وأن الرابطة الزوجية أبدية بين الزوجين لا يجوز انحلالها خلال حياتهما كأبدية علاقة المسيح بالكنيسة، لذا ذهبت بعض الطوائف منهم كطائفة الكاثوليك إلى منع الطلاق منعا باتا وجعلوا محله ما يعرف بالانفصال الجسماني، والذي يعني توقف المعيشة المشتركة بين الزوجين في السكن والفراش والمائدة وسائر ما يتعلق بحياتهما، في حين ذهبت طائفة البروتستانت بجوازه في حالة علة الزنى، أما طائفة الأرثوذكس فقد أباحته لأسباب أخرى كثيرة.[5]

---

[1]- زكي علي السيد، المرجع السابق، ص289.
[2]- صابر أحمد طه، المرجع السابق، ص59.
[3]- زكي علي أبو غضة، المرجع السبق، ص298.
[4]- صابر أحمد طه، المرجع السابق، ص63.
[5]- المرجع نفسه، ص143.

ج.2.ج- الزواج المختلط:

بما أن الزواج في الشريعة الإسلامية يستمد شرعيته ووجوده من القرآن الكريم فبإمكان المسلم الزواج بنساء من أهل الكتاب مصداقا لقوله تعالى: "وَطَعَامُ ٱلذِينَ ٱوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُومِنَـٰتِ وَالْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلذِينَ ٱوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ٱجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ"[1].

وعليه فقد اختلط أفراد الفتح الإسلامي بسكان البلاد المفتوحة منذ اللحظة الأولى، وعاشوا معهم في وحدة وإخاء تام واندمج بعضهم في بعض عن طريق هذه المصاهرات، فكان عبد العزيز بن موسى أول من شجع على الزواج من الإسبانيات، فنراه تزوج من امرأة لذريتي REDERIC EGILONA "إنجلينو" التي تكتبها المصادر الأندلسية "أم عاصم" وسكن معها بإشبيلية في كنيسة ريبينة SANTA RIFINA[2].

والملاحظ أن ظاهرة الزواج المختلط لم تنقطع بل امتدت طول فترة الحكم الإسلامي بإسبانيا، وقي هذا السياق يورد "بيير كيشار" بأن الزواج المختلط بين نساء محليات وفاتحين قد وقع ضرورة، إلا أنه يشير إلى أن من من اللازم استبيان أن هذه العملية لم تؤثر على وحدة وتماسك عصيبة الوافدين، ويتعلق الأمر هنا بالزواج من الإماء وسبي الحملات.[3]

---

[1]- سورة المائدة، الآية 6.

[2]- ينظر: ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص57. ابن عذارى، المصدر السابق، ص23

[3]- مُحَمَّد الأمين ولد أن، النصارى اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين(422-539هـ/1030-1141م)، أطروحة الدكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012. ص98.

كما يفسر أمر الزواج بالمرأة الإسبانية ما عرفت به من سمات جمالية لا توجد عند مثيلتها العربية أو البربرية، فيذكر ابن حزم الأندلسي أن زواج الخلفاء من النصرانيات الشقراوات كان يستهويهم منذ القدم، وهذا ما يعبر عنه البيت الشعري القائل[1]:

يعيبونها عندي بشقـــرة شعـــــرها فقل لهم هذا الذي زانها عندي

يعيبون لون النـور والبتـر صـــــــلـه لـــرأى مجهـــول في الغواية ممتـد

وهو عاب لون النرجس الغض عائب ولون النجوم الزاهرات على البعد.

ويشير ابن الخطيب إلى جمال حريمهم ووصف ذلك وصفا دقيقا بقوله: "وحريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السمن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة، إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغيات والتنافس في الذهبيات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة"[2].

وقد تم التطرق لمثل هذه الحالات من زواج خلفاء موحدين من نصرانيات مثل يوسف بن عبد المومن الذي تزوج النصرانية "ساحر"، نضيف إلى ذلك زواج الخليفة الموحدي المأمون من النصرانية "حبابة" التي أنجبت له الخليفة الموحدي الرشيد[3]، ولم يقتصر الزواج من النصرانيات على الخلفاء الموحدين فقط بل نجد بعض المغاربة تزوجوا أيضا منهن.[4]

---

[1]- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة واللأُلاّف، تح: حسن كامل الصيرفي، مطبعة حجازي،1950م، ص38.

[2]- ابن الخطيب، اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تح: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص43.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 299.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص103.

وفي الأندلس صار زواج المسلمين من النصرانيات أمرا عاديا،فقد سجل التاريخ زواج النصارى من مسلمات مع نهاية العهد المرابطي وبداية العهد الموحدي، حيث أشار بروفنسال أن سيدة مسلمة دخلت البلاط القشتالي كزوجة لألفونسو وهي إحدى زوجات أبناء المعتمد ابن عباد وهو الفتح الذي قتله المرابطين، فتزوجت ألفونسو السادس والتي تعرفها الرواية القشتالية "زايدة" وكان زواجها على سبيل الانتقام من المرابطين حيث أصبحت ضمن حظايا ألفونسو السادس وأنجب منها ابنه الوحيد "شانجة" الذي قتل في معركة أقليش عام 502هـ/1107م.[1]

كان للوجود الواسع للمرأة الإسبانية في المجتمع الأندلسي أثر كبير، فقد ساعد على نشر عادات الإسبان وتقاليدهم في المجتمع الأندلسي خاصة على الحياة الاجتماعية والأدبية، فكان هذا التأثير نافعا وضارا في الوقت نفسه، ولذلك كان كثرة الزواج من هؤلاء الإسبانيات قد خلق جوا مضطربا مشحونا بالغضب والعداء، وانقسم عدد كبير من البيوت الأندلسية إلى طرفين متحاربين، يحاول كل واحد منها إلحاق الضرر بالآخر، فأبناء الإسبانيات بتحريض من أمهاتهم أصبحوا يحيكون الخطط التي تلحق الضرر بإخوانهم لأبيهم.[2]

كما كان لهم أثر على الأدب وذلك بالإيحاء إلى الشعراء بموضوعاتهم الشعرية ومعانيها وأخيلتهم، فساهم ذلك بقسط واسع في نشر الغناء الأعجمي، بل كان له أثر على لغة الشعر فمالت إلى البساطة والرقة العذوبة.[3]

كما ظهر تأثير هذه العادة من خلال الفئة الناتجة عن هذا الزواج، ألا وهي فئة المولدون حيث يشير هنري بيريس أن الزواج من النصرانيات وما نتج عنه من ظهور فئة المولدون كان له اثر

---

[1]- ينظر:أحمد طه، المرجع السابق، ص43. ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص151.

[2]- نوال الدسوقي، التأثير الإسباني في المجتمع الأندلسي وصوره في الأدب، رسالة ماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ص55.

[3]- المرجع نفسه، ص66.

كبير على الأندلس، حيث شكل هؤلاء تعادلا في الأجناس ذلك أن المرأة النصرانية ساهمت في تكوين جنس لا يمكن أن يكون عربيا ولا بربريا ولا صقليا ولا يهوديا، والصفة التي يمكن أن تكون ملائمة له هي أن ندعوه إسبانيا أندلسيا.[1]

وبذلك أصبح لهذا العنصر المولد أثر كبير وخبرة في مجال الطبخ والأزياء بفعل الامتزاج الحضاري الذي لم يقتصر على هذه الجوانب فحسب بل تعدى إلى بعض العادات العربية التي اقتبسها من الإسبان بحكم الغلبة الحضارية والعددية للعرب في الأندلس.[2]

3/- المرأة الذّمية على عهد الدولة الموحدية:

أ/- المرأة عند اليهود:

تنظر الشريعة اليهودية إلى المرأة نظرة متشددة، إذ تقتصر مهمة المرأة عند اليهود على الإنجاب وتأدية مهام البيت وتربية الأطفال، وهذه النظرة يعبر عنها الحبر اليهودي "بابا بترة" بقوله: "ما أسعد من رزقه الله ذكورا، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث"[3].

جعلت الشريعة اليهودية المرأة أقل قيمة من الرجل وأنها تابعة له، وهذا ما جاء في الموسوعة اليهودية عن وظيفة المرأة: "خلقت لخدمة الرجل وكمساعد مناسب له، فقد تكونت من أحد الأضلاع للرجل الأول "آدم" ويرتبط جوهر المرأة كمخلوق إنساني بوظيفتها كرفيقة للذكر، وإن الزوجة في مرتبة أدنى من الزوج الذي يسيطر عليها"[4].

---

[1]- هنري بيريس، الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م، ص255.

[2]- حسن مُحَمَّد جوهر، إسبانيا فردوس العرب المفقود، دار الشعب، القاهرة، 1976م، ص13.

[3]-كحالة عمر رضا، الزواج، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، ج1، ص33.

[4]- زكي السيد أبو غضة، المرجع السابق، ص23.

لم تسمح الشريعة اليهودية للمرأة بالالتحاق بالمدارس الدينية، ذلك أنها في نظرهم خفيفة عقل، وهذا ما جاء على لسان الحاخام أليعازر: "كل من يعلم ابنته التوراة فكأنما يعلمها السخافة"[1].

نجد أن الإشارات التي توضح صورة المرأة في المجتمع اليهودي قد تضاربت، فعن تعليم المرأة اليهودية ما أورده المقري عن الشاعرة قسمونة بنت إسماعيل اليهودي التي يدل تمكنها من الشعر العربي على وجود نساء يهوديات في الأندلس قد أخذن نصيب وافر من التعليم، ويرجع فضل تعلم قسمونة إلى والدها الذي كان شاعرا، حيث نظرت في المرآة مرة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزويج ولم تتزوج فقالت[2]:

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جان يمد لها يدا.

فوا أسفي يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا.

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها.

ويتجسد هذا التفريق بين مكانة الرجل والمرأة في العقيدة اليهودية كذلك في الدعاء الذي يردده اليهودي كل يوم إذ يحمد الإله على خلقه يهوديا وليس من الغير وخلقه رجلا وليس امرأة.[3]

كما اعتبرت تشريعات اليهود المرأة كالقاصر والصبي والمجنون، فلا يجوز لها التصرف في أملاكها ولا حتى البيع أو الشراء على قيد الحياة، أما الواقع فقد أثبت أن هناك نسوة قد تصرفن في أملاك أزواجهن بحرية في وقت سفرهم.[4]

---

[1]- ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ط2، 1404هـ/1975م، ص58.

[2]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص530.

[3]- المسيري، المرجع السابق، ص71.

[4]- حمزة عبد الصمد، المرجع السابق، ص170.

كما تم الفصل بين النساء والرجال في الصلوات لتجنب الاختلاط، والمرأة المكشوفة الرأس يمنع الرجل من الصلاة في حضرتها، وتتعرض هذه الأخيرة للطلاق عند خروجها إذا كانت متزوجة، أو تمنع من الزواج إذا كانت عازبة.[1]

والظاهر أن اختلاط يهود الأندلس بالمسلمين ورؤيتهم لمكانة المرأة وحقوقها في الشريعة الإسلامية وفي المجتمع الإسلامية قد أثر في عقليتهم ودفعهم للتحرر من بعض قيود شريعتهم المهينة للمرأة والبحث عن مخرج لهم من تلك القيود.[2]

ب/– المرأة عند النصارى:

كانت المرأة في النظرة المسيحية هي المسؤولة عن الخطيئة الأولى التي كانت سببا في خروج آدم من الجنة، بل ينسب بولس هذه الخطيئة إليها وحدها دون الرجل: "لست آذن للمرأة أن...، ولا أن تسلط على الرجل، بل تكون في سكوت لأن آدم جاء أولا ثم حواء، وآدم لم يغوى ولكن المرأة أغويت فحصلت على التعدي"[3].

وكانت هذه النظرة للمرأة تلخص في أنسب تعبير تصف به موقف كنيسة الآباء تجاه النساء، وهو تضارب في الأقوال، فالنساء هن خليقة الله وعطيته الصالحة للرجال، وهن أيضا لعنة العالم، فهن ضعاف العقل والشخصية، ومع ذلك أظهرن شجاعة فائقة وأخذن على عاتقهن القيام بأعمال فذة في رعاية الأشخاص وفي نشر الثقافة، ومع أنهن وصلن بأنهن مختالات ماكرات وشهوانيات، إلا أنهم

[1]– حمزة عبد الصمد، المرجع السابق، ص170.

[2]– ينظر: خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، 291. مُحَمَّد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص127.

[3]– زكي السيد أبو غضة، المرجع السابق، ص194.

اقتدن الرجال للمسيح، وتخلين عن الاتصالات الجنسية، ولم يحركن ساكنا أمام تهديدات الجلادين، ولبسن المسوح والرماد.[1]

وعلى هذا فإن مهمة المرأة الأساسية هي الزوجة أم الأولاد وسكن آدم، ويؤكد بولس هذه النظرية ناصحا كبار السن من النساء بتدريب الشابات على حسن التبعل لأزواجهن وتربية أولادهن.[2]

استطاع الاحتكاك اليومي بين النصارى والمسلمين تهذيب شخصية المسيحي وتليينها اتجاه المرأة، فكانت إبداعاتهم الشعرية تعكس هذا التغيير، فظهر الشعر الغزلي الذي يهتم بالمرأة ويعطيها جانبا من الحب وخضوعا تاما في سرية تامة حتى لا يلحق الأذى بشرف المرأة المحبوبة.[3]

4/- التأثير والتأثر بين أهل الذمة والمسلمين على عهد الدولة الموحدية:

بعد التطرق لأهل الذمة وأوضاعهم الاجتماعية داخل المجتمع الموحدي في بلاد الغرب الإسلامي، تبين أنهم كانوا شريحة ذات تأثير داخل هذا المجتمع خاصة وأن هذه الشريحة اندمجت بين أفراد المجتمع الإسلامي.

وقد بدأت أولى خطوات التعايش السلمي بين كافة طوائف المجتمع وعلى رأسهم المسلمون والنصارى عن طريق الاندماج فيما عرف تاريخيا بعادة الزواج المختلط[4]، وما نتج عنه من ظهور عنصر جديد وعاش على أرض الأندلس وهم طبقة المولدون، وما يؤكد هذه الظاهرة في تلك الفترة الأمثلة

---

[1]- المرجع نفسه، ص194.

[2]- زكي السيد أبو غضة، المرجع السابق ، ص193.

[3]- روجر بوار، التأثير العربي في الشعر الغربي الأوربي، ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ت.ط)، ج1، ص661.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص206.

التي تناقلتها الكتب التاريخية التي عبرت عن حب الرجال المسلمين للشقراوات[1]، وقد اختصت هذه الظاهرة بالنساء النصرانيات دون غيرهن، وحب الأندلسيين لشقراوات الأندلس عرف منذ عصر الخلافة الأموية بالأندلس.[2]

لم تكن هذه الظاهرة تتشارك مع نساء اليهود وذلك لمنع الشريعة اليهودية الزواج من غير اليهود، ورغم زعم إسلام بعضهم إلا أن الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب بقي مشككا في إسلامهم، وذلك من خلال قوله: "لو صح عندي إسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم"[3].

من مظاهر الامتزاج بين تقاليد أهل الذمة والمسلمين هو احتفال المسلمين ومشاركتهم أعيادهم ومواسمهم الدينية وتبادل المأكولات والهدايا بينهم، وكان ذلك أمرا عاديا في الأندلس.[4]

يذكر العزفي في كتابه الدر المنظم قائلا: "إن أبرز مظاهر التعايش بين الطرفين وضح في الاحتفال بالمناسبات الخاصة بكل فريق، فقد كان مسلمي الأندلس يحرصون على شراء الفاكهة وأنواع معينة من الحلوى والأطعمة، بل ويتبادلون الهدايا وذلك في مناسبة الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، ويضيف بأن انتشار هذه العادات بسبب ما اعتقده أهل الأندلس وخاصة المسلمين، بأن من يحتفل بهذا اليوم يكون عامه الجديد مليء برغد العيش وسعة الرزق وبلوغ الأمل"[5].

---

[1]- الزجالي، المصدر السابق، ص107.

[2]- ابن حزم، المصدر السابق، ص85.

[3]- تريمان عبد الكريم أحمد، المرجع السابق، ص68.

[4]- مُحَمَّد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص145.

[5]- أحمد العزفي ، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، نشر وتحقيق المستشرق الإسباني: فرناندو دي جرانخا، مجلة الأندلس، 1969، ص21.

ورغم أن المسلمين دخلوا إلى الأندلس بأزيائهم التقليدية المعروفة في المشرق الإسلامي وبخاصة العمامة للرجال، لكن ما لبثوا أن تشبهوا بالنصارى في أزيائهم، وفي ذلك يقول ابن الخطيب في كتابه الإحاطة: "تركوا العمائم وصاروا يلبسون الكمة الهندية، وكان أمراء المسلمين وشيوخهم وقضاتهم يلبسون القلانس"[1].

تأثر النصارى بلباس المسلمين، وهذا ما ذكره ابن غازي في كتابه ابن أخت ألفونسو سكن مكناسة وتزيا بزي المسلمين الموحدين، وأنه كان محبا للخير محبا في أهله.[2]

لقد تنوعت معاملة المسلمين لأهل الذمة في الأندلس عن المغرب الإسلامي، فلم تخرج معاملتهم من حيث الأساس كما هو مقرر في الشريعة الإسلامية فعوملوا معاملة حسنة في عموم الأندلس، حتى أننا نجد من المصادر ما تنفي وتناقض إكراه اليهود على اعتناق الإسلام زمن الموحدين مثل ما زعم به "ريموند" عند قوله: "فقد أعلن الموحدون بكل وضوح أن أية ديانة غير الإسلام في بلادهم تعد خروجا عن القانون وذلك انسجاما مع أصوليتهم المتطرفة"[3]، وعلى ذلك نستشهد براويتين أولهما رواية المؤرخ الأندلسي المعاصر للموحدين ابن صاحب الصلاة التي يقول فيها: "وكان في "بياسة" (553هـ/1158م) عالم غرناطي يدعى عبد الله بن سهل يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود"[4]، وعلى إثر هذا القول يقول خالد يونس الخالدي أنه لو كانت الأندلس

---

[1]- لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص142.

[2]- ابن غازي العثماني، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، المغرب، ط3، 1999، ص31.

[3]- ريموند شابندلين، "اليهود في إسبانيا المسلمة" ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تر: مريم عبد الباقي، ج1، ص310.

[4]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، 1987م، ص400.

خالية من اليهود وأنهم كانوا مضطرين للتظاهر بالإسلام كما تزعم مصادرهم ودراساتهم لما وجد يهود يحضرون الدروس في زمن الموحدين بالأندلس.[1]

أما الرأي الآخر فهو استشهاد عدد من الكتاب اليهود في زمن الموحدين امثال زبارا الأندلسي (ت597هـ/1200م) وهو صاحب كتاب "البهجة والسرور" ولو أنهم أكرهوا على الإسلام لما لمعت أسمائهم كيهود، وما مارسوا نشاطهم الفكري فيها.[2]

ومن أشكال تأثر يهود الأندلس بأخلاق ومعاملة المسلمين لهم هو تأثرهم بإنصافهم وحرصهم على العدل، فكانوا إذا اختلفوا مع المسلمين ورفع الخلاف إلى القضاء الإسلامي يتوجهون إليه وهم واثقون مطمئنون بأنهم سينصفون ويأخذون حقهم حتى لو كان خصمهم أميرا أو ابن أمير[3]، وفي هذا الصدد يقول الونشريسي: "سئل ابن العطار جماعة من اليهود يطالبون شخصا منهم بمظالم ودعوى، ويزعمون أن لهم براهين ببينة يهود، ويذهبون إلى محاكمة ببينة يهود، والمدعي عليه يرغب بمحاكمته عند حكام المسلمين إذ بيده وثيقة عربية بعدول المسلمين مما يطالبونه به"[4].

ووصلت حمى التأثر والتأثير بين الطرفين في العادات والتقاليد إلى حد كبير، فقد تشبه النصارى بالمسلمين في غسل موتاهم وتغطية وجه المرأة، وفي عادات تأسيس البيوت العربية الأصل لاسيما مجالس المرأة في هذه البيوت.[5]

---

[1]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص ص257- 258.

[2]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي ، المرجع السابق، ص258.

[3]- النباهي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشره: ليفي بروفنسال تحت عنوان: "تاريخ قضاة الأندلس"، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984م، ص ص56- 57.

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، ج10، ص156.

[5]- أميريكو كاسترو، حضارة الإسلام في إسبانيا، تعر: سليمان العطار، القاهرة، دار الثقافة، 1983م، ص48.

هذا وقد أقبل معظم أهل الذمة على تعلم اللغة العربية مما أدى إلى التقارب بينهم وبين العرب المسلمين وسائر الأهالي، فاللغة ليست كلمات أو حروف فقط بل هي تعبير وشعور، ووحدة اللغة تؤدي إلى وحدة الثقافة وإلى الوحدة العقلية والنفسية، وعلى ذلك أصبحت اللغة العربية لغة علم ولغة تخاطب، فتسربت مجاري التفكير في الثقافات اليونانية والفارسية والهندية إلى بغداد فأصبحت اللغة العربية أداة للتعبير في الأندلس.[1]

فهذا ألفارو القرطبي يكتب قائلا في إحدى رسائله إلى رهبان الإسبان: "...وا أسفاه إن الشبان النصارى المتميزين بمواهبهم لا يعرفون أدبا سوى الأدب العربي أو لغة سوى العربية، وهم يدرسون الكتب العربية بنهم وافتتان"[2].

يعتقد دوفورك أن المسيحيين اندمجوا بالأندلس في المجتمع العربي واكتسبوا اللغة والعادات والقيم، واعتقدوا أنهم صاروا عربا ونسو أن ميزة العرب الأساسية في الإسلام، كما يرى خوليان ريبيرا بأن اللغة الرسمية في الأندلس هي العربية الفصحى، يتعلمها الناس في المدارس ويكتبون بها الوثائق، أما في الشؤون اليومية فالحديث كان باللهجة الدارجة أي "عجمية الأندلس" الذي اعتبرها المؤرخون اللغة العامة المشتركة بين عناصر المجتمع الأندلسي لكونها مشتقة من اللاتينية ومطعمة بمفردات عربية وإيبيرية.[3]

---

[1]- فيليب حتّي، موجز تاريخ العرب، دار العلم، بيروت، د.ط، 1991، ص145.

[2]- نوال الدسوقي، التأثير الإسباني في المجتمع الاندلسي وصورته في الأدب، رسالة استكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة الاردن، الأردن، 1996، ص48.

[3]- مُحَمَّد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص144.

تنبه الطرطوشي إلى انتشار التحدث باللغة العجمية وعد ذلك الأمر هضما للغة العربية وسيترك أثرا وخيما على أبنائها، لذلك دعا الناس إلى ضرورة التحدث بالعربية الفصحة لاسيما في المساجد.[1]

وكما تأثر المسيحيون باللغة العربية، تأثر المسلمون الأندلسيون بلغة الإفرنج، فأتقن بعضهم اللغة الإفرنجية، وقد وجد مثال عن ذلك ذكره السقطي أن رجلا اشترى جارية أوهم أنها إفرنجية لكي تشترى بمال كثير، وأوهمت هي كذلك المشتري بأنها إفرنجية بإتقانها اللغة الإفرنجية،[2] واتسع التحدث بها في عصر الموحدين حتى عرف بعض الوزراء بإجادتهم للقشتالية.[3]

وقد دخلت العديد من الأسماء والألقاب الإسبانية إلى اللغة العربية مثل فرتون fortunia ولبlope وقسيkesi وغيرها. وتسمى العديد من المسلمين بهذه الأسماء.[4]

أما في المغرب الإسلامي ونظرا لاهتمام الخلفاء الموحدين بالثقافة تغلغلت الثقافة إلى أوساط الجاليات اليهودية، فظهر العديد من المترجمين والمفكرين والفلكيين[5]، فكتبوا الفلسفة وعلوم الطبيعة والطب، ووضعوا مؤلفاتهم باللغة العربية التي ساهمت في ازدهار الثقافة في العهد الموحدي، وكان من أشهر الكتاب اليهود المفكر "يهوذا" الذي ألف كتابه بعنوان "الحقيقة والإلهيات في الدين اليهودي"[6]، وأيضا من الشخصيات اليهودية البارزة ذات الإنتاج الثقافي باللغة العربية نجد موسى ابن ميمون الذي اشتهر بالطب والفلسفة والفلك، ومن أهم مؤلفاته نجد كتاب "المشنا" وسماه كتاب

---

[1]- أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص338.

[2]- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مطبعة الفحامين، القاهرة، 1351هـ، ص105.

[3]- أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المصدر السابق، ص104.

[4]- عبد المطلب مصطفى ورجب مظهر، المرجع السابق، ص66.

[5]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق ج1، ص44.

[6]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص ص256- 257.

السراج الذي كتبه بالعربية إضافة إلى الكاتب اليهودي يوسف زبارا (597هـ- 1206م) صاحب كتاب البهجة والسرور.[1]

من خلال هذا الفصل الخاص بالحياة الاجتماعية لأهل الذمة تبين أن بلاد الغرب الإسلامي قد شكل أرض إلتقاء مع شعوب مختلفة من يهود ونصارى، ووفر الظروف الناجحة لممارسة أنشطتها المتنوعة، ولذلك تميزت بوضعية تضاهي من هم في أرض المشرق الإسلامي، وهذا ما ظهر في المعاملات المتبادلة، إلا أن النصارى كان تأثرهم بالمسلمين وتأثر المسلمين بهم كان أكثر من اليهود، حيث أن اليهود التزموا بتشريعات خاصة بهم لتنظيم مجتمعهم، فنظموا تشريعات الزواج وحددوا أحكامه وإجراءاته، ورفض الأوائل منهم تعدد الزوجات ووضعوا عليه قيودا قاسية وذلك لتجنب التساهل فيه، وكما شددوا في الطلاق أيضا فلم يجيزوه إلا في حالات وتحت ظروف معينة وبإجراءات خاصة، وبذلك فلم تكن هناك مصاهرة بين اليهود والمسلمين، إلا نادرا ، خلاف النصارى فقد كانت هناك مصاهرة بينهم وبين المسلمين، وبل وحتى حكام الدولة الموحدية، كذلك بالنسبة لأعياد اليهود واحتفالاتهم فلم يتأثر بها المسلمون كما تأثروا بأعياد واحتفالات النصارى.

[1]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص258.

الفصل الثالث.

الحياة الاقتصادية لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية.

- الفلاحة:(الزراعة وتربية الحيوانات)
- الصناعة والحرف.
- التـجـارة
- النظـام المـالي للدولـة الموحـديـة.
- دور أهل الذمة في المعاملات النقدية.

شهد الغرب الإسلامي خلال عهد الدولة الموحدية حركة اقتصادية كبيرة، فقد كان للإزدهار الاقتصادي الأثر الكبير على الحياة السياسية والاجتماعية وكذا العسكرية، ولقد كان هذا الازدهار نتيجة حرص خلفاء الدولة الموحدية على النهوض بجميع المجالات الاقتصادية من فلاحة وصناعة وتجارة داخلية وخارجية، وهذا كله من أجل أن تكون هذه الدولة قوية، وذلك لما كان يخشاه الخلفاء الموحدين من الإضطرابات الداخلية وكذا الخطر المسيحي، وأهم الجوانب التي تتناول في هذا الفصل الفلاحة والصناعة والتجارة، وكذا الميدان المالي.

– أولا: الفلاحة عند أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية.

1/– الزراعة وتربية الحيوانات:

لقد حظيت الفلاحة بما فيها الزراعة وتربية الحيوانات مكانة هامة في الفترة الموحدية سواءً عند أهل المغرب الإسلامي أو الأندلس، فهي كما يعرفها ابن خلدون: "هي صناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض وازدراءها، وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه، وهي من أقدم الصنائع لما أنها محصلة للأقوات المكمل لحياة الإنسان غالبا"[1].

وتعد خصوبة الأراضي الأندلسية من العوامل الإيجابية التي ساهمت في تقدم الزراعة بها، والأندلس بطبيعتها قطر يمكن أن يحقق الاكتفاء الذاتي لسكانه بسبب تنوع موارده وتباين أقاليمه المناخية واختلاف مواسم الأمطار في شرق الأندلس عن غربه، لذلك تنوعت فيه المحاصيل الزراعية واستمر ظهور الفاكهة على مدار العام وكثرت محاصيله وفاكهته حتى صدرت إلى ممالك إسبانية النصرانية وغيرها من دول العالم الأخرى[2].

[1]– ابن خلدون، المقدمة، اعتناء ودراسة: أحمد الزعبي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001، ص442.

[2]– رجب محمّد عبد الحليم، المرجع السابق، ص466.

وكما تميزت بلاد المغرب الإسلامي بازدهاره في المجال الفلاحي عامة والزراعة خاصة، فقد ساعدت في ذلك طبيعة البلاد نفسها المعروفة إلى الآن بخصوبة تربتها حيث أنها تناسب جميع أنواع المزروعات، إضافة إلى وقوعها في المنطقة المعتدلة الدافئة[1].

أما عن أحوال الزراعة في العهد الموحدي فقد اهتم الموحدون بالجانب الفلاحي من خلال غرس الأشجار ومد قنوات المياه إلى البساتين[2]، فالنسبة للزراعة بالأندلس خلال العهد الموحدي فلقد ازدهرت حتى حكم الخليفة الناصر الموحدي وزاد الإنتاج الزراعي، كذلك بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي فشوهد فيه وفرة في المحصولات، ولعل خير دليل على ذلك التوسع الزراعي وكثرة المحاصيل ما أورده الرحالة والجغرافيون الذين زاروا المنطقة خلال رحلتهم، مثل بجاية التي قال عنها صاحب الاستبصار "...كثيرة الفواكه والأنهار وجميع الخيرات..."[3].

إن سماحة الدين وطبيعة حكام بلاد الغرب الإسلامي، وخاصة حكام الدولة الموحدية لم تجعل حواجز أو ضغوطات على أهل الذمة، بل جعلت لهم امتيازات سمحت لهم بممارسة النشاط الاقتصادي فزاولوا الزراعة بمختلف أشكالها، وفيما يخص اشتغال أهل الذمة بمجال الزراعة فيجيب حسن ظاظا بأن اليهود كانوا رعاة ثم اشتغلوا بالزراعة بعد أن تعلموها من المصريين أثناء إقامتهم في مصر، وجاء موسى بالتوراة ولم يكن اليهود يميلون إلى التجارة، كما أن التوراة التي بين أيديهم لم تشمل على شيء من النظم التجارية... وكان اليهود في الأصل شعبا زراعيا حتى تشتت، وكان هذا التشتت في القرن الأول الميلادي وبعد خراب الهيكل الثاني، بل وإنهم بقوا زرّاعا حتى القرن السادس الميلادي[4].

[1]- جودت يوسف عبد الكريم، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري/ التاسع والعاشر ميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص ص25-26.

[2]- الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص243.

[3]- مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص28.

[4]- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص48.

ويذكر "حاكوهين" ما يدل على اشتغال الطائفة اليهودية بالزراعة أيضا "أن العروس اليهودية كانت في اليوم العاشر من العرس تجلس على محراث ومنجل مغطيان بقماش، ويدل هذا الجلوس على "المحراث والمنجل" انعكاسا للنمط المعيشي لتلك الطائفة التي كانت تشتغل بحرفة الزراعة والرعي، حيث يقضون معظم أوقاتهم خارج بيوتهم من أجل جمع المحاصيل، ورعاية حيواناتهم ولا يعودون إلا لحضور حفل زفاف أو آخر فصل الصيف"[1].

ومن الأسباب التي جعلت يهود ونصارى الأندلس يولون الزراعة شيئا من الإهتمام هي:

- ✓ كان امتلاك الجنان والبساتين إحدى مظاهر الغنى عند أمراء المسلمين وأثريائهم في الأندلس، وكان سكان الأندلس غير المسلمين يحرصون على تقليد المسلمين باعتبارهم سادة البلاد، وعندما حقق بعض اليهود الغنى عن طريق التجارة قاموا بشراء بعض البساتين وكان من الطبيعي أن يهتموا بأشجارها حتى لا تتلف وتفقد بساتينهم قيمتها.
- ✓ تواجد عنصر الذميين بالأندلس واختلاف قدراتهم وثقافاتهم جعلهم يتوزعون بين مختلف فروع النشاط الاقتصادي فكان منهم من عمل بالزراعة.
- ✓ التواجد الطويل لعدد كبير من اليهود في أرض خصبة كثيرة الأنهار والأمطار كأرض الأندلس دفع بعضهم إلى ممارسة الزراعة[2].
- ✓ ساعد استقرار جماعات النصارى في البوادي الأندلسية باهتمامهم بالزراعة حيث شكلوا نسبة لابأس بها من سكان القرى والأرياف، وهذا ما أكده ابن حوقل بقوله: " وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن وهم على دين النصرانية الروم"[3].

[1]- زينب عبد الله كرير، أهل الذمة في العهد الحفصي (626-982هـ/ 1227-1574م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2005م، ص114.

[2]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص375.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

إن حب اليهود لامتلاك الأراضي حب موروث منذ القدم، خاصة وأن التلمود كان يرى بأن الرجل الذي لا يملك أرضا ليس إنسانا[1]، وعلى ذلك فقد شارك اليهود في النشاط الزراعي بأنفسهم في وقت مبكر من وجودهم قبل الفتح الإسلامي للأندلس، فتولوا زراعة تلك الأراضي بأنفسهم، ولكن حكم القوط استغلهم للعمل في إقطاعات نبلاء القوط ومارسوا عليهم ضغوطات كبيرة حيث جردوهم من ممتلكاتهم وفرضوا عليهم العمل كأتباع في المزارع والحقول التابعة لهم[2]، وبالاستمرار على هذا الحال وبعد الفتح الإسلامي لم يجد اليهود ملكيات لأراضي زراعية لتوريثها لأبنائهم.

فبالرغم من إعطاء المسلمين لليهود بعض ممتلكات وبيوت القوط الهاربين[3]، لكن ذلك لم يعد إلى القطاع الزراعي إلا عددا قليلا منهم، حيث حصل الفاتحون الأوائل على معظم الأراضي الزراعية بعد أن قسمت أربعة أخماسها بينهم وبقي خمس واحد تسيره الدولة تنفق منه على مصالح المسلمين وفقرائهم[4]، وعلى ذلك لم يستطع اليهود الحصول على أراضي زراعية يمارسون فيها نشاطهم لأنه لم يعد هناك فائض في الأراضي يمكن يعطى لهم[5].

ورغم قلة المصادر التاريخية عن امتلاك اليهود للأراضي الزراعية، إلا أننا وجدنا ما يتعلق بذلك في المصادر الفقهية حيث ورد فيما يخص هذه الراوية عن الونشريسي أن مسلما ابتاع جنة[6] من

[1]- عطا علي رية، المرجع السابق، ص133.

[2] Ashtor, E, op cit, vol1, p266 .

[3] Ibid, p16.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص26.

[5]- المصدر نفسه، ص ص31 -32.

[6]- جنة: كانت غرناطة تمتلئ بالبساتين والحدائق التي كانت تعرف بالجنان أو الجنات، أو المنى أو المدرجات، فيقال للمزرعة أو البستان جنة فلان. ينظر: أحمد مُحَمَّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، 1997، ص294.

يهودي وحبسها فقام يهودي يدعي استحقاقها بحبس[1]، ومن خلال هذه الفتوى يتبين اكتساب اليهود للأراضي الخاصة بالزراعة لأن كلمة جنة تدل على الأرض المستعملة للغراسة[2].

وفي فتوى أخرى ورد أن يهوديين كانا يمتلكان أرضا زراعية بيعت لمسلم، وبعد وفاتهما ظهر أخيهما ليدعي أن عمّاه حبسا عليه هذه الأرض، وهذا أيضا دليل على امتلاك اليهود لأراضي زراعية[3].

كما عمل اليهود على امتلاك أراضي زراعية عن طريق القرض حيث يستمر في استغلالها إلى أن يقوم المقرض بالتسديد وعندها تعود الأرض لصاحبها[4]، كما قاموا بكراء الأراضي الزراعية من المسلمين وقاموا بغراستها[5].

2/- المحاصيل:

إن الطبيعة المادية لليهود جعلتهم يهتمون بزراعة المحاصيل الزراعية ذات جدوى اقتصادية ومردود نقدي وافر، فكانوا يقومون بزراعة الكروم في الجنوب المغربي وبعد نضج العنب يقومون بعصره وهذه الصناعة تعد من أكثر المنتوجات ربحا لهم، وهي من الصناعات التي تخصصوا فيها[6]، أما النصارى فكانوا يسوقونها ويصدرونها إلى الدول الأوربية وهذا ما أشار إليه الونشريسي عند تحريمه بيع

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص438.
[2]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص150.
[3]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص81.
[4]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص89.
[5]- شريف عبد القادر، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين، (21-641هـ/ 686-1269م)، مذكرة لنيل شهادرة الماجستير، جامعة الجزائر، 2003، ص57.
[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص709.

الكروم للنصارى[1]، كما زرعت كروم العنب في الأندلس في كل من مرسية وإشبيلية، وقد كانت الجودة كبيرة وجيدة في ميورقة حيث كان العنقود الواحد يزن فيها خمسون رطلا[2].

ومن المزروعات التي كانت تدر عليهم بالأموال وتميزت بطابعها النقدي هي زراعة الذرة[3]، وكذلك أشجار النيلج الذي يستخلصون منه عصارة تستعملونها في دباغة الجلود[4]، بالإضافة إلى الحناء التي كانوا يبيعونها لدور نساء المسلمين لاستعمالها في الخضاب والزينة[5].

كما اهتم اليهود القادمين من الأندلس بنقل تقنية تربية دودة القز على أشجار التوت وخاصة الأبيض منه، والتي كانت رائجة في الأندلس، وكان لهم دور في إنتاج مادة القطن[6]، وقد عمل اليهود بنظام المشاركة في تربية دودة الحرير سواء فيما بينهم أو بالمشاركة مع أحد المسلمين من أصحاب رؤوس الأموال، فكان يساهم الأول في علوفة دود الحرير بشراء ورق التوت وغير ذلك من المؤونة المحتاج إليها، أو أن يشترك صاحب أشجار التوت مع المربي لدود الحرير ويقتسمان المنتوج معا[7]، وقد وقد وجدت بالأندلس محاصيل ذات أهمية اقتصادية كبيرة في تصنيع الملابس المختلفة والتي كان القطن أهمها، وموطنه الرئيسي مدينة إشبيلية، كما وجد الكتان الذي تجود بزراعته كورة ألبيرة[8].

كما عمل أهل الذمة يهودا ونصارى على زراعة الزيتون حيث أن استخراج الزيت من هذه الأشجار كان يعتبر تجارة مربحة آنذاك، إذ كان من السلع التي تصدر إلى البلاد الأوربية بكثرة[9]، حيث أننا نجد غابات واسعة من الزيتون في مدينة تلمسان وضواحيها إذ يحكى أن أحد أمراء تلمسان

[1]- ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص69. شريف عبد القادر، المرجع السابق، ص57.
[2]- عبد المطلب مصطفى رجب، المرجع السابق، ص97.
[3]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص90.
[4]- مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص207.
[5]- عطا علي ريه، المرجع السابق، ص147.
[6]- عبد الرحمان بشير، السابق، ص90.
[7]- الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص59-60.
[8]- البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ص84-85.
[9]- عبد العزيز القشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تح: عبد الكريم كريم، الرباط، 1972م، ص210.

فرض على الأهالي ومن بينهم اليهود الذين ساكنوا المسلمين داخل المدينة وخارجها زراعة عدد معين من أشجار الزيتون والاعتناء بها ومنع أنعامهم من الاقتراب منها وكل مخالف يكون تحت طائلة العقاب الشديد، وعلى ذلك وجدت هذه المساحات من أشجار الزيتون[1].

أما عن زراعة النصارى لشجر الزيتون فإن ذلك يرجع إلى أن المسيحيين قد استقروا في سهول الشاطئ فتفرغوا لهذه الزراعة والمتاجرة بالزيت، حيث وردت رواية في كتاب "القاضي عياض" عن مسيحي من الساحل كان يصنع أجود الزيوت في المنطقة فجاؤوا إليه لشراء الزيت لصالح البهلول ابن رشد فلما علم المسيحي بذلك تنازل عن نصف ثمنه، ولكن البهلول رفض كرم ذلك المسيحي فسأل ولم؟ قال: "ذكرت قول الله تعالى: " لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"[2] فخشيت أن آكل زيت النصراني فأجد له قلبي مودة فأكون من حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير[3].

ومن المحاصيل الأخرى التي اهتموا بها الحبوب والتي كانت تزرع في معظم بلاد الأندلس وفي مقدمة الحبوب القمح الذي كان يزرع في قرطبة[4]، وزرع اليهود القمح في بلاد المغرب الأوسط كقسنطينة التي كانت بها مخازن ومطامير لحفظ المحاصيل الزراعية حيث عملت هذه المخازن عل توفير القمح واستعماله في أوقات الأزمات والمجاعات[5].

كان القمح يعتبر من الأغذية الأساسية لسكان الأندلس، فعند غلائه كان من المتعذر على الفقراء الحصول عليه، حتى قيل في الأمثال الأندلسية: "إذا غلا القمح مالو حصال"[6].

---

[1]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص83.

[2]- سورة المجادلة، الآية 22.

[3]- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، المطبعة الملكية، الرباط، ج3،1388هـ/ 1968م، ص98.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص317.

[5]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص83.

[6]- الزجالي، المصدر السابق، ج3، ص09.

3/- الرّي:

كان لابد لليهود والنصارى الإهتمام بالماء وكيفية توصيله إلى محاصيلهم الزراعية، فقاموا بحفر الآبار ومد قنوات المياه نحو المناطق التي سكنوا بها، ففي القرن (5هـ- 11م / 6هـ -12م) حفر الأسرى من حروب المرابطين بعدوة الأندلس قنوات مراكش من جبال درن إلى داخل الأسوار، كما اهتم اليهود والبربر بإعداد السواقي لري المحاصيل الزراعية وإعداد قنوات مائية تصل إلى المحطات السكنية أو إلى داخل المباني والقصور، كما قام النصارى ببناء قصبة النصراني بمنطقة زرهون وحصن أمركو شمال فاس[1].

ومن خلال خبرة النصارى في الجانب الزراعي استفاد الموحدون من هذه الخبرات، كما استفادوا من خبرتهم الكبيرة في الفلاحة والسقي كونهم ساهموا في تطوير الزراعة في المغرب الإسلامي[2].

4- تربية الحيوانات:

يعتبر استقرار اليهود في المناطق الجبلية وانشغالهم بالزراعة إحدى العوامل التي جعلتهم يقومون بتربية الحيوانات أيضا[3]، كما يذكر البرزلي أن يهود المغرب كانوا يكسبون بعرق جبينهم من ملكيات زراعية صغيرة، ويحصلون على قوتهم بالعمل في الزراعة وتربية المواشي التي كانت عندهم اجتماعيا تعد من المهن الدونية[4].

كما تعتبر هذه الحيوانات الدعامة الأساسية للنقل التجاري البري وقد ساعد على تنميتها تمتع منطقة الغرب الإسلامي وخاصة المناطق الساحلية والسهبية بغطاء نباتي كثيف ليكون بذلك مراع

[1]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص91.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص105.

[3]- زينب عبد الله كرير، المرجع السابق، ص124.

[4]- البرزلي أبو القاسم، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهنئة، ج5، بيروت، 2004م، ص316.

خصبة للحيوانات[1]، وقد مثلت المواشي ثروة حيوانية ذات منفعة كبيرة فضلا عن لحومها وألبانها، حيث يذكر جواتياين أن قرية قديمة من القيروان كان بها يهودي كان يصنع الجبنة، ويصف اللبن كدواء لبعض الأمراض[2].

وعن تربية اليهود للحيوانات فقد اهتموا أيضا بتربية الأبقار حتى بلغ بهم الأمر إلى المناصفة في الرأس الواحد، كما اهتموا أيضا بتربية الحمير والبغال التي استعانوا بها في أسفارهم[3]، ومما يدل على ذلك أيضا الخطاب الذي أرسل إلى تاجر يهودي بالقاهرة من أحد تجار يهود المهدية يطلب منه شراء "بردعة" لحماره وهذا ما يظهر أن اليهود يستخدمون الحمير ويقتنون البغال لتحملها عناء السفر والمسافات الطويلة، مما يتوافق مع كثرة سفرهم وتجوالهم بين القرى النائية لبيع البضائع التي يقبل الناس على شرائها[4].

كذلك قام اليهود خاصة التجار منهم بتربية الجمل، وذلك لنقل تجارتهم وتسويق منتجاتهم عبر ربوع بلاد المغرب والسودان، فهو يعتبر وسيلة النقل المفضلة لنقل البضائع من بلاد المغرب إلى بلاد السودان والعكس[5]، وقد ذكر حسن الوزان أهمية الإبل، حيث أنه كان يمثل ثروة العصر فتقاس ثروة الرجل بما يملكه من إبل لا بما يملكه من أموال فقال: "وتكون الإبل ثروة الأعراب وأرزاقهم، وعندما يراد ذكر ثروة أمير أو شريف من الأعراب يقال فلان له مقدار كذا من آلاف الإبل، ولا يقال له مقدار كذا من الدنانير أو الممتلكات"[6].

[1]- عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص86.
[2]- زينب عبد الله، المرجع السابق، ص124.
[3]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص91.
[4]- زينب عبد الله، المرجع السابق، ص124.
[5]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص87.
[6]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص259.

وبفضل شساعة مساحة الدولة الموحدية واطلالها على البحر فإنها استفادت مما يوفره على الخيرات وعلى رأسها الأسماك التي كانت غذاء لكثير من السكان ومادة قابلة للتصدير[1]، ولذلك اهتم يهود المغرب بصيد المرجان الذي احتل الريادة في الموارد المصدرة نحو المشرق وأوروبا[2].

– ثانيا: الصناعة والحرف عند أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية:

عرفت بلاد الغرب الإسلامي بتعدد المهن وتنوعها، مما جعلها تعج بالصناع على اختلاف صنائعهم وأصنافهم، ولم يقتصر الأمر على العنصر المحلي فقط، بل شمل كذلك فئة أهل الذمة خاصة اليهود منهم باعتبار معرفتهم الواسعة للحرف والصنائع ومزاولتهم لها منذ القدم ورغبتهم في احتكار المجال الحرفي والصناعي، ليبقى المجتمع الذي يعيشون في كنفه في حاجة دائمة لهم[3]، إضافة إلى التعاليم اليهودية التي تفرض على كل يهودي أن يعلم ابنه حرفة منذ صغر سنه، حيث أن تعليم الابن مهنة من المهن يعتبر فريضة شرعية، وعموما يتعلم الولد مهنة والده مثل الصباغة والتجارة...إلخ[4].

كما اشتهرت الأندلس في ظل الحكم الموحدي بجودة وتطور صناعتها، فقد أبدع المهندسون والحرفيون المسلمون وطوروا وابتكروا فخرجت من تحت أيديهم أروع المنتجات وأعجب المبتكرات حتى ذاع صيتهم[5]، وفي ذلك يقول المقري: "إن أهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية"[6].

عاش يهود الأندلس قرونا عدة في هذه البيئة وقد حاولوا تقليد المسلمين في الصناعات المتميزة لكنهم فشلوا في ذلك بسبب كفاءة صانع المسلمين[7] ولم يفلحوا إلا في الصناعات والمهن الذي زهد

[1]– حسن الوزان، المصدر السابق، ص126.
[2]– المصدر نفسه، ص62.
[3]– المسيري، المرجع السابق، ص375.
[4]– حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج2، ص84.
[5]– المقري، المصدر السابق، ج2، ص374.
[6]– المصدر نفسه، ص151.
[7]– المصدر نفسه، ص206.

فيها المسلمين ذلك كصباغة الذهب والفضة، حيث يشير أحد الأمثال الأندلسية إلى أن معظم من يشتغلون بهذه الحرفة كانوا من اليهود، وإذا تعامل مسلم بهذه الحرفة احتقره الناس وازدروه[1].

1/- الصناعة التعدينية:

تعتبر الصناعة المعدنية في بلاد المغرب الإسلامي جزءا هاما في الاقتصاد، خاصة ضرب السكة والمصنوعات المعدنية[2]، وقد لعبت وفرة المواد الأولية والخامات اللازمة للصناعة جزءا كبيرا في الارتقاء بهذه الصناعة في الأندلس فبرعوا في استنباط طرق عدة في تعدين واستخراج هذه المواد من باطن الارض، وكان من أهم المعادن الموجودة في الأندلس الذهب والفضة والنحاس والرصاص، كما وجد الحديد بكميات كبيرة في مختلف المناطق الأندلسية[3].

احترف اليهود حرفا عديدة كصناعة المعادن الثمينة من ذهب وفضة وهذه الصناعة تمثل صناعة يهودية تم استيرادها من المشرق إلى المغرب[4]، وقد أطلق على من اشتغل بهذه الصناعة "صورفيم" بالعبرية أي "ذهاب" بالعربية ويطلق إسم السكاك أو الصياغ على من يشتغل بالفضة[5].

وعلى هذا فقد اشتهر يهود فاس بصناعة خيط الذهب المسمى "تسكاليك"، وكانت الصناعة قائمة في الملاح وهي ذات دخل وفير تضمن عيش عدد كبير من الأسر اليهودية، وهذه الصنعة متوارثة منذ عصور عديدة حيث تعتبر من أقدم وأهم حرفة عرفها يهود مدينة فاس[6]، كما صنعوا من النحاس وهيؤوا منه الشمعدان الذي يسمى بالعبرية "مينورا" والذي يعد رمز الحياة في الحضارة اليهودية

[1]- الزجالي، المصدر السابق، ص216.

[2]- ينظر: سميرة نميش، المرجع السابق، ص 92. سعاد الكتيبة، البنية الاقتصادية لطوائف يهود المغرب الأقصى في القرون لوسطى، مجلة كلية الآداب بني ملال، العدد 3، المغرب، 2001م، ص 37.

[3]- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، المرجع السابق،ص ص89 - 90.

[4]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص204.

[5]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق،ج2، ص152.

[6]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص205.

ويحتل مكانة أساسية في إقامة الصلوات اليهودية ويشكل جزءا رئيسيا داخل المعابد اليهودية وفي أماكن الاجتماعات[1].

نلمس اهتمام اليهود بهذه الصناعة أيضا حيث نجدهم يستقرون ويبحثون دائما على أماكن وفرة هذه المعادن، فنجد استقطاب منطقة السوس على العديد من اليهود لتوفرها على منجم الذهب فاشتهرت بهذا النوع من الصناعات، ويشير الكتاني بأنها أول من ظهرت بها، كما أشار البكري أن يهودها اعتمد على نظام المقايضة فكانوا يتبادلون السلع المعدنية بسلع أخرى دون الحاجة إلى استخدام النقود في البيع والشراء[2].

ووصل تفنن اليهود في الصناعات الذهبية والفضية، إلى تزيين البيوت والمحلات بالذهب والفضة وبعض الأدوات ذات الإستعمال الشائع كالسروج واللجم والأحذية والخفاف ذات السيور الذهبية، حتى الأسلحة كالمكاحل والأمشاط وغيرها مع تصديرها إلى مختلف المناطق[3]، هذا إلى جانب صناعة أدوات الزينة الذهبية والفضية كالسلاسل والأقراط والخواتم والخلاخل والأساور التي تفننوا في إتقانها وأصبحت حكرا عليهم[4]، وقد برع اليهود في أعمال صياغة الذهب والحلي ونظم الأحجار الكريمة حتى أنهم احتكروا سوق الصناعة في المدن الأندلسية[5].

وبما أن العملة كانت من معدن الذهب والفضة، فقد عمل اليهود في مجال صك العملة رغم تحذير الفقهاء من ذلك ،كالإمام مالك احتراما للفظ الجلالة المكتوب على النقود ولزيادة الضبط في الوزن[6]، والغش فيه بخلط الذهب بالفضة أو النحاس على أساس أنه مباح لهم غش المسلمين فيدعون

[1]- ينظر: عبد الرحمان البشير ، المرجع السابق، ص94. المسيري، المرجع السابق، ج2، ص59.
[2]- البكري، المصدر السابق، ص168.
[3]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص91.
[4]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج2، ص150.
[5]- عبد المطلب مصطفى رجب، المرجع السابق، ص99.
[6]- عطا ريه، المرجع السابق، ص142.

فيدعون في مجالسهم أن أبا القاسم نبي العرب قال لأمته: "من غشنا فليس منهم، فإن غششتموهم فلستم منهم وإن لم تغشوا فأنتم منهم"[1].

غش اليهود في أوزان الذهب معروف عليهم منذ القدم وذلك ما روي أن اليهود يضعون داخل حبات الشعير التي يزنون بها للناس أطرافا من حديد يركزونها داخلها بعد ترطيبها بالماء وتجفيفها، فإن وزنوا للناس استعملوها وإذا وزنوا لأنفسهم استعملوا غيرها[2].

ويقول الحسن الوزان: " لا يمكن لأي مسلم أن يمارس مهنة صائغ، إذ يقال أن بيع المصبوغات الذهبية والفضية بثمن أعلى مما يساويه وزنها يعتبر ربا، ولكن الملوك يسمحون لليهود بالقيام بهذا العمل[3]، وحتى الصناعات الحديدية لم تنجوا من الغش، إذ كان اليهود يقومون بطرق المسامير القديمة ويبيعونها على أنها جديدة، وكانوا لا يصهرون الحديد جيدا فكان سريع الكسر، وكانوا يصنعون في كل ما تخصصوا فيه لأي شخص دون التثبت من هويته رغم أن المحتسبين شددوا على وجوب التحقق من هوية الشخص المصنوع له[4]، وهذه خلفية عن ما تعرضت له شريعتهم من تحريف وتزييف كما جاء في التوراة: "لأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يبارك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأراضي التي أنت داخل إليها لتمتلكها"[5].

أما النصارى فقد اهتموا أيضا بالصناعات المعدنية، لكن ليس كاليهود الذين كان اهتمامهم بهذه الصناعات أكثر، حيث أن النصارى برعوا كسماسرة وواسطة مع اليهود لأنهم كانوا بارعين في السمسرة[6].

---

[1]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص92.

[2]- المرجع نفسه، ص91.

[3]- حسن الوزان، المرجع السابق، ص219.

[4]- ابن عبد الله السقطي المالقي، في آداب الحسبة، تح: حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1987، ص ص80-81.

[5]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص205.

[6]- ينظر: محمد المنوني، ورقات من الحضارة المغربية في عهد بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م.

2/- الصناعة النسيجية:

اهتم اليهود والنصارى بالصناعات النسيجية ودباغة الجلود إلى جانب الصناعة المعدنية ، فأبدعوا في صناعة الأثواب والقماش إذ نجد الصناعات الصوفية قد انقسمت بدورها إلى مهن "الخلاص" الذي اهتم بصناعة كباب الغزل، و"النساج" الذي اهتم بصناعة الحائك أما الصباغة فكانت على حسب نوع القماش[1]، أما عن صناعة الجلود فقد انقسمت بحد ذاتها إلى أقسام وتعددت منها صناعة الأحذية بأنواعها وصناعة القرب "القرابون"[2].

ساعدت ظروف المغرب الإسلامي وكثرة الأغنام به إلى ظهور ذميون يعملون في صناعة الصوف الذي توفر كثيرا واشتغل بهذه الحرفة نساء مدينة "فكيك" في إقليم سجلماسة فأنتجوا منه أغطية للأسرة دقيقة ورفيعة حتى يظن أنها من الحرير وكانت تباع بأثمان مرتفعة بمدن فاس وتلمسان[3]، أما جلود هذه المواشي فكانت تدبغ وتستعمل في صناعة سروج الخيل وفي صناعة الرق الذي استعمل للكتابة وتغليف الكتب أو تصنع منها الأقفاف والنعال والحقائب الجلدية لنقل البضائع والقرب لحمل الزيت والنبيذ وأشياء أخرى مثل الدقيق والمحافظ لإرسال الأموال فيها[4].

ولقد اختص يهود منطقة سوس بصناعة القماش السوسي، حيث ورد من خلال أوراق الجيزة المنشورة باللغة العربية والتي تتحدث عن صنائع اليهود خاصة الذين تمركزوا في منطقة البحر المتوسط حيث اشتهروا بصناعة الأقمشة المعروفة بالسوسية نسبة إلى مدينة سوسة[5].

حصلت صناعة الكتان على جانب من الإهتمام فبرع النصارى في هذا النوع من الصناعات منذ العهد المرابطي، وقد انتشرت هذه الصناعات في كل من مدينتي سبتة التي ذكر ابن الخطيب أنها

[1]- الحسن لغرايب، المرجع السابق، ص 229.
[2]- زينب عبد الله أحمد كرير، المرجع السابق، ص127.
[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص132.
[4]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص96.
[5]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص147.

محطة قوافل الحرير والكتان، وقد اهتم النصارى بصناعة الكتان وبيعه في أسواق المدن والأرياف وحتى منازل المسلمين[1]، وبهذا الصدد أثار الونشريسي نازلة بخصوص الثوب المحاك من طرف النصارى الذي أوجب غسله قبل لبسه حتى تجوز صلاة المسلم به[2].

على رأس كل الحرف والصناعات النسيجية المذكورة تأتي حرفة الصباغة والتي اشتهر اليهود وتخصصوا بها، فعرفوا فنون صباغة الملبوسات واستخرجوا الألوان العديدة من مختلف النباتات التي تم استيرادها فاستعملوا الأرجوان واللاك والنيلة والشب والصمغ والمصطكى والقرمز والكبريت والزعفران وصبغة الأسبيداج وكل حسب لونه[3].

وفي الأندلس لاقت الصناعات النسيجية حظها من الاهتمام حيث عمل اليهود والنصارى في الخياطة والنسيج والأقمشة وبالأخص في قرطبة التي وجد بها حي للطرازين والذي كان يضم كنيسة التي توحي بدورها إلى امتهان أهل الذمة لهذه الحرفة، إضافة إلى حي الرقاقين الذي كان يضم هو الآخر كنيسة[4].

وتدل شوارع الأحياء اليهودية القديمة في مدن الأندلس على اهتمام اليهود بمهنة الدباغة والصباغة مثل الحارة اليهودية في إشبيلية والتي تحوي على ساحتان تعرفان باسم "موقع الدباغين" وهما:

بلازا دي لوس كورتيدو

plaza de las curtidore

ساحة بلازا دي لوس زورادورس plaza de las zuradores

كما يوجد شارع باسم " شارع الدباغين" calle de los tintes

[1]- عز الدين موسى، المرجع السابق، ص 112..

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص53.

[3]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص95.

[4]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص71.

كما امتهن اليهود حرفة تصنيع الأحذية وإصلاحها خصوصا في سرقسطة حيث يظهر إسم العائلة اليهودية "أشخافا" Ashkhafa والتي تعني بالعربية "الإسكافي" في مدينة ليون [1].

3- حرف أخرى:

احترف اليهود والنصارى حرفا أخرى بخلاف الصناعات التعدينية والنسيجية منها ما كان منتشرا بين كافة أصناف المجتمع ومنها التي لم يكن مقبولا أن يشتغل بها المسلمون، واقتصر الإشتغال بها على أهل الذمة وقد أشار ابن عبدون إلى عدد من هذه المهن حيث يقول: "يجب أن لا يحك مسلم لليهودي ولا للنصراني ولا يرمي زبله ولا ينقي كنيفه، فاليهودي والنصراني كانوا أولى بهذه الصنع لأنها صنع الأرذلين، لا يخدم مسلم دابة يهودي ولا نصراني ولا يستزمل له، ولا يضبط بركابه، وإن عرف هذا أنكر فاعله"[2].

ومن الصناعات الأخرى التي اهتم بها كل من اليهود والنصارى هي صناعة الخمور حيث نجد النصارى قد تفننوا في هذه الصناعة[3]، وقد انتشرت منذ القرن 6-7هـ/ 12-13م خاصة بعد أن أفتى الفقهاء للمسلمين بالسماح للنصارى باستهلاك الخمور[4]، والسماح لهم بتناول أطعمتهم وأشربتهم وكل ما أبيح لهم في دينهم[5].

وقد شاع شرب المسكرات في البيوت الحاكمة من المسلمين ولدى العامة الذين تفننوا في صنعها من العنب والفواكه[6]، حيث نجد في زمن المنصور الموحدي اتخاذ إجراءات حاسمة ضد هؤلاء[7]،

---

[1] Ashtor , the jews, vol1, p273-274.

[2]- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشرها: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص48.

[3]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص98.

[4]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص96.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص418.

[6]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص128.

هؤلاء[1]، وأمر الأمير الموحدي عبد المؤمن بمواجهة أنواع المناكر بما فيها بيع لحوم الخنازير وصنع الخمور فحثهم

على إراقتها وكسر دنانها، أو صهرها وتحويلها إلى نحاس ثم يرد إلى أصحابها[2].

وقد اتسع نشاطهم ليشمل قطاع البناء فهذا "ماس لاتري" يقول بأن الفاعلين الأوائل في للقلعة إنما هم مسيحيون وأن مهندسا يدعى "بونياش" هو الذي قام بإنشاء جزء من استحكامات القلعة، كما حاول التأكيد على أن حكام الفترة الإسلامية كانوا يستعينون بالمهندسين المسيحيين لوضع التصميمات والاستحكامات لمنشئاتهم العسكرية[3]، أما بخصوص الفترة الموحدية فلا توجد إشارات واضحة في مساهمة النصارى في مهنة البناء إلا أولئك الذين اختلطوا بالمسلمين وشاركوهم في حياتهم العامة[4]، باستثناء ما استخدمه يعقوب المنصور الموحدي من الأسرى المستقدمين من الأندلس الأندلس في بناء المسجد الأعظم، حيث أشار الحميري إلى أن الخليفة الموحدي استخدم حوالي مائة وخمسون من الكفار وأعيانهم لخدمة بناء الجامع الكبير[5].

عمل اليهود أيضا في مجال الطب لما فيه من أهمية في الأندلس، فمكنهم احترافهم بها إلى بلوغ المراتب العليا والمتقدمة في البلاطات الأندلسية، كما ارتقى اليهود بالأساليب العلمية في العلاج وكشف الأمراض، ووصف الدواء وتحضير الأدوية اعتمادا على المؤلفات القديمة من الرومانية واليونانية التي أفادوا منها في مجال التطبيب بالأندلس[6].

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص69.

[2]- ينظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص168. سميرة نميش، المرجع السابق، ص96.

[3]- ينظر: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991، ص190. شريف عبد القادر، المرجع السابق ص51.

[4]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص97.

[5]- الحميري، المصدر السابق ص27.

[6]- محمد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص120.

ويعد العصر الموحدي من أزهى عصور الطب في حضارة الغرب الإسلامي، إذ برز عدد كبير من الأطباء الذين شاعت شهرتهم واختصوا بمهنة التدريس الطبي[1]، ولم يصبح الطب حكرا على المسلمين فقط بل وشارك فيه أهل الذمة من يهود ونصارى، فقد اختص اليهود وتميزوا في الطب ومن ثم قاموا بتحضير العقاقير والأعشاب الطبية وابتكارها[2]، وهذا ما أثار جدلا عند الفقهاء الذين عارضوا استطباب المسلمين عندهم لأنهم لا يؤتمنون على ذلك، وقد سجل لنا ابن عبدون انزعاجه وعدم رضاه على مستوى التعامل بين المسلمين ورعاياهم من أهل الذمة والذي بلغ التطبيب فقال: " وكان من الحسن أن لا يترك طبيبا يهوديا أو نصرانيا أن يجلس ليطبب المسلمين، فإنهم لا يرون نصيحة مسلم إلا أن يطببوا أهل ملتهم، ومن لا يرى نصيحة مسلم كيف يوفق على المهج"[3].

كذلك عمل اليهود أيضا في مجال الصناعة الغذائية، وهذا ما نلتمسه من خلال تحريض الفقهاء والتحذير من التعامل في مثل هذه الصناعات، وذلك لطبيعة الغش الذي يتميزون بها، فغشوا في الخبز وباعوه ناقص الوزن وخلطوا القمح الرديء بالطيب، وخلطوا العسل الجيد بالرديء والزيت القديم بالجديد ومزجوا اللبن بالماء، حتى الجزارين اليهود قاموا بخلط اللحم السمين بالمهزول أو النفخ في اللحم وغير ذلك[4]، كما أورد البرزلي مسألة حول الشك والإرتباك في ذبائح هؤلاء الجزارين حيث أنه كان قوم من اليهود يذبحون الغنم لأنفسهم فربما خرج لهم في ذلك شيء يسمونها طاهور فيبيعون ذلك للمسلمين ولا يبينونه[5]، كما زاول أهل الذمة صناعة المجبنات[6].

---

[1]- أحمد متفكر، الطب والأطباء بمراكش عبر العصور، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والتوزيع، مراكش، المرغب، ط1، 2016م، ص9-10.

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص160.

[3]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص57.

[4]-كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م، ص72.

[5]- البرزلي أبي القاسم، المصدر السابق، ص633.

[6]- محي الدين صفي الدين ، المرجع السابق، ص71.

نشط الذميون أيضا في حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية والعبرية والتي كانوا من خلالها يحرفون مضامينها وينسبونها إلى أنفسهم، وقد حذر الفقهاء والمحتسبون من شراء هذه الكتب خاصة كتب العلوم، فقد قال ابن عبدون محذرا في القرن السادس هجري يقول: "يجب ألا يباع من اليهود ولا النصارى كتب علم إلا ما كان من شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم وهي من تأليف المسلمين"[1]، إلى جانب الترجمة امتهن بعضهم مهنة بيع كتب العلماء وتصديرها إلى الأندلس أو المشرق وكدليل على ذلك ورد أن اليهود منعوا تصدير الكتب الإسلامية إلا بعد أن تزال منها التسمية "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم"[2]، كما نسخوا الكتب وقاموا بتجليدها ومنهم من عمل كحمالين وكيالين[3]، كما نجد من الأفراد اليهودية من كانوا يصنعون الصابون والسروج وحاجيات الخيول[4].

– ثالثا: التجارة عند أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية.

تعبر التجارة في معناها عن ذلك التبادل والإنتقال للسلع والأموال من يد إلى يد ومن قطر إلى قطر، حيث يقوم هذا الإنتقال على الخبرة والمغامرة والثقة بصرف النظر عن الأبيض والأسود والوطن والدين لأن العملية أساسها الأول المال والبيع والشراء، وبخصوص أهل الذمة فإن بالرجوع إلى اللغة العبرية نجد انعداما كبيرا في المصطلحات التجارية يثبت انغلاق المجتمع العبري البدوي دون التجارة والحضارة، لذلك فاليهود عاشوا متطفلين على التجارة بمضارباتهم والمساومات والرهن والربا[5].

[1]– عصمت دندش، علاقة الأندلس بمملكة قشتالة من خلال الأقليات في القرن السابع هجري، ص109.

[2]– البرزلي، المصدر السابق، ص397.

[3]– الحميري، المصدر السابق، ص44.

[4]– حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، 101.

[5]– حسن ظاظا ومحمد عاشور، المرجع السابق، ص99.

كما وقد حض أحبار اليهود على حرفة التجارة، إذ وضع العالم التلمودي "راب" شعارا لأبناء ملته يقول: "تاجر بمائة فلورين تحصل على لحم وخمر، أما إذا استغللت هذا القدر نفسه في الزراعة فأكبر ما تحصل عليه هو الخبز والملح"[1].

وكانت التجارة في بلاد الغرب الإسلامي على نوعين تجارة داخلية وأخرى خارجية، فالداخلية لم تكن بحجم كبير لأنها بالأساس جاءت لتلبية الحاجة الذاتية، أما التجارة الخارجية فقد تميزت بالشمولية والاتساع ووصلت بلدانا ومناطق شتى، وساهمت في ازدهارها عدة ممثلات يهودية ونصرانية في عدة مراكز تجارية في المغرب الإسلامي والأندلس.

1/- التجارة الداخلية:

أ- المغرب الإسلامي:

أ.1- اليهود:

لقد كان لتجار اليهود وضعية خاصة في بلاد المغرب الإسلامي، ويعود ذلك بالدرجة الأولى للعائدات التجارية التي كانت تساهم في الإقتصاد المغربي، فكان اليهود يبعثون أبنائهم إلى تعلم التجارة والتدرب على العمل التجاري في الأسواق التجارية الكبيرة، وعن ذلك فقد أرسلت عائلة يهودية أحد أبنائها إلى القاهرة من أجل تعلم أصول العمل ثم الاستقلالية بعمله بعيدا عن المعلم[2].

تميز نشاط اليهود التجاري الداخلي بتجارة الأموال وتجارة التجزئة خاصة وأنهم كانوا يكسبون قوتهم من محصول نشاطهم التجاري عن طريق الحرف التي يمارسونها والتي كانت تمثل أهم مورد رزق بالنسبة لهم[3].

[1]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص354.

[2]- سميرة نميش،المرجع السابق، ص102-103.

[3]- برونشفيك روبار، المرجع السابق، ص433.

كما مكنت المعاملة الحسنة التي كان يتلقاها اليهود في المغرب الإسلامي عامة، ساعدهم في حرية التنقل بين مختلف الأماكن في البلاد إذ كانوا يبيعون الأقمشة المعروفة باسم قشتالة خاصة في مدينتي فاس ومراكش[1]، كما تميزوا في تجارتهم بالتجول وهناك من النوازل من يبين هذه الظاهرة التي اشتهر بها اليهود حيث أورد ابن مرزوق ضمن نوازله يقول فيها السائل: "جوابكم على الرجال من المسلمين ومن أهل الذمة يقصدون بيع السلع من النساء في الدور لتصليح الحوائج، مثل المغزل أو غيره، وقد تخرج إليهم المرأة لمباشرة البيع وهي مكشوفة الوجه وخصوصا في زمن الحر، وقد تدفع ما تشتري من مال زوجها ببخس من الثمن أو من الزرع أو غيره، هل يسوغ تقديم هؤلاء للبيع من النساء؟"، وورد عن المازوني يقول: سئل أبو الفضل العقباني عن يهود سكنوا في البادية ويتجرون في أنواع المتاجر..."[2]. ومن هذا يتبين انتشار بيع التجول وخاصة عند أهل الذمة.

ولقد تضمنت الأسواق حوانيت تضم كافة حرف اليهود فكان في القيروان سوقا خاصة بهم عرفت بسوق اليهود وسميت بذلك لكثرة اليهود بها[3].

ولم يكتف اليهود بالبيع في الأسواق والتجول فقط، بل كانوا أيضا يخرجون لتلقي القادمين من البادية في الطريق لشراء البضائع بأسعار أقل من التي في الأسواق[4]، كما كان يخرج بعض اليهود إلى الأسواق البعيدة للشراء والبيع وسمي هؤلاء بـ" الطوافون"، وكانت تقوم بعض نساء اليهود ببيع القمح ومحاصيل أخرى أثناء اشتغال الرجال بالطواف لجمع المحاصيل[5].

عمل اليهود بنظام المقايضة أو ما يسمى بالبيع بالمبادلة أو المقابلة وهو تبادل مادة بمادة أخرى معادلة لثمنها[6]، وقد نقل الوزان من خلال رحلته أنه كان للتجار الجنويين الذين كانوا يتجرون

[1]- مارمول كاربخال، المرجع السابق، ص119.
[2]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص99.
[3]- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله الزيداني وعمر موسى، بيروت، 1980م، ص167.
[4]- عطا أبو ريه، المرجع السابق، ص143.
[5]- عطا أبو ريه، المرجع السابق، ص143.
[6]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص102.

ببلاد المغرب الأوسط مخازن لوضع بضائعهم وكانوا يتاجرون مع أهل البلاد الذين يدفعون لهم القمح مقابل الأقمشة وغيرها من منتجات أوربا[1].

ولقد أكسب الاهتمام الكبير لليهود بالتجارة رؤوس أموال كبيرة ساعدتهم في التحكم في بعض الأسواق المغربية فأصبحوا الممولين الرئيسيين لها[2]، كما كان للزعيم الديني دور هام في الأعمال الجارية ففي حالة تأدية مهامه الدينية فإن خسائره تعوض كلها من طرف الجالية اليهودية[3].

أدرك التجار اليهود الطرق المتفرعة عن الشبكة الداخلية لبلاد المغرب الإسلامي نحو بجاية وبسكرة وورجلان ومن بجاية نحو إفريقية وطرابلس فالمشرق وطريق غربي نحو تلمسان وفاس ومراكش، وكانت الطرق الأهم هي المحطات الموصلة إلى الإسكندرية فالقاهرة أي عبر الخط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط، حيث ذكر عبد الواحد المراكشي الإزدهار التجاري على هذه الطريق قائلا: "حتى أن القوافل كانت تمشي فيها ليلا نهارا" ومن خلال ذلك فقد كان مسار ذلك الطريق في الفترة الموحدية على النحو التالي: طرابلس، قابس، صفاقس، المهدية، سوسة، تونس، بنزرت، بونة، قسنطينة، بجاية[4].

أ.2- **النصارى:**

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص55.

[2]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص104.

[3]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق،ج2، ص120

[4]- زينب عبد الله أحمد كرير، المرجع السابق، ص ص138- 139.

اختلفت أنشطة النصارى داخل الدولة الموحدية كل حسب تخصصه وبفضل الحرية التي تمتعوا بها في ممارسة نشاطهم الإقتصادي وجدت منتوجاتهم رواجا كبيرا داخل الدولة، وقد ساهم التجار المسيحيين في ازدهار الدولة الموحدية حيث أثروا في الحركة التجارية التي عرفها المغرب الإسلامي[1].

كان التجار النصارى يمثلون فئات تجارية مستقرة فقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي إستقرار عدد من المسيحيين في عدة مدن ببلاد المغرب لممارسة النشاط التجاري خاصة في كل من تونس وقسنطينة ووهران وسبتة وعلى ذلك أقيمت العديد من المعاهدات بين الخلفاء الموحدين والتجار النصارى المعاهدين وذلك لتأمين أموالهم وبضائعهم[2]، ما كان يسهر على هذه المعاهدات والاتفاقيات قناصل ورجال دين يمثلون الكنيسة المسيحية[3].

في عهد الخليفة الموحدي أبي يوسف المنصور عقدت معاهدة للتجارة تضمن حرية تجار بيزة في كل من سبتة ووهران وتونس لإنشاء فنادق في هاته المناطق لتخزين منتوجاتهم والإقامة فيها، حيث كانت هذه الفنادق عبارة عن حي كبير أو مدينة صغيرة تحتوي على كل المرافق التي يحتاجها التجار النصارى، فقد وجدت دكاكين وكنيسة وكاتب عدل وكان للجاليات المسيحية قنصلها الخاص بها[4]، ومن أمثلة هذه الفنادق أيضا الفندق المرسيلي عام 633هـ /1236م ، وكان الهدف من ذلك تبادل البضائع كشراء جلود الماعز والضأن والشمع مقابل بيع الأقمشة والمنتوجات الشرقية وحتى الخمور وقد عقدوا جملة من الاتفاقيات والعهود بهدف تأمين أشخاصهم وبضائعهم كالاتفاق الذي حصل بين تجار مدينة بيزا وتونس سنة 551هـ/1157م ، وتوصلوا إلى إنشاء فندق لإيداع وتخزين منتوجاتهم[5]،

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص100.

[2]- عبد القادر شريف، المرجع السابق، ص52.

[3]- الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص222.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص94.

[5]- شريف عبد القادر ، المرجع السابق، ص52.

كما قام خلفاء الموحدين أواخر عهدهم بإعطاء النصارى الجدد القادمين إليها من الجزر الإيطالية موانئ وقلاع للتحصن بها[1].

سكن تجار النصارى كما سبق ذكره بالخانات والفنادق التي كانت تتوفر على مختلف ضروريات الحياة، ومعظمها كانت للأطراف التجارية الأوروبية المتوسطية المتعاملة مع بلدان الشمال الإفريقي، وأصبح للنصارى من مختلف الجنسيات فنادق خاصة بهم كالجنويين والبيزيين والبنادقة إضافة إلى القشتاليين والأراغونيين[2]،حتى أصبحت هذه الفنادق مقر للقنصلية بالمغرب وانتشرت خاصة بالمهدية إذ سمح يعقوب أبي يوسف الموحدي للبيزيين ببناء فندق خاص بهم وفق معاهدة مع مدينة بيزا ومدينة تونس وكذلك بطرابلس وبونة وصفاقس[3].

ونظرا لهذه العلاقات التجارية المتينة بين هؤلاء التجار المسيحيين وسكان بلاد المغرب، تمت بعض الصفقات التجارية كتبادل الحبوب بالصوف والجلود بالشب بطريقة تقسيط الدفع مما يؤكد توافدهم المستمر والثقة بين الطرفين من جهة ورواج التجارة من جهة أخرى[4].

ب– الأندلس:

ب.1- **اليهود:**

عمل يهود الأندلس في التجارة الداخلية فشاركوا في نقل وتبادل السلع بين مدن الأندلس فقد كانوا يمارسون تجارتهم بكل حرية في الأسواق جنبا إلى جنب مع التجار المسلمين يعرضون بضائعهم للبيع للزبائن على اختلاف دياناتهم[5]، فقد كان لهم محلاتهم التجارية الخاصة بهم في أسواق

[1]– غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م، ص158.

[2]– سميرة نميش، المرجع السابق، ص101.

[3]– المرجع نفسه، ص101.

[4]– شريف عبد القادر، المرجع السابق، ص52.

[5]– محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص70.

المدن التي يعيشون فيها إذ يقول ابن حزم: "ولقد كنت يوما بألمرية قاعدا في دكان إسماعيل بن الطبيب الإسرائيلي"[1].

كما امتلك اليهود متاجر داخل الأحياء اليهودية ، فلقد كانت ساحة بلنسية في الحي اليهودي بسرقسطة تدعى فيما مضى بـ "القيسارية"[2] كما وجدت القيسارية في مدينة مالقة ضمن الحي اليهودي، وتدل أسماء الشوارع والحارات في الأحياء اليهودية في عدد من المدن الأندلسية على أن يهود الأندلس قد تعاملوا بكل أصناف التجارة، لكنهم تخصصوا في تجارة الأنسجة والملابس الحريرية[3].

ب.2- **النصارى:**

لم يكن اهتمام النصارى بالتجارة الداخلية بالأندلس يضاهي إهتمام اليهود، فقد كان دورهم في هذا الميدان ضعيفا، ومع ذلك كان لهم وجود بالأسواق الأندلسية، إلا أنهم لم يكونوا مسيطرين ولا كثيري العدد ويبدوا أن دورهم كان لم يكن كبيرا في ممارسة التجارة بخلاف اليهود والمسلمين[4].

كان للتجار النصارى محلاتهم الخاصة يعرضون فيها منتجاتهم المتنوعة على الزبائن، وقد مكنهم إتقانهم للغة العربية من التواصل الجيد مع المسلمين وجلب الزبائن إليهم، فكان إذا دخل مسلم محل تاجر نصراني حلف هذا الأخير باسم النبي مُحَمَّد "ﷺ" وأن منتجه من النوعية الجيدة[5].

2- التجارة الخارجية:

[1]- ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ج1، ص114.

[2]- القيسارية: أسواق خاصة للسلع القيمة كالذهب والحرير، وكانت هذه الأسواق مغطاة بسقف وتقع غالبا بالقرب من مسجد المدينة الرئيسي، وأطلق عليها هذا الاسم من قبل المسلمون. ينظر: مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار بني نصر، تحقيق: الفريد البستاني، مطبعة الفنون المصورة، المغرب، (د.ت.ط)، ص5.

[3]- خالد يونس عبد العزيز، المرجع السابق، ص356.

[4]- كونستبل ريمي أوليفيا ، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبد الله، العبيكان، الرياض، ط1، 1423هـ/2000م، ص115.

[5]- ينظر: محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص70. مُحَمَّد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص93.

أ- الأندلس:

لقد كان لتنوع ثروات الأندلس دورا هاما في الترويج للتجارة الخارجية، خاصة بعد الاستقرار الذي عرفته في القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي مما ساعد أسواق الأندلس على الارتباط بالتجارة المتوسطية[1]، وفي هذا الصدد يذكر دوفورك أن اليهود كانوا روادا للحياة الإقتصادية في حوض البحر الأبيض المتوسط منذ القرنين الحادي عشر والثاني عش الميلاديين، وكان فضاء عملياتهم التجارية يصل إلى قلب أوربا[2].

أ.1- اليهود:

تتوفر العديد من الروايات التاريخية والوثائق التي تتحدث عن تجار يهود وعن مشاركاتهم في التجارة الخارجية، فيروي الضبي أنه كان مع جيش الإسبان في معركة الأرك (591هـ/1195م) جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لاشتراء أسرى المسلمين وأسلابهم، وأعدوا لذلك أموالا فهزمهم الله تعالى واستوعب القتل أكثرهم وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلتهم الذميمة[3].

ويشير بروفنسال إلى مركز خصي[4] الصقالبة بمدينة أليسانة حيث كانت العملية تجرى بواسطة متخصصين من اليهود وبان عملية الخصي تلك خطيرة جدا، وغالبا ما كانت تؤدي إلى حدوث وفيات للأشخاص وهو ما سبب في ارتفاع سعر الخصيان بصورة رهيبة[5].

[1]-كونستبل، المرجع السابق، ص 38.

[2] -Defourque, op-citp, p189.

[3]- الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، 1410هـ/1989م، ص45-46.

[4]- ابتدع تجار اليهود الخصاء لعلاقته بتجارة الرقيق، حيث لم يكن يسمح للرجال بالعمل في مجال خدمة الحريم إلا إذا كان خصيا، ويشير المقدسي إلى دور اليهود في تلك العملية. ينظر: المقدسي شهاب الدين، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق وحواشي، مُحَمَّد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص194.

[5]- ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، المرجع السابق، ج2، ص391.

إلى جانب تجارة الرقيق شارك تجار اليهود في تجارة بعض السلع والمنتجات مثل الحرير والكتان بين مصر والمراكز التجارية في البحر الأبيض المتوسط[1]، حيث تبين رسالة بعث بها إسحاق بن باروخ المقيم بمدينة ألمرية إلى أبي سعيد خلفون بن نثنيل بمدينة تلمسان في 533هـ/ 1138م أن الحرير بمختلف أنواعه والنحاس المصقول والمسبوك كان من أكثر السلع التي نقلها التجار اليهود إلى الشمال الإفريقي وأن التوابل والشمع الفاسي الجيد والعشب الطبي من السلع التي كان يهود الأندلس يجلبونها إلى تلك البلاد[2].

كما وصل تجار يهود الأندلس إلى الهند وجلبوا منها التوابل والجواهر والأحجار الكريمة والفيروز وأنواع مختلفة من الخرز والأصداف[3]، كما شهد عصر الموحدين ترك الكثير من التجار اليهود للأندلس ومن أولئك اليهود ديفيد شقيق موسى بن ميمون الذي استقر مع عائلته في مصر ثم خرج في رحلات تجارية عديدة إلى الهند إلى أن غرق ومات في إحدى رحلاته[4].

ودخل اليهود في شراكة تجارية مع المسلمين والمسيحيين إذ يشير حاييم الزعفراني إلى وجود تجارات تجمع اليهود والمسيحيين والمسلمين على الرغم من أن بعض الاتجاهات الفقهية الإسلامية كانت قد منعت هذا النوع من العلاقات، أو دعت إلى التقليل منه، وإن كان الواقع اليومي والمصلحة أقوى مما تمليه المذاهب والاتجاهات الفقهية[5].

كما كان تجار اليهود يضعون ثقتهم في التجار المسلمين ويأمنونهم على بضائعهم[6]، وتجلت مظاهر العمل التجاري بين اليهود والمسلمين فيما وجد في أوراق الجيزة من أدعية وتمنيات طيبة من تجار يهود لتجار مسلمين حملوا أمانة معهم للتجار اليهود، كما نجد قيام بعد المشاركات في الأعمال

---

[1]- كونستبل، المرجع السابق، ص78.

[2] -Goiten Selemon, Dob freitz, Lettres of medieval, jewish traders, p51.

[3]- جواتيان، المرجع السابق، ص252.

[4] Goiten, Lettres of medieval, op - cit, p189.

[5]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج1، ص38-39.

[6]- جواتيان، المرجع السابق ص218.

التجارية بين المسلمين واليهود وأن اليهود كانوا يزورون بيوت شركائهم في العمل من المسلمين ويهنئونهم أيام العيد[1].

توسعت تجارة اليهود مع شمال إفريقيا وبقية البلدان الإسلامية، بسبب التحايل الذي كان يقوم به هؤلاء التجار حتى يدفعوا أقل ضريبة ممكنة على سلعتهم، ففي رسالة كتبت في حدود سنة 535هـ/1140م من تاجر يهودي أندلسي في فاس إلى أبيه في ألمرية تبين أن التجار اليهود الأندلسيين الذين كانوا يسافرون للتجارة إلى المغرب كانوا يدفعون الضرائب عن بضاعتهم وأن مقدار ما يدفعونه باعتبارهم مواطنين في دار الإسلام أقل مما يدفعه اليهود الأجانب، ولذلك كان اليهود الأجانب يحملون بضاعتهم في بعض الأحيان لليهود المواطنين كي يتخلصوا من دفع مبالغ أكبر وهذا ما دفع المحتسبين في المغرب أن يطالبوا اليهود الأندلسيين بالقسم على أن كل ما يحملونه من بضاعة يعود لهم وليس لأحد من الأجانب[2].

لم يطل نجاح نشاط اليهود في التجارة الخارجية الأندلسية، حيث يختفي هذا النشاط مع وسط القرن الثاني عشر ويرد كونستيل هذا التناقص إلى التبدلات السياسية في الأندلس من قبل السلطة الموحدية والتي كان لها أثر مباشر على التجار اليهود العاملين في إسبانيا المسلمة [3]، هذا ما ذكره كونستبل وإلا فلقد دام النشاط التجاري لليهود أكثر من هذا وإن كان قد مرت عليه فترات معينة ضعف فيها.

وتشير بعض السجلات المحررة أمام العدول إلى تصدير اليهود إلى شتى أنواع البضائع وأغلبها إلى بجاية سنة 646هـ/1248م والتي كانت على شكل طلبات مثل:

- في 27 أفريل حمل اليهودي البروفنسي Ferrier –Bonisac بضاعة من زعفران قيمتها 17 ليرة و3 فلوسات إلى مظفر ابن بوناس ليحملها إلى بجاية على متن باخرة سان فرنسوا.

[1]– جواتيان، المرجع السابق، ص238.

[2]– خالد يونس عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص362.

[3]–كونستبل، المرجع السابق، ص157.

- في 28 أفريل طلبية قيمتها 50 فلسا من القرنفل قدمها اليهودي إنزارت ابن إبراهام إلى تاجر يهودي آخر هو غريسكا فروسول ابن يعقوب فروسول باتجاه بجاية على متن الباخرة سان جيل.
- طلبية قدمها النصراني بطرس بيجوليه إلى اليهودي أستروك ابن سموأل المتوجه إلى بجاية قيمتها 20ليرة و14 فلسا لشراء القرنفل والدردي.
- طلبية بقيمة 6 ليرات و9 فلسات متبوعة ببضاعة من القرنفل قيمتها 21ليرة و5 أوقيات قدمها اليهودي آستروك كورديبه إلى اليهودي بنجوزار ابن سلمان فروسول المتوجه إلى بجاية على متن السفينة سان فرنسوا.
- طلبية قدمها بطرس إمبيرت عزيز قيمتها 20 ليرة و10 فلسا مع قماش إلى بونيساك فروسول المتوجه إلى ميورقة ومنها إلى الجزائر على متن السفينة دومنيك لافونيت، وفي نفس الرحلة 27 ماي 646هـ/1248م قدمت طلبية بقيمة 10 ليرات وفلسين مع بضاعة قرنفل بقيمة 20 ليرة وجوز الطيب بقيمة 20 ليرة قدمها بونافس بوا ابن أستروك إلى بونيساك فروسول[1].

كما سجلت رحلة إلى مدينة سبتة في 19 ماي631هـ/1233م، حيث أن العقد تم بين اليهودي داود وزوجته جوفيد حيث استلما 10 ليرات من برنارد مندئيل كبضاعة موجهة إلى سبتة لاستثمارها على أن يدفعا بعد العودة إلى أخيه 70دينارا[2].

[1] – فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص207-208.

[2] – المرجع نفسه، ص208.

أ.2- **النصارى:**

نشط التجار النصارى أيضا في التجارة الأندلسية الخارجية، فقد اشتهر ميناء ألمرية في الأندلس بهم حيث كانوا يقومون بتصدير واستيراد المواد التجارية عبره[1]، وكان الرقيق والأخشاب من أهم المواد التي كان يتاجر بها هؤلاء النصارى نظرا لأهميتهم الكبرى في المبادلات التجارية[2].

كما اشتهرت مدينة مالقة بوفرة التين حيث كان يتاجر به النصارى في المراكب عبر الطرق البحرية[3]، كما كانت ميورقة على اتصال بمدينة جنوة إثر معاهدة تجارية تم عقدها بينهما سنة 594هـ/ 1198م، حيث كان التجار النصارى في تلك الجزيرة قد استفادوا من ترويج المبادلات التجارية بين الجانبين مما انعكس عليهم بالأمن والطمأنينة[4].

ب- المغرب الإسلامي:

ب.1- **اليهود:**

اهتم يهود المغرب الإسلامي أيضا بالنشاط التجاري البري والبحري وكان أهم عامل ساعدهم في نشاطهم هذا هو رؤوس الأموال وإتقانهم لمختلف اللغات بالإضافة إلى شبكة النقل التي تميزت بها المنطقة دون غيرها.

وتميز التجار اليهود دون غيرهم من الأجناس البشرية بطبيعة تجارية حتمت عليهم ضرورة الانتشار في بلاد المغرب الإسلامي، فأسسوا بذلك سلسلة من التجمعات كالتجمعات الصحراوية

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص220.
[2]- كونستبل، المرجع السابق، ص110.
[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص219.
[4]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ص258.

حيث تجمع الدراسات التاريخية على أن اليهود هم المحرك الرئيسي والطرف الهام في التجارة الصحراوية إذ يعود لهم الفضل في وضع الركائز الأساسية خاصة وأنهم كانوا رواد تجارة الرقيق والذهب[1].

اعتبرت الواحات الصحراوية ببلاد المغرب مركزا لاستقرار التجار اليهود الذين كانوا ينتقلون مع القوافل التجارية من منطقة السوس متجهين إلى السنغال سالكين بذلك الطريق اللمتوني الذي عرف بتواجد جماعات يهودية، كما انتشروا بمنطقتي تغاووست وجوليمين الموجودتين على الطريق الرابط بين المحيط الأطلسي إلى الصحراء[2].

كما اشتهرت مدينة سجلماسة عاصمة تافيلات والواقعة على الطريق الرابط بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والسودان الغربي[3]، والتي اشتهر تجارها بالغنى بسبب تجارة الذهب، حيث يؤكد الجغرافي الإدريسي منتصف القرن 6هـ/ 12م وجود يهود بقنورية ودان وملال أي في بلاد السودان حيث تجارة الذهب[4]، وكونها محطة استراتيجية لعبور القوافل مما جعلها منطقة صراع بين حكام المغرب الإسلامي، كما كان ليهود المنطقة اتصالات مع المراكز التلمودية بالشام ومصر وشمال المغرب والأندلس للاستفسار عن بعض القضايا الدينية والاقتصادية، وظهر بها أكبر وأغنى المفاوضين اليهود مثل: أبو زكري يهودا ماكوهين الذي أصبح وكيل تجار المغرب بمصر في القرن 6هـ/12م[5].

كان لليهود دور إيجابي هام بمدينة سجلماسة التي سيطروا فيها على تجارة الذهب[6]، المجلوب من غانة وقد تحدث ياقوت الحموي عن دور الذهب في ثراء سكان المدينة بقوله: "وأهل هذه المدينة

---

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص123.

[2]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص220.

[3]- Goitein. D, A Méditerranean society, vol1, Econnomie fondations, University of california press, 1967, p p191-192.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص36،34.

[5] Goitein. D, A Méditerranean society, vol1, op-cit, p192.

[6]- الحميري، المصدر السابق، ص306.

أغنى الناس، وأكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب"[1].

وكان اليهود يصدّرون من المغرب المنسوجات المصنوعة من الكتان أو من القطن وكذلك كل أصناف السجاد والحرير بجميع أنواعه وأشكاله، كما صدر التجار اليهود المعادن الثمينة كالفضة ومعادن أخرى مثل الرصاص والزئبق[2].

وكما قاموا بتصدير الكتب العبرية من المغرب الإسلامي، إذ كان القيروان مركزا هاما للتعليم مركزا نشطا في إنتاج الكتب وقد كان لهم شغف في ضم كتب العلماء إلى مكتباتهم كما هو الحال الآن[3]، وقام اليهود أيضا بتصدير منتوجات زراعية كالزيت والصابون والشمع والزعفران ونبات الصباغة والقطران، كما صدروا قشور اللوز والسمك المملح والقمح على الرغم من قلته وجلود الحيوانات والصوف، إضافة إلى عقود المرجان التي ضربت رقما قياسيا من بين المنتجات الزراعية المصدرة من المغرب نحو المشرق[4].

وفي مقابل التصدير عمل اليهود على جلب واردات إلى المغرب كالتوابل الشرقية كالفلفل والقرفة والقرنفل والزنجبيل والمرة والمسك والكافور ونباتات الصباغة والنيلة والدهانات، كما قاموا بجلب النباتات الطبية والعقاقير[5].

استورد اليهود أيضا مادة الأمونيوم والخامات التي تستعمل في تصنيع الجواهر كاللؤلؤ والأحجار الكريمة والفيروز ومختلف أنواع الخرز والأصداف[6].

---

[1]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص192.

[2]- جواتياين، المرجع الساق، ص ص239-240.

[3]- المرجع نفسه، ص241.

[4]- المرجع نفسه، ص241.

[5]- المالكي، رياض النفوس، تح ومر: بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي،دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت،ط2، 1994م، ج2، ص502.

[6]- جواتياين، المرجع السابق، ص241-242.

من نماذج التجار اليهود بين المشرق والمغرب: جودة بن يوسف، إسحاق اللاوي، يحي بن نسيم، إبراهيم بن بيجوو خلفون بن ليتاليل الدمياطي حيث شارك هذا الأخيران في تجارة الهند حيث أقام إبراهيم بالهند من عام 526هـ/1132م إلى سنة 544هـ/1149م، أما خلفون فقد تعدد نشاطه بين مصر والهند واليمن والمغرب والأندلس خلال الفترة بين (519هـ-1125م/541هـ-1146م)[1].

عمل اليهود في مجال السمسرة في أسواق المغرب حيث كان لهذه الوظيفة دور قوي الأثر في العمليات التجارية بالأسواق، فهو القائم بالوساطة بين الباعة والمشترين ويكون تدخله في العمليات التجارية الصغيرة على مدار سوق واحدة، وفي أكثر الأحيان يقتصر السمسار على عمل الدلال فقط إذ يقوم بإشهار البضائع للبيع ويشرف على عمليات المزايدة فيها[2].

يذكر ابن خرداذبة الطريق الذي كان يسلكه التجار اليهود قائلا: "فإن الخارج منهم يخرج من الأندلس ومن فرنجة فيعبر إلى السوس الأقصى فيصير إلى طنجة ثم إلى إفريقية ثم إلى مصر ثم الرملة ثم إلى دمشق ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى كرمان ثم إلى السند ثم إلى الهند ثم إلى الصين[3].

ولقد تضررت التجارة في إفريقية كثيرا وذلك من أواسط القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، وقبل الغزو الهلالي واستفحلت الأزمة من بعدها[4]، ومن ضمنها تجارة اليهود حيث ورد في إحدى رسائل الجنيزة وجهها يهودي لقيرواني إلى آخر بمصر مؤرخة بحوالي432هـ/1040م، ذكر له فيها بأن " العرب لم يعد يسوى شيئا بالمرة "،[5] وهذا ما دفعهم إلى الهجرة التي لم تقتصر على يهود

[1]- جواتياين، المرجع السابق، ص ص 198.

[2]- نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، 1976، ص58.

[3]- ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص132.

[4]- أمين توفيق الطيبي، جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب ص128 .

[5]- جوايتاين، المرجع السابق، ص237 .

إفريقية ، بل انخرط فيها يهود المغرب أيضا ، فقد أشار جوايتاين (Goitein) إلى أن اغلب يهود القدس كانوا في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي مغاربة،[1] وهاجر العديد من يهود الغرب الإسلامي إلى مصر ومدن البحر الأحمر الساحلية وشبه الجزيرة العربية والهند[2]، ورغم هجرتهم فقد ظلوا على اتصال بالمغرب في تجارتهم بعيدة المدى ، فوثائق الجنيزة تشير على وصول العديد من التجار اليهود من المهدية وسجلماسة و الأندلس إلى ساحل ملبتار بالهند وعودتهم بسلع منها خلال القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي،[3] وأشار الزعفراني إلى أن عددا من يهود درعة استوطنوا الفسطاط بمصر.[4]

وأكد جوايتاين أيضا استنادا إلى بعض المصادر اليهودية المعاصرة للموحدين أن هجرة عدد كبير من اليهود إلى المشرق تم فرارا من اضطهاد الموحدين الذين دفعوا أيضا بصغار اليهود إلى الأسر المسلمة[5]، لكنه لم يقدم أدلة نصية أو إحالة مرجعية تثبت قوله .

ولقد هاجر العديد من أعيان اليهود إلى المشرق، وكان المهاجرون إما من التجار أو من العلماء، وقد ربطت بعض المصادر بين هجرتهم وبين سياسة التضييق الموحدية ، كما سبقت الإشارة

[1]- جوايتاين، المرجع السابق، ص229.

[2]- المرجع نفسه، ص 229 .

[3]- جواتياين، المرجع السابق، ص ص ص258، 260، 269

[4] -Haim Zafran, Deux mille sans de vie juive au Maroc ,Paris, Maisonneuve et Larousse, 1998, p14 .

[5] -Goiten, jews and Arabs,p.81.

مثل حالة موسى بن ميمو القرطبي (ت605هـ/1208م)[1] ويوسف بن يحيا بن إسحاق بن سمعون السبتي الإسرائيلي (ت622هـ/1225م)[2].

بينما يؤكد المؤرخ عز الدين موسى أن هذه الهجرة اليهودية المكشفة إلى المشرق كان سببها بالأساس هو تساهل الفاطميين ثم الأيوبيين بمصر مع أهل الذمة، وتطور البحرية المسيحية التي احتلت مكان الوسيط التجاري بين المشرق والمغرب بدلا عن الساحل التونسي. والخراب الذي اجتاح البلاد الشرقية نتيجة الغزو الهلالي وما أعقبه من غزو نورماندي لها، وتوالي الحروب بها إلى أن حررها الموحدون[3].

ولقد وردت في كتاب الاستبصار وذلك في حدود سنة 587هـ/1191م عند الحديث عن يهود سجلماسة ، إشارة إلى الذي وصلوا إليه بها وبفاس، نصها : "و أما الآن فهم (اليهود) تجار أهل البلاد كلها و أغنياؤها وخاصة بمدينة فاس ، فإني عاينت منهم من يقال إن عنده المال الممدود رجالا كثيرين "[4]، و أضاف صاحب الاستبصار تأكيدا لوضعيتهم الجيدة هذه بقوله : "وهم الآن قد مازجوا المسلمين وداخلوهم ، وهو العز الذي كانوا يرتقبونه في سالف الأزمان "[5].

ولقد ذكر هذا بعد أن أشار إلى أن المهن التي كان مسموحا لهم بامتهانها قبل العصر الموحدي كانت هي البناء و الكنافة، فمن خلال هذا يتبين أن وضعية اليهود في العهد الموحدي كما سبق ذكر ذلك كانت جيدة بدليل قول صاحب الاستبصار أنه قد صار بعضهم من الأغنياء الكبار، ويتبين كذلك أن السياسة المختلفة التي انتهجتها الدولة الموحدية اتجاه اليهود على كل الطرق التجارية

[1]- ينظر: ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الأطباء ، بيروت ،دار الثقافة ، ط5،1987م، ج3، ص 194. جمال الدين علي يوسف القفطي (ت646/1248)، كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء بيروت ، دار الأثار ، (د.ت) ، ص209. أبو الفرج بن أهرون الملطي (ت685/1226-1286) تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1958، ص239 .

[2]- القفطي ، المصدر السابق، ص257 .

[3]- عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص115 .

[4]- مؤلف مجهول ، الاستبصار، ص202 .

[5]- المصدر نفسه، ص202 .

التي كان يتبعها هؤلاء التجار، جعل النشاط التجاري لدى اليهود يتسع مجاله خلال هذه الفترة ليصل إلى بلاد الهند.

ب.2- **النصارى:**

عمل الموحدون خلال القرن 6هـ/ 12م على توطيد العلاقات مع الدول الأوربية لما لها من آثار على سياسة التوسع التي انتجها الموحدون باتجاه الشمال إلى الأندلس من جهة وحدود إفريقية من جهة أخرى وهذا ما تمثل في المعاهدات التي أبرمت بين الخلفاء الموحدين وحكام الدول المسيحية.

وتظهر هذه العلاقات التجارية الوطيدة بين الموحدين والنصارى من خلال سماح الخلفاء الموحدين لسفن النصارى بالإبحار داخل موانئ الدولة الموحدية[1]، ومن جهة أخرى وجه البابا إنوسنت الرابع رسائل الشكر والتقدير إلى الخلفاء الموحدين، كما حث المسيحيين على التوجه نحو المغرب وطلب من الأساقفة الإسبان والبرتغاليين حماية ممتلكاتهم في المناطق التي يمرون منها[2].

وقد أقيمت العديد من المعاهدات بين الخلفاء الموحدين والتجار النصارى واستخدام نظام العقود يعود إلى عهد الأمير أبو عبد الله بن إسحاق بن غانية الذي عقد اتفاقا مع سفير مدينة جنوة والتي من أهم بنوده حماية التجار الجنويين والمحافظة على أرواحهم وأموالهم في البر والبحر مع وعدهم بإعطائهم فندقا وحماما وفرنا وكنيسة في أي جهة يختارونها هم بإفريقية[3]، وبذلك فرض الأمن على هذه الطائفة وضمن لهم أمانهم إذ يقول ابن جبير: "ولا يعترض الرعايا ولا التجار فالأمن لا يفارقهم في جميع الأحوال سلما أو حربا"[4].

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص217.

[2] -Dufourq, les relations de Maroc et de la castille pendant la premiére moiére du XIIIé, siécle Réwe d'histoiar et de civilisation de Moghrib jwillit1968 n5, p59.

[3]- مريم محمّد حبودة، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/1160-1572م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2008، ص235.

[4]- ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ط2، 1907م، ص261.

وكان التجار المسيحيين يمثلون فئات تجارية مستقرة في بعض المدن وهذه الفئات انتشرت شيئا فشيئا في القرن الثاني عشر ميلادي، بحيث ازدادت من حيث العدد ومن حيث الأهمية والتنظيم، فقد كان التاجر المستأمن خاضع في كل شيء للسيادة المحلية، أما التجار الذين لم تكن بينهم وبين المغرب اتفاقية فيدخلون المنطقة تحت لواء الدولة الصديقة، وكان التجار يقيمون بالفنادق ويستأجرون الدكاكين لبيع السلع، وكانت الدولة تحميهم باعتبارهم عنصرا ضروريا في ازدهار البلاد والخزينة[1]، حيث ساهموا في زيادة مداخيل الدولة عن طريق استخلاص الرسوم والضرائب المفروضة على البضائع، كما أدخلوا العديد من المنتوجات التي كانت تفتقر إليها المنطقة[2]، وكان ميناء فاس يعتبر مهبطا للتجار المسيحيين من مختلف الجنسيات من جنويين وبرقيين وإنجليزيين[3].

وتعتبر المعاهدة التي أبرمها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي في الفترة الممتدة ما بين (555هـ-1160م/ 558هـ-1163م) من أهم المعاهدات التي حسنت من وضع النصارى ببلاد المغرب والتي سمح فيها للتجار المسيحيين القادمين من جنوة وبيزا والبندقية بالإستيطان ببعض الموانئ المغربية خاصة سبتة ومدينة وهران، كما سمح الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف لتجار بيزا ببناء فندق خاص بهم في مدينة المهدية وذلك وفقا لمعاهدة كانت مع مدينة بيزا سنة561هـ/ 1166م[4].

وكان لتجار مرسيليا دور هام في التجارة المغربية، إذ تحصلوا على رؤوس أموال طائلة في الجانب التجاري وحركة النقل وهذا ما نصت عليه العقود العشرين التي أمضاها أصحاب رؤوس الأموال التجار المسمون "مندو وال" Mon ouel" في الفترة الممتدة من (505هـ- 1112م/

[1]- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص ص462، 463.

[2]- ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص101.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص208.

[4] -De Mas Latrin, Relations et commerce du Maghreb avec les nations chretiennes au moyen Age, Paris, 1978, p47,48.

643هـ-1246)، إذ باعوا النقود العربية بقيمة نصف درهم والتي كانوا يضربونها في " مونيليه Monpllie " من أجل التصدير والتي كان يتم بيعها في بجاية وسبتة ووهران وتلمسان[1].

وكان للمدن الإيطالية قصب السبق في الجانب التجاري الخارجي ومن بعدها مرسيليا فالأراغون، حيث ثبت وجود فندق قطلاني بتاريخ 657هـ/1259م من خلال نص فحواه تحديد مهمة القنصل لسنتين مما يعني وجود هذا القنصل والفندق التجاريين قبل ذلك الوقت[2].

عمل كل من تجار النصارى القادمين من إيطاليا بتوظيف أموالهم[3]، في المبادلات التجارية وفق عقود أبرمت مع مدن المغرب بداية من سنة 555هـ/1160م إلى غاية 560هـ/1164م، وقد كانت لهم علاقات مع تجار فاس[4].

وفي هذه الفترة سيطرت التجارة الجنوبية في هذا المجال نتيجة لطبيعة العلاقة بينهم وبين المغاربة، كما أنهم لم يكونوا ليشكلوا أي عائق سياسي مع الدولة الحاكمة، ونلتمس ذلك في الاتفاقيات والمعاهدات إذ نصت بعض المعاهدات في هذه الفترة على المعاملة بالمثل مع التجار المغاربة واستثناء دفع الجزية خاصة مع تجار جنوة التي أصبحت تشكل أكبر قوة بالموانئ المغربية على عكس

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص165.

[2]- بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 1999-2000م، ص245.

[3] -Mas Latrie, Histoiare des archeveques latins de l'ule de chypre, op-cit, p184 .

[4]- عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص369.

تجار مرسيليا الذين أجبروا على أداء اليمين واحترام النصوص[1]، ويضيف ماس لاتري أن القوة التجارية لتجار جنوة مكنتهم من إقامة شركات في بلدان المغرب الإسلامي والتي سمحت لهم بحرية الإبحار على طول السواحل المغربية حيث تم إبرام عقد مع الخليفة عبد المؤمن بن علي بسبتة (555هـ-556/1160هـ-1161م) إلى (560هـ/1164م)، وكذلك بمنطقة سلا بداية من (558هـ-1162م/559هـ-1163م) وذلك لتفريغ ونقل وإقامة التجار[2].

ومن بين الشركات التي اشتهرت نجد شركة "Giovanni Bono جيوفاني بونو" والتي كانت من التاجر الجنوي Blancardo والذي أصبح فيما بعد كاتب جمارك بجاية سنة 560هـ/1164م، حيث عملت هذه الشركة على استيراد مواد من موانئ المغرب خاصة بجاية والتي بلغ رأس مالها حوالي 200 ليرة جنوية[3].

كذلك ظهر تجار مرسيليا في أواخر الحكم الموحدي خاصة بمدينة سبتة واهتموا بشكل كبير وخاص بالمبادلات الداخلية[4].

ومن هنا يلاحظ أن هذه الفترة هي من أزهى الفترات بالنسبة للنصارى حيث تمكنوا من إنشاء وكالات تجارية خاصة في سلا، آسفي لتصبح فيما بعد عبارة عن فنادق يرتاد إليها التجار من فرنسا ومرسيليا، مع الحرص على عدم خرق الاتفاقيات والمعاهدات[5].

كل هذه النصوص وغيرها تعد شاهدا على روح التسامح التي تعامل بها الموحدون مع الفئات المسيحية، وقد أعطى هذا التسامح الديني ثماره في العلاقات الإسلامية المسيحية حيث أن

[1] -Mas Latrie, op-cit, p70.

[2] -Ibid, p89.

[3]- الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص222.

[4] -Mas Latrie, op-cit, p77-78.

[5]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج6، الرباط، 1987م، ص219.

ممثل الحاميات المسيحية في مراكش في عهد الخليفة الموحدي المنتصر عرف بأنه أكبر صديق للمسلمين، بينما نعت الأسقف Lupas كونه زعيم الصداقة القشتالية – الموحدية[1].

رابعا: النظام المالي للدولة الموحدية ودور أهل الذمة فيه.

لقد حرص خلفاء الدولة الموحدية كل الحرص على النهوض بالاقتصاد في الدولة، وذلك في شتى المجالات من زراعة وصناعة وتجارة، وهذا كله من أجل ارتفاع الدخل المالي للدولة والرخاء وتسهيل سبل العيش، ومما سهل ذلك شساعة رقعة الدولة الموحدية وتوفير الثروات بمختلف أنواعها مع الأمن والاستقرار، فكان لذلك دور في جباية الأموال.

1- دور أهل الذمة في الموارد المالية للدولة الموحدية:

ركز داعية الموحدين المهدي بن تومرت في مسائل جباية الأموال على ما أقره الشرع من زكاة وعشور وخراج وجزية وغنائم، وقد شدد في هذه المسألة ولم يقبل غيرها واعتبر كل مال خارج هذه الموارد مال حرام، وكان موقفه هذا نابعا على أساس دعوته التي هاجم فيها المرابطين وانتقد سياستهم المالية وما أحدثوه من ضرائب وقد التزم عبد المؤمن بتعاليم إمامه المهدي واقتدى بها في كل أمور الجباية[2].

عمل الموحدون في سياستهم الضرائبية على انتهاج نظام ضريبي واحد حتى نهاية القرن 6هـ/12م، وقد ركز عبد المؤمن أيام الثورة وبعد قيام الدولة على اتباع السنة في فرض الضرائب ولم تفرض الضرائب غير الشرعية على السكان[3].

1.1- الضرائب والمكوس:

[1] -Dufourq, les relations, op-cit, p59.

[2]- عبد القادر طويلب، النظام المالي الجبائي في الدولة الموحدية وأثره عليها، دورية كان التاريخية، العدد 25سبتمبر2014 ص ص152.158.

[3]- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص ص21- 22.

وهي ما كان يفرض كقيمة جمركية على السلع المستوردة التي تقدم بها السفن المسيحية وقد بلغت نسبة هذه الضريبة (10%) من قيمة البضائع، وتدع إما نقدا أو عينا بعد عملية بيع البضائع، وقد مست معظم السلع باستثناء التخفيض على بعضها كالذهب والفضة بنسبة (5%)[1].

يوضح الخشني تعشير تجارة الذمي بقوله: ""وحكم الذمي إذا تاجر إلى غير البلد الذي هو به أن يُؤخذ منه العشر من ثمن ما يبيعه، وإن لم يبع فلا شيء عليه"، ويذهب أبي زيد القيرواني إلى نفس المذهب: "ويؤخذ ممن تاجر منهم من أفق عشر الثمن ما يبيعونه وإن اختلفوا في السنة مرارا""[2].

كان للتجار الذين يتاجرون داخل بلدان المغرب وضع آخر فهم كانوا يدفعون الجزية فقط مثل بقية أهل الذمة إذ لا يدفعون ضريبة على أموالهم وإن كانت معدة للتجارة وفي هذا يذكر أبو يوسف أن مالم يكن من مال للتجارة ومروا به على العاشر فليس يؤخذ منه شيء، ويشرح عبد الكريم زيدان أن سبب إعفاء الذمي من الضرائب التجارية عندما يعمل في البلد المقيم به ووجوبها عليه حينما ينتقل إلى بلد آخر بسبب الحماية التي توفر للذمي ولانتفاعه بالمرافق الأخرى كطرق المواصلات والقناطر والجسور، لأن ربحه يزداد بسبب تنقله[3].

وفي الفترة الموحدية حرص عبد المؤمن على إلغاء الرسوم والضرائب التي تخالف الشرع والتي كانت قد فرضت زمن الموحدين[4]، وقد جاء هذا الإلغاء في عدة رسائل منها: الرسالة الموجهة إلى طلبة الأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة في 16 ربيع الأول 543هـ/1148م جاء

[1]- حمزة عبد الصمد ، المرجع السابق، ص132.
[2]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص145.
[3]- عبد الكريم زيدان، المرجع السابق، ص160-161.
[4]- حسين علي حسن، المرجع السابق، ص201.

فيها: "ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرما وإفكا وأدناه إلى من تولاها دمارا وهلكا[1].

وفي رسالة أخرى عن الخليفة عبد المؤمن في 24 جمادى الأول548هـ/1152م موجهة إلى أهل قسنطينة يوضح فيها موقفه من الضرائب الجائرة يقول فيها: "وقد كان بهذه الأصقاع من آثار أهل الاختلاف والابتداع ما عملتموه من القبالات والمكوس والمغارم وسائر تلك الأنواع، وكان الأشقياء من ولاتها يرون إيجابها وإلزامها شرعا يلتزمونه وواجبا يقدمونه ولا يلتفتون إلى ما أوجب الله من الزكاة والأعشار بل كانوا يطرون ذلك إطراح أمثالهم من الفجار"[2].

2.1- الجزية:

الجزية وجمعها جزي وقد أشار ابن منظور إلى أنها خراج الأرض وجزية الذمي هو ما يؤخذ من أهل الذمة، فهي عبارة عن الحال الذي يعتقد وهي فعلة من الجزاء كأنما جزت عن قتله، ويعرفها ابن القيم الجوزية على أنها الخراج المحمول على رؤوس الكفار[3]، لقوله تعالى:" بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ "[4].

يقول عنها الفاسي: هي الخراج على رأس الذمي جزاء الأمن عليه بالإعفاء من القتل وكرهه على الإسلام[5]، إذن فالجزية نظير حمايتهم والمحافظة عليهم وبدلا من عدم قيامهم بواجب الدفاع عن كيان الدولة وحماية المواطنين حيث أنها تؤخذ كبدل مالي عن الخدمة العسكرية المفروضة على المسلمين[6].

---

[1]- هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص380.

[2]- ليفي بروفنسال، المرجع السابق ص22.

[3]- ابن القيم، المصدر السابق، ج1، ص ص79-80.

[4]- سورة التوبة، الآية1.

[5]- الكتاني الفاسي، التراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي، دار القيم، بيروت، (د.ت.ط)، ص311.

[6]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص691.

كما فرضت الجزية على أهل الذمة تحسيسا لهم بالذل والمهانة ولم تفرض كعقاب لهم، فالجزية في كونها علامة تدل على الخضوع للحكم الإسلامي لقوله تعالى:" قَٰتِلُواْ ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلذِينَ ءَاوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

تونس- وأرسل إليه من يمنع العسكر من الدخول وأرسل أمناءه ليقاسموا الناس على أموالهم... وعرض الإسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل[1].

1.3- الخراج:

الخراج بفتح الخاء، جمع أخرجه أو إخراج وهو ما تفرضه السلطة من الضرائب على الأرض سواء منها المفتوحة عنوة أو التي صالح أهلها عليها[2]، وهو بمثابة جزية الأرض[3]، كما يعني الكراء والغلة[4].

اختلف في أصل كلمة الخراج وهناك من الرأي من يقول أنها تعريب للكلمة الآرمية choregia والتي تعني الضريبة[5].

وقد جاء على لسان الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية أن الخراج هو ضريبة سنوية توضع على رقاب الأراضي من حقوق تؤدى عنها، والخراج يختلف عن الجزية في كونها نص، أما الخراج اجتهاد، والجزية أقلها مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد أما الخراج أقله أو أكثره مقدر

[1]- ابن الأثير ، المصدر السابق، ص63.

[2]- محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبب، معجم لغة الفقهاء، عربي إنجليزي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1408هـ/1998م، ص154.

[3]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق،ج1، ص245.

[4]- المصدر نفسه، ص260.

[5]- محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، د.ت، ص123.

بالاجتهاد، كما أن الخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام في حين أن الجزية تسقط بحدوث الإسلام[1]، لقوله تعالى: " أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ "[2].

للخراج نوعان: خراج يوضع على الأرض ويسمى خراج وظيفة وخراج يوضع على الزرع ويسمى خراج مقاسمة[3].

وفي زمن الموحدين أشارت المراجع إلى الإجراء الذي قام به الخليفة عبد المؤمن بن علي في سنة 555هـ/1160م وهو المسح الشامل لأراضي المغرب الأقصى وأراضي الشمالي الإفريقي حتى برقة طولا وعرضا بالفراسخ والأميال، وأسقط ثلث المساحة في مقابل الجبال والأنهار والطرقات وفرض الخراج على ما تبقى من الأراضي، وهذا ما ذكره حسن علي حسن والناصري أبو العباس نقلا عن ابن أبي زرع حيث قال: "وفي هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد إفريقية والمغرب طولا وعرضا، وكسرها من بلاد إفريقية من برقة إلى بلاد السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا، فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والأنهار والسباخ والطرقات، وما بقي سقط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب، وأصبح هذا الإجراء قاعدة سار عليها خلفاء الموحدين من بعده، كما اقتدى المنصور الموحدي سياسة أبيه وسلك في جباية الأموال ما كان أبوه يأخذه ولم يتعده إلى غيره"[4].

ولقد كان التشدد مع عمال جباية الخراج ومحاسبتهم، وذلك أن جباية السلطان تنمو كلما تشدد مع عماله، وقد أصبح هذا الإجراء قاعدة سار عليها الخلفاء الموحدين فيما بعد كونه موردا من

[1]- الماوردي، المصدر السابق، ص181.

[2]- سورة المؤمنون، الآية 72.

[3] - ينظر: ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص275. مُحَمَّد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، المرجع السابق، ص194.

[4]- ينظر: حسن علي حسن، المرجع السابق، ص196. الناصري أبو العباس، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتع: جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،(د.ط.ط)، 1954، ص156.

الموارد الثابتة لجباية الأموال، يقول المراكشي أن ابن خلكان يصف الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قائلا: "كان جماعا مناعا ضابطا لخراج مملكته عارفا سياسة رعيته"[1].

وهكذا بقي الخراج يشكل موردا هاما من موارد بيت المال وكان ينقص ويزيد حسب الأوضاع الاجتماعية والسياسية حتى موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م، والتي أخلت كثيرا من الخراج[2].

1.4- الغنائم:

شكلت مصدرا آخر من الموارد المالية للدولة الموحدية فبعد أن قضى الموحدون على المرابطين دخلوا في معارك كثيرة مع الفرنج في الأندلس حصلوا منها على أموال كثيرا، حيث تشير الرسالة الصادرة عن عمر وعثمان ابني الخليفة عبد المؤمن إلى الطلبة والأشياخ بأشبيلية يخبرونهم فيما بعد بما أحرزوه من نصر وغنائم من معركتهم مع الفرنج سنة 560هـ/1164م، حيث غنموا عددا من الدواب والبقر وعشرات الآلاف من الغنم فملأت الوادي واشتملت على كرميتها الأيادي[3].

كما غنم الموحدون الكثير من الغنائم والأموال من المعارك الكبرى كمعركة الأرك سنة 591هـ/1195م، حيث يقول المقري: "وحكى أن الذي حصل لبيت المال من دروع الفرنج ستون ألفا وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصل لها عدد"[4]، وفي رواية أن الموحدين غنموا من معركة الأراك 13 ألف أسير ومن الخيام 143 ألف ومن الخيل46 ألف ومن السلاح70 ألف[5].

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص187.

[2]- رضا نافع، المرجع السابق، ص131.

[3]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص278.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج6، ص116.

[5]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص205.

وفيها يقول رضا رافع نقلا عن صاحب نفح الطيب: "... وغنم المسلمون ما عظم قدره وكانت عدة من قتل الفرنج 146 ألف، وعدة الأسارى 30 ألف وعدة الخيام 150 ألف وللخيل 80ألف والبغال 100 ألف وللحمير 400 ألف جاء بها الكفار بحمل أثقالهم لأن لا إبل لهم وأما الجواهر والأموال فلا تحصى"[1].

1.4- العملة الموحدية:

إن الذي يعطي صورة مشرقة عن الأوضاع الاقتصادية للدول هي عملتها، حيث أنها توضح لنا مدى التقدم والاستقرار الذي تنعم به هذه الدول، كما أنها تعتبر الوسيلة الآلية الأساسية الثانية مضافة إلى وسائل الكيل والميزان في مجال المبادلات التجارية، مماجعل الدولة الموحدية تقوم بالاعتناء بها وتوفيرها على الساحة الاقتصادية، وما ساعد في ذلك السيطرة على طرق تجارة الذهب المستورد من بلاد السودان ووفرة المادة بالمنطقة، إضافة إلى وفرة مناجم الفضة والنحاس في المغرب والأندلس والتي كانت تستخدم في ضرب النقود والمصنوعات الأخرى، الأمر الذي دفع بعجلة التجارة الداخلية والخارجية إلى الرّواج والازدهار[2].

ولقد اعتبرت العملة المرابطية أساسا للعملة الموحدية حيث بقي الدينار المرابطي متداولا في بلاد المغرب بعد سقوط المرابطين لمدة غير يسيرة من الزمن[3]، حيث كانت تضرب الدنانير بنفس المواصفات المميزة للدينار المرابطي ويتم حذف اسم الأمير الذي اعتاد المرابطون كتابته على السكة، وهذا ما حدث في لمطة بعد سقوط مراكش في أيدي الموحدين سنة 541هـ/1147م، ومثله مثل

[1]- رضا رافع، المرجع السابق، ص136.

[2]- ينظر: بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ والحضارة، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، أحمد بن بلة1، الجزائر، 1435-1436هـ/2014-2015م،ص ص80 -81.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص22.

الدينار الذي ضرب في المدن الأندلسية: بياسة وجيان وإشبيلية حيث كان بنفس المواصفات السابقة[1].

وفيما يخص العملة الموحدية وما تميزت به فقد قام الموحدون باستحداث طراز جديد في مجال المسكوكات لم يكن مألوفا من قبل، حيث تمثل هذا الاستحداث في تغيير الشكل الخارجي للدرهم من الإستدارة إلى التربيع، ويعتبر الموحدون أول دولة في المغرب والمشرق تتخذ الشكل المربع لعملتها، حيث يقول ابن خلدون مشيرا إلى ذلك: "ولما جاءت دولة الموحدين سن المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل... ولقد كان المهدي فيما ينقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربعة، نعته المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون في ملاحمهم عن دولته"[2].

ويقول أيضا: "ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملأ من أحد الجانبين تهليلا وتحميدا، ومن الجانب الآخر كتبا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل الموحدون"[3]، ومن أمثلة ما كانوا يكتبونه أنهم على أحد الوجهين كانوا يرسمون "لا إله إلا الله، لا قوة إلا بالله"، وكان على الوجه الآخر في سطور ثلاثة "الله ربنا مُحَمَّد رسولنا المهدي إمامنا"[4].

ويشير أبو الحسن علي بن يوسف إلى أن ابن تومرت أصدر عملة نقدية تسمى الدرهم المركن فيقول: "وذلك أن صاحب الدرهم المركن هو أبو عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدين، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مدورة، فأمر المهدي أن تكون دراهمهم مركنة"[5].

---

[1]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص 81.

[2]- ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص470. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص294.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص262.

[4]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص295.

[5]- الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح: مؤنس،مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1379هـ/ 1960م، ص49.

وتكاد تجمع الروايات التاريخية على أن المهدي ابن تومرت لم يسك في حياته عملة باسمه وإنما كان الفضل الكبير في إصدار الطراز المربع في الدراهم إلى خليفته ومؤسس الدولة عبد المؤمن بن علي "العملة المؤمنية"، كون أن الأمور لم تستتب إلا في عهد هذا الأخير[1]،ولم يفرض سيطرته السياسية بعد حتى يتمكن من إصدار عملة تؤكد سلطته إذ أن الدولة المرابطية كانت قائمة تفرض سلطتها وعملتها النقدية[2].

1.1.4- أهم المعادن المستعملة في صك العملة الموحدية:

على الرغم من أن دولة المرابطين استمرت في اعتبار الذهب قاعدة لعملتها فإن المجتمع المغربي في عصر المرابطين عرف أيضا الدراهم والقراريط، فالنظام المالي الذي يسير على قاعدة ذهبية لا يمنع وجود معادن أخرى للتعامل، فالمرابطون سكوا كميات كثيرة من الفضة في شكل دراهم تقليدية، كما وجدت عملات من خليط الذهب والفضة من عصر المرابطين[3].

ومع مجيء الموحدين ظلت كمية ونوعية الذهب المستخدم في سك العملات كما هي، مع تغيير في معايير الوزن والحجم، ولم يكن النحاس معدنا جديرا بالاستخدام في سك العملات ولكن أحيانا كان يتم تقليد الدينار والدرهم باستخدام النحاس أو الفضة التي لا يمكن تمييزها إلا بصعوبة، ولكن هذه المحاولات في سك العملات كانت تواجهها معارضات حادة[4].

ومن خلال ذلك يمكن اعتبار سنة 540هـ/1146م نقطة فاصلة في تاريخ العملات في بلاد الغرب الإسلامي بهذه العملات التي أقاما خلفاء الدولة الموحدية.

2.1.4- قيمة الدينار الموحدي:

[1]- صالح يوسف بن قربة، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين الحفصيين والمرينيين، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994، ص10.

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص228.

[3]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص231.

[4]- ابن عربي محي الدين، الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية، بيروت، دار صادر، (د.ت.ط)، ج3،ص76.

اختلف مقدار العملة الموحدية باختلاف الخلفاء، فلهذا كانت العملة تنسب إلى الخليفة الذي أمر بسكها فيقال الدرهم المؤمني[1]، إذ ضرب عبد المؤمن دراهم فضية تزن نصف دراهم النصاب وهي الدراهم الشرعية المقدر قيمتها بخمسين حبة وخمسي حبة، والدينار اليعقوبي حيث يقول أبو الحسن القطان فيما يرويه عن صاحب الدوحة أنه وجد وزن الدينار اليعقوبي من حب الشعير الوسط أربعا وثمانين حبة وأنه وجد من درهم الموحدين وهو درهم السكة المربع ثماني وعشرين حبة[2].

كما ضرب في عهد المنصور دراهم يعادل الدرهم منها ثلث الدينار اليعقوبي، وزنه حبة من الشعير الوسط[3]، كما عمل أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي على مضاعفة وزن الدينار للرفع من قيمته نظرا لضخامة الدولة الموحدية وقوتها آنذاك، وفي ذلك يقول ابن عذارى المراكشي: "ولم تزل همة المنصور تتبع جزيئات المملكة بالتفخيم...فرأى أن الدينار القديم يصغر عن مرأى ما ظهر بالمملكة من المنازع العالية... فعظم جرمه ورفع قدره بالتضعيف..."[4].

أما عن أوزان العملة الموحدية فقد اختلفت كذلك حيث سكت الدنانير المزدوجة، وكذلك كسور الدنانير مما يزيد من سرعة التعامل بهذه العملات وأصبح الدينار الموحدي على الصورة الآتية:

0,25 دينار متوسط الوزن =0,55جرام قطره 13ملم.

0,5دينار متوسط الوزن= 1,15جرام قطره =16,14ملم[5].

كما أن ضرب الدينار الذهبي الموحدي تراوح وزنه بين 2,27 و2,51 غرام وقطره بين 19 و 22سم، وهذا الوزن يعادل نصف قيمة الدينار المرابطي الذي تجاوز وزنه 4غرام، والسبب في ذلك

[1]- ابن يوسف الحكيم، المرجع السابق، ص144.

[2]- ينظر: ابن يوسف الحكيم، المرجع السابق، ص85. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص296.

[3]- ينظر: ابن يوسف الحكيم، المرجع السابق، ص145. بغداد غربي، المرجع السابق، ص85.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص182.

[5]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص231.

فيما يبدو هو حاجتهم الشديدة للذهب بسبب المصاريف التي تكبدها حركة الجهاد الإسلامي في إسبانيا فضلا عن الحروب الداخلية لتثبيت ملكهم[1].

كما وجد نوع من الدنانير الموحدية التي ضربت بقيمة مضاعفة وصل وزنه إلى 4,94 غرام وبسمك 1ملم وقطر 65ملم وقد ضرب هذا الدينار بمناسبات خاصة لتحقيق المعاملات في الصفقات التجارية الضخمة[2].

3.1.4- دور أهل الذمة في المعاملات النقدية:

من خلال النظر في أغلب المراجع التاريخية لوحظ أن اشتهار اليهود بأمور الصرافة وامتلاك أماكنها وضرب النقود معروف منذ القدم فعلى سبيل المثال عرف برسكوس اليهودي ضارب النقود في القرن السادس الميلادي وأيضا جدعون اليهودي في القرن العاشر، وسيمون وسلمان في القرن الثاني عشر وغيرهم[3].

وصل اليهود إلى مراتب عالية في المجتمع الإسلامي خاصة في الأمور المالية سواء خلال العهد المرابطي أو الموحدي، فقد عرفنا من قبل دور اليهود في تجارة الذهب، ومن الناشاطات المتفرغة عنها كالصيرفة، فقد كانت هناك حوانيت خاصة لتبديل العملة في مدينة القيروان[4]،وتسمي الناس الصرافين بالجهابذة، وينحصر عملهم في صرف النقود واستلام الودائع وتقديم القروض وكل الأمور المالية والعملات والذهب[5].

---

[1]- ابن مُحَمَّد عبد النبي، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1979، ص44.

[2]- المرجع نفسه، ص44.

[3]- هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس-دراسة عن اليهود المارنواس- دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية للنشر، معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، ط1، 2008م، ص25.

[4]- المرجع نفسه، ص25.

[5]- ابن يوسف الحكيم، المرجع السابق، ص160.

ويشير ابن عذاري في كتابه البيان المغرب إلى سجلماسة وغنى يهودها إضافة إلى أن خازن المال بها سنة 641هـ/1243م هو اليهودي ابن شلوخة الذي استعمله عبد الله بن زكريا الهزرجي على عهد الخليفة السعيد الموحدي[1].

ولقد نبّه ابن الأخوة إلى هذا العمل التجاري الخطير قائلا: " التمعش بالصرف خطر عظيم على دين متعاطيه بل لا يقي للدين معه إلا بعد معرفة الشرع ليتجنب المحظورات"[2]، كما نبه الونشريسي إلى من يريد العمل بهذا الفرع المالي "فالغالب على معاملتهم الفساد والربى"[3]، مستشهدا بقوله تعالى: " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَالُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلاَيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ "[4].

ولقد ذكر الونشريسي نازلة في حكم تولي يهودي الصرف في بيت مال المسلمين، حيث سئل عن يهودي ولي صرفا لبيت مال المسلمين ليزن الدراهم المقبوضة والمصروفة وينقدها، هل تحل توليته؟[5]وجاء جواب الفتوى بأن لا تحل توليته ولا يجوز إبقاؤه فيها ولا يحل اعتماد قوله في شيء من ذلك[6].

ويذكر مُحَمَّد المغراوي في كتابه الموحدون وأزمات المجتمع على لسان أبو الحسن علي بن يوسف منع اليهود والنصارى من الاشتغال في السكة: "وذلك أنه قد علم بالنقل والاستقراء من كتب الفقه والتواريخ أنه كان في الزمن القديم لا يشغل بصرف الدنانير والدراهم إلا من وثق من أهل الإسلام، ولا يدخل في ذلك الأعاجم ولا أهل الذمة من اليهود وغيرهم ممن يتهم في كسبه أو كان جاهلا

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص364.
[2]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص145.
[3]- الونشريسي، ج5، ص64.
[4]- سورة آل عمران، الآية118.
[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص69.
[6]- المصدر نفسه، ص376.

بسببه، لا سيما وقد قال عمر ﷺ: "لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقهوا في الدين"[1]، وقال بعض الفقهاء: "[2]، لايجوز لأهل الذمة أن يكونوا صيارفة ولا جزارين، ويقامون في الأسواق كلها، فإن الله تعالى أغنى عنهم بالمسلمين، وكره مالك رحمه الله أن يكون أهل الذمة صيارفة في أسواق المسلمين لعملهم بالغش والربا"[3].

من خلال هذا الفصل ظهر أن أهل الذمة كانت لهم مشاركات في شتى النواحي الاقتصادية على عهد الدولة الموحدية، وكانوا من ضمن من ساهموا في تنشيط الحركة الاقتصادية للبلاد، سواء في الميدان الزراعي أو الصناعي أو التجاري، وإن كان اليهود قد برعوا في مجال الحرف والصناعات التي تدر عليهم بأرباح طائلة فكانوا يتوارثون حرفهم وصناعاتهم ويعلمونها لأبنائهم الصغار، وهذا ما حثتهم به شريعتهم وأوجبت عليهم بأن يعلم كل أب ابنه حرفة معينة، وكما كان لهم الحضور في مجال العملة والصيرفة، أما في المجال الزراعي فقد امتلك اليهود أراضي زراعية وقاموا بخدمة الأرض وذلك بزرع مختلف أنواع الخضر والفواكه والنخيل والكروم، وحفروا الأبار وجعلوا السواقي إلى غير ذلك، أيضا كان لهم التفوق في الميدان التجاري سواء في مجال الإستيراد أو التصدير، مع معرفتهم الجيدة بالطرق والمسالك التجارية، سواء في التجارة الداخلية أو الخارجية للمغرب والأندلس أو هما معا، أما النصارى اختلفت أنشطتهم داخل الدولة الموحدية، كل حسب تخصصه وبفضل الحرية التي تمتعوا بها في ممارسة نشاطهم الإقتصادي وجدت منتوجاتهم رواجا كبيرا داخل هذه، وقد ساهم التجار المسيحيين في ازدهار التجارة على عهد الموحدين، حيث أثروا في الحركة التجارية التي عرفها المغرب الإسلامي، وذلك عن طريق العلاقات التجارية المتينة بين هؤلاء التجار المسيحيين وسكان بلاد المغرب، فتمت بينهم بعض الصفقات التجارية كتبادل الحبوب بالصوف بطريقة تقسيط الدفع، مما يؤكد تلك الثقة التي كانت بين الطرفين من جهة، ورواج التجارة من جهة أخرى، أما في مجال الصناعة فقد تخصصوا

[1]- مُحَمَّد عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية، المسمى بالترلتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي،شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان –، ط2، ج1، ص16.

[2]- جمال مُحَمَّد مُحَمَّد الهنيدي، التربية المهنية والمعرفية في الإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2000م، ص 69.

[3]- مُحَمَّد المغراوي، المرجع السابق، ص139.

في صنع الكتان وبيعه في مختلف الأسواق إلى غير ذلك، وفي مجال الزراعة فقد اهتموا بزراعة الزيتون، وتربية الحيوانات، فمن خلال هذا يعلم أن أهل الذمة في الدولة الموحدية اشتغلوا في مختلف الميادين الاقتصادية وساهموا في ازدهار الاقتصاد الموحدي وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم تضييق خلفاء هذه الدولة على هذه الفئة.

الخـــــاتمة

في ختام هذه الدراسة وبعد أن تطرقنا إلى أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية – دراسة اجتماعية واقتصادية– وبعد أن استعرضنا في الفصول السابقة بعض أنشطة أهل الذمة هناك، وأجبنا على ما ورد من تساؤلات حول حياتهم الاجتماعية والاقتصادية في ظل هذه الدولة، فمن خلال هذا يمكن أن نشير إلى جملة من النتائج نوجزها في السطور التالية:

– يعتبر موضوع أهل الذمة من الموضوعات الهامة لتاريخ الغرب الإسلامي، حيث ثبت تاريخيا أن منطقة الغرب الإسلامي عامة والمغرب الإسلامي خاصة اعتبرت منذ القدم منطقة جذب للعناصر الأخرى من غير المسلمين سواء أفرادا أو جماعات ومن بين هؤلاء اليهود والنصارى وقد كان للهجرة الأندلسية مساهمة فعّالة لتوافدهم للمغرب الإسلامي.

– لقد كان أهل الذمة كباقي الفئات الاجتماعية في الدولة الموحدية، فلم يكونوا بالصورة الشنيعة التي صورتها بعض المصادر والدراسات، بل كان هناك تسامح تجاه أهل الذمة على عهد هذه الدولة، عكس القائلين بأن هذه الفئة عوملت معاملة سيئة وذلك عن طريق الاضطهاد والتعسف من طرف الموحدين، نعم مرت عليهم بعض الفترات القليلة تغيرت فيها نوعا ما أوضاعهم، لكن لم تدم طويلا وليس بكل بهذا التصور، وهذا كله راجع إلى الاضطرابات وتداول الحكام والخلفاء على هذه الدولة.

– لقد كان لليهود إسهامات كبيرة خاصة في المجال الاقتصادي حيث أنهم ساهموا في ازدهار الاقتصاد الموحدي من خلال علاقاتهم التجارية وذلك بتمركزهم في أهم المدن التجارية وشاركوا في التجارة الخارجية والداخلية لهذه الدولة.

– معاملة النصارى من طرف الموحدين كانت معاملة حسنة، سمحت لهم بأدورا كبيرة وبشكل طبيعي في مساهمتهم بناء الدولة الموحدية، وذلك في كثير من الجوانب كالجانب العسكري، بحيث تقلدوا مناصب داخل الجيش الموحدي، إضافة إلى الجانبين الاجتماعي والاقتصادي.

- إن مصطلح الذمة هو العهد والأمان، وأهل الذمة هم الذين يعيشون في المجتمع المسلم وفي كنف الدولة المسلمة، ويدينون بديانتهم وفق شروط وضوابط بأن يدفعوا الجزية مقابل حمايتهم إلى غير ذلك.

- إن الجزية ضريبة تؤخذ من أهل الذمة من أجل حمايتهم وحماية ممتلكاتهم، ويشترط فيها عدة شروط منها البلوغ والعقل والذكورية، فلا تؤخذ من المرأة، و يشترط كذلك الحرية فلا تؤخذ من العبد والرقيق، ولا من المريض.

- محافظة اليهود والنصارى على موروثهم من العادات والتقاليد، حتى أن بعض المسلمين شاركوهم في بعض عاداتهم كالأعياد، فظلوا يحتفلون بأعيادهم وشعائرهم الدينية كعيد المظلة وعيد الفصح وعيد الكبور، وكذلك عيد الميلاد بالنسبة للنصارى وعيد الربيع وغيرها من الأعياد.

- ساهم أهل الذمة في الحفاظ على التنظيم الأسري في بلاد الغرب الإسلامي، وذلك باتباعهم الركائز والدعائم الأساسية لهذا التنظيم والبناء الأسري المتمثلة في الزواج وتعدد الزوجات وجعل الطلاق آخر الحلول التي يلجأ إليها في حل المشاكل الأسرية.

- بقاء أهل الذمة خاصة النصارى على مبدأ الانفراد والانعزال والعيش في أحياء خاصة بهم في بلاد الغرب الإسلامي، وبقائهم كذلك على الحفاظ على لباسهم الخاص مع اقتدائهم في بعض الأحايين بالمسلمين، أما اليهود فطريقة لباسهم تختلف من فترة لأخرى.

- دور المرأة الذمية في بلاد الغرب الإسلامي، فالمرأة النصرانية قد كان لها أدوار مختلفة من المرأة الماكثة بالبيت والحاضنة إلى المرأة في القصور السلطانية والزواج بالأمراء والخلفاء، حتى بلغ بها المقام إلى أن تستشار في أمور الدولة خاصة في بلاد المغرب الأدنى، أما المرأة اليهودية فكانت ماكثة في البيت حاضنة ومربية وحريصة على أشغال البيت.

- ساهم أهل الذمة في الجانب الاقتصادي للدولة الموحدية، حيث كان اهتمامهم بالفلاحة والزراعة والتجارة فحفروا الأبار وقاموا بتربية الحيوانات وخاصة دودة القز التي تنتج الحرير.

- اهتم أهل الذمة وخاصة اليهود بالصناعة وذلك في المجال التعديني كالذهب والفضة وضرب السكة، أما النصارى فكانوا يتاجرون فيها وكانوا يتقنون فن السمسرة وصناعة الخمور والمتاجرة فيها.

وأخيرا لا بأس بالإشارة إلى بعض التوصيات كالآتي:

ـ تعميق البحث والدراسة خاصة في اللغات الأجنبية كالإسبانية والعبرية في ترجمة المؤلفات التي تركها اليهود وتحقيق المخطوط منها، وهذا لأجل توسيع نطاق البحث في مختلف الجوانب.

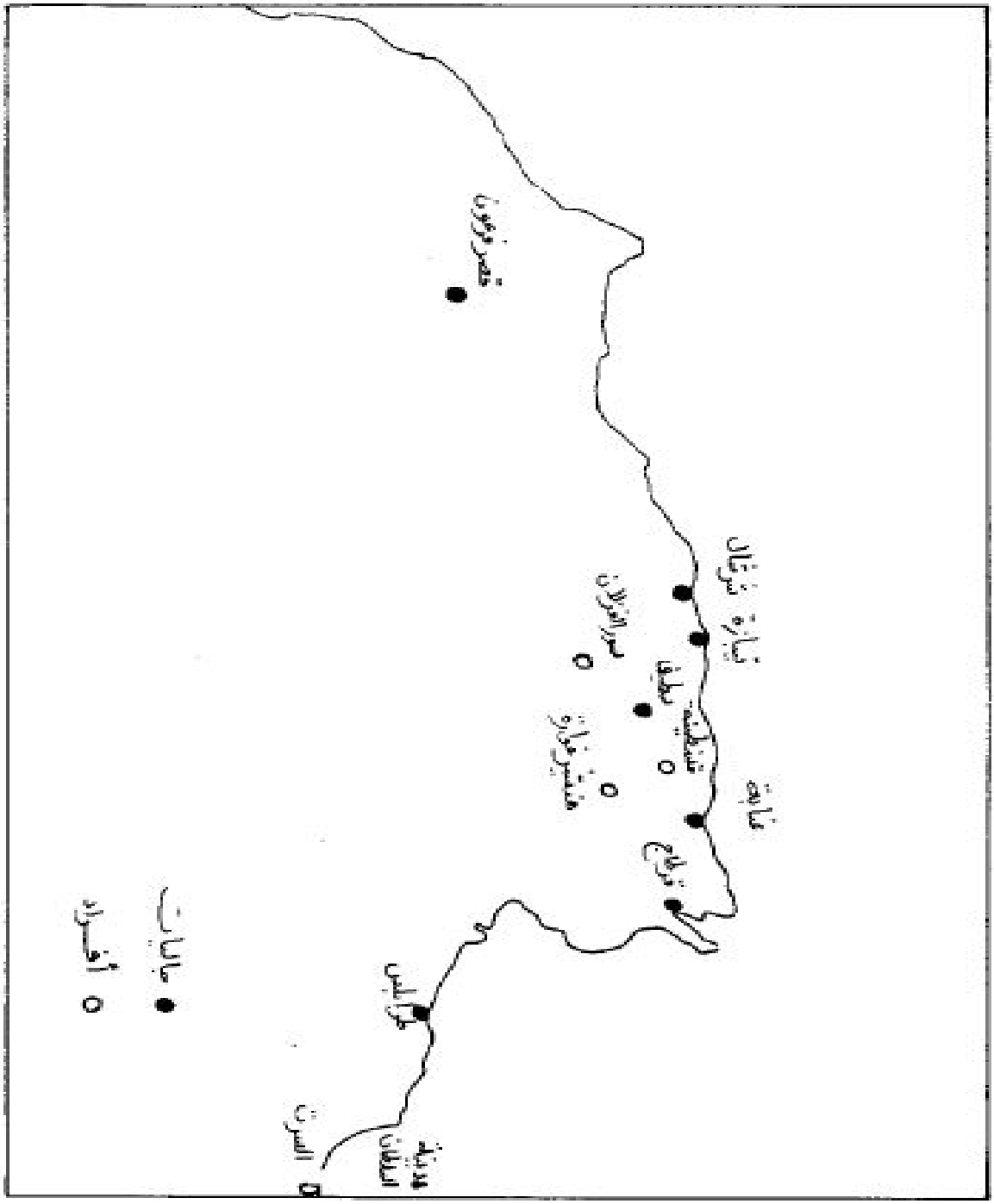
ـ زيادة البحث والدراسة فيما يتعلق بالجانب السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية، وذلك بعمق النظر والتحليل الخاص بهذه الفئة في كل هذه الجوانب اعتمادا على المناهج البحثية الحديثة مما يساعد على تصحيح النظرة وإظهار خفايا وخبايا جديدة تتعلق بأهل الذمة

ـ استعمال البحوث الأثرية خاصة في المناطق التي تواجد فيها أهل الذمة بشكل واسع.

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول أن الموضوع لا يزال مفتوحا أمام الباحثين للمزيد من الاكتشافات لنصوص وإشارات جديدة، وأيضا أمام المزيد من إعمال النظر والاجتهاد في القراءة لتجاوز حالة التعميم التي سيطرت ردحا من الزمن على الدولة الموحدية، وكذا تناول الموضوع من جوانبه الحضارية الأخرى السياسية والثقافية وكذا العسكرية.

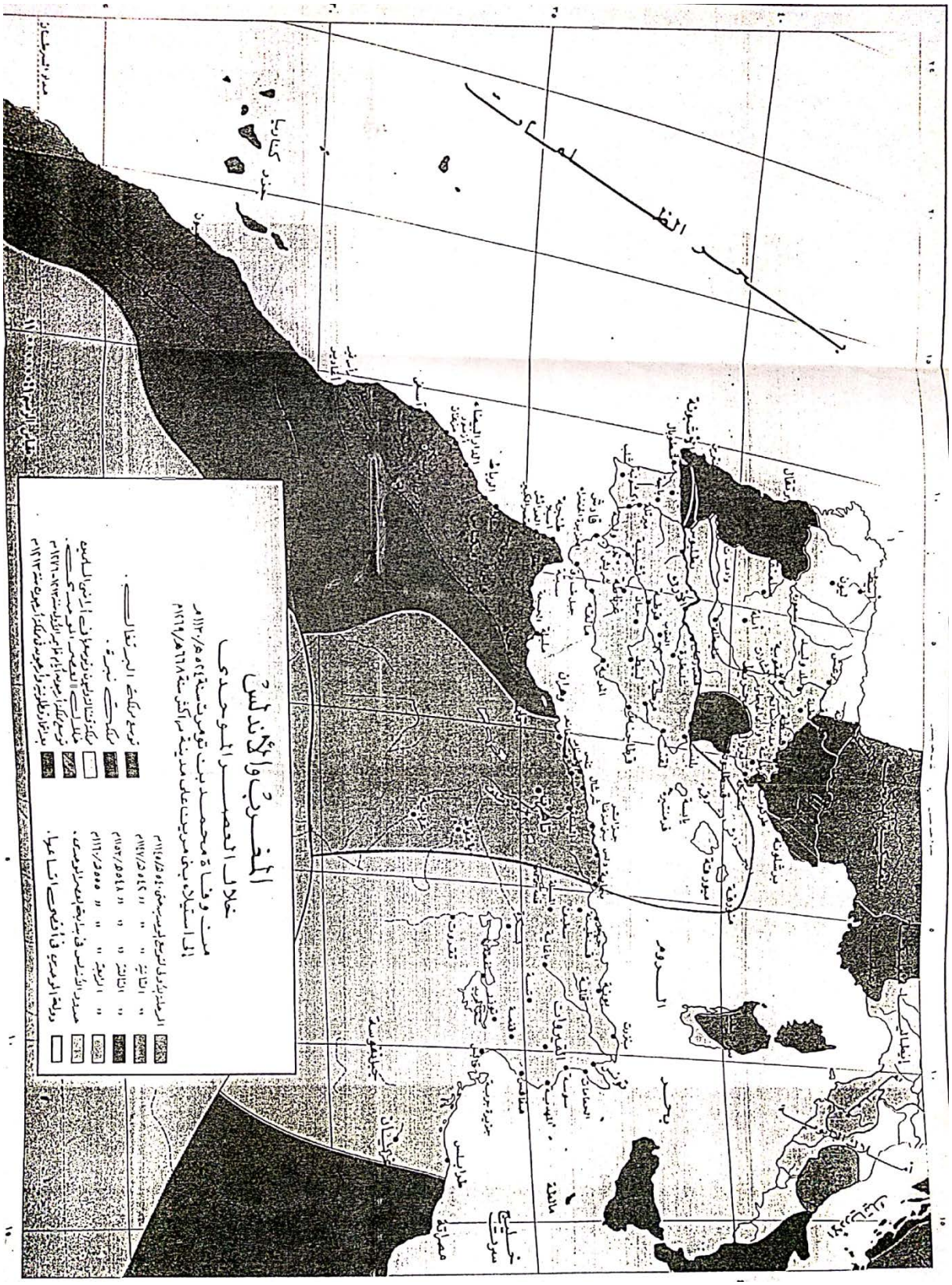
الملاحق

الملحق رقم: 01[1]: **خريطة لمواقع اليهود في العهد الروماني.**



[1]- مسعود كواتي ، المرجع السابق، ص 257.

الملحق رقم 02[1]: **خريطة توضح المغرب والأندلس خلال العهد الموحدي.**



[1]– مقاديم عبد الحميد، الحياة الاجتماعية والإقتصادية على عهد الدولة الموحدية، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2001/2000، ص210.

الملحق رقم03[1]: **وثيقة حول كيفية معاملة اليهود.**



حكم معاملة اليهود

وسئل هل تجوز معاملة اليهود بالبيع والشراء بالدين والاستدانة أولا ؟ فأجاب : اذا اشترى الرجل وباع من اليهود على ما يجوز شرعا ولا يحمل منه بوزنا ولا بوجه لا يسوغ في الشرع فذلك حلال طيب سائغ.

في استظهر على مسلم برسوم وادعى المسلم قضاء ما فيها

وسئل عن رجل من يهود الذمة استظهر على رجل من المسلمين بثلاثة رسوم أحدها لتاريخه خمسة عشر عاما ، والرسمان لتاريخهما أحد عشر عاما وذكر أنه بقيت لهم من كل واحد منهما بقية وطالبه بها فادعى المسلم المذكور أنه خلصه من الرسوم المذكورة فهيدوا لنا هل يكون القول قول الغريم فيحلف أنه خلصه من مضمن الرسوم ويبرأ لطول المدة أولا يلتفت الى قوله الا ببينة ؟ والله يديم عافيتكم.

فأجاب: من عادة اليهود لعنهم الله استحلال أموال المسلمين وذلك عادة فيهم حتى ذكرتها الله عنهم ، والعادة أن أحدا لا يترك ما له عند غيره مدة طويلة فكيف بكاشر مع مسلم ، وقد قال الفقهاء أن من عرف بالتعدي والظلم فيغلب الحكم في حقه ، فمن ادعى على من هذه حاله فيحلف هذا الطالب ويستحق ما طالب والعكس في هذه لكذلك يقتضي في قضية اليهود أن يحلف المسلم أنه خلصه من ذلك الحق فاذا حلف سقط حق اليهودي .

[1]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 240.

الملحق رقم 04[1]: **وثيقة تبين اللباس الخاص بأهل الذمة وإلغاء الذمة.**

" وفي آخر أيام أبي يوسف (يعقوب المنصور) أمر أن يميز اليهود بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، وذلك ثياب كحيلة وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم ، وبدلا من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت أذانهم ، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب ، ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدرا من أيام ابنه أبي عبد الله ، إلى أن غيره أبو عبد الله المذكور ، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة ، واستشفعوا بكل من يظنون أن شفاعته تنفعهم لا، فأمرهم أبو عبد الله بلبس ثياب صفر وعمائم صفر ، فهم على هذا الزي إلى وقتنا هذا – وهو سنة 621 – وإنما خمل أبا يوسف على ما صنعه من افرادهم بهذا الزي وتمييزه إياهم به ، شكه في اسلامهم وكان يقول : لو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أموالهم فيئا للمسلمين ولكي متردد في أمرهم .

ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ أ قام أمر المصامدة ، ولاقي جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة ، إنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ويصلو في المساجد ويقرئون أولادهم القرآن ، جارين على ملتنا وسنتنا ، والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم ".

[1]– المراكشي، المصدر السابق، ص 305.

الملحق رقم105[1]: **إلزام يعقوب المنصور لليهود بلبس الشكلة.**

" ومن فضائله المشهورة في الوجود ما أمر به من شكلة اليهود ، وذلك أهم كانوا قد علوا على زي المسلمين وتشبهوا في ملابسهم بعليتهم وشاركوا الناس في الظاهر من أحوالهم فلا يميزون من عباد الله المؤمنين .فيجعل لهم صفة كجداد ثكلى المسلمين أردان قمصهم طول الذراع في عرض ذراع زرق وبرانيس زرق وقلانس زرق ، وذلك في سنة خمس وتسعين المؤرخة ، ولما اتصل الخبر بابن نغرالة اللعين عمل أرجوزته التي أولها :

ليس ذا الأزرق ليس فيه خسارا فافهموا يا قوم هذي الإشارا

يذكر فيها نبذا ونكتا من الحدث أن ويتعرض فيها للتفاؤل بهذا الأزرق للسلطان .وفي ذلك وعك المنصور وعكه الذي توفي رحمه الله .وربما قال اللعين أرجوزته بعد وفاة المنصور وهو الصحيح ".

[1]- ينظر:المراكشي، المصدر السابق، ص ص 228-229. مؤلف مجهول. الاستبصار، المصدر السابق، ص 202.

الملحق رقم06[1]: يهود فاس وسجلماسة في العصر الموحدي.

"قال الناظر : وأما الآن فهم (اليهود) تجار أهل هذه البلاد كلها (سجلماسة) وأغنياؤها ، وخاصة بمدينة فاس ، فإي عاينت مهم من يقال إن عنده المال الممدود رجالا كثيرين .وقد كان تبه لهم الأمر العالي أيد الله دوامه سنة582 (1186) فلبس المرتشون وشوش المشوشو وخوف المفتشون ، فأرجأ القدر السابق هذا إلى نهاية أمد عزهم وابتداء نكستهم ان شاء الله وذرهم وهي سنة 571 م الهجرة ... وهم الآن قد مازجوا المسلمين وداخلوهم وهو العز الذي كانوا يرتقبونه في سالف الأزمان ، وبعده الزلة الدانية لهم القاصمة ان شاء الله لظهورهم ، المستأصلة لشأفتهم عما قريب كما قدمنا"

[1]-مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص202 .

الملحق رقم06[1]: **وثيقة تبين منع اشتغال اليهود والنصارى في السكة**

" وذلك أنه قد علم بالنقل و الاستقراء من كتب الفقه والتواريخ أنه كان في الزمن القديم لا يشتغل بصرف الدنانير و الدراهم إلا من وثق به من أهل الإسلام ولا يدخل في ذلك الأعاجم ولا أهل الذمة من اليهود وغيرهم ، ممن يتهم في كسبه أو كان جاهلا بسببه، لا سيما وقد قال عمر ﷺ ، لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقهوا في الدين" ير يد ، والله أعلم ، فقه ما يلزمه في خاصة نفسه .وقال بعض العلماء : لا يجوز لأهل الذمة أن يكونوا صيارفة و لا جزارين ، ويقامون م الأسواق كلها ، فإن الله أغنى عنهم بالمسلمين . وكره مالك رحمه الله أن يكون أهل الذمة صيارفة في أسواق المسلمين لعلمهم بالغش والربا،، ورأى أن يقاموا" .

[1]- مُحَمَّد المغراوي، المرجع السابق، ص 139.

الملحق رقم07[1]: **وثيقة حول كيفية التعامل مع الجار اليهودي.**



كيف يعامل الجار اليهودي ؟

وسئل القابسي عن رجل بجواره يهودي قد ربي منهم، فربما جاءه في حاجة، أو عرضت له اليهم حاجة، وربما مشى في طريق ملاصقة لهم، فهجي بينهم حديث وابتسام، وكلام لين، وهذا الرجل يقول: الله عالم ببغضي لليهود ولكن طبعي لين: أتراه من هذا في حرج أم لا ؟ وما يرد عليه اذا سلموا عليه، أفتنا رحمك الله.

فأجاب: ان كنت تسأل لنفسك فلا تخالط من على خلاف دينك، فهو أسلم لك. وأما جارك من أهل الذمة، فيستقضيك حاجة لا مأثم فيها، فتقضيها له فلا بأس. أما لين قولك له ان خاطبك فان لم يكن فيه تعظيمهم له ولا تشريف، ولا ما يغبطه في دينه، فلا بأس اذا ابتلت به، وأما ان سلم عليك فالرد عليه أن يقول: وعليك، ولا تزد. وأما سؤالك عن حاله وحال من عنده، فما لك فيه فائدة، وما عليك منه ان أنت لم تكثر ولم تفرط فيه، ولكن بقدر ما يدعو اليه حق الجوار والله يعلم المفسد من المصلح، والله ولي بالتوفيق.

[1]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص241.

الملحق رقم08[1]: **وثيقة توضح ما يميز به أهل الذمة من اللباس .**



ما يميز به أهل الذمة

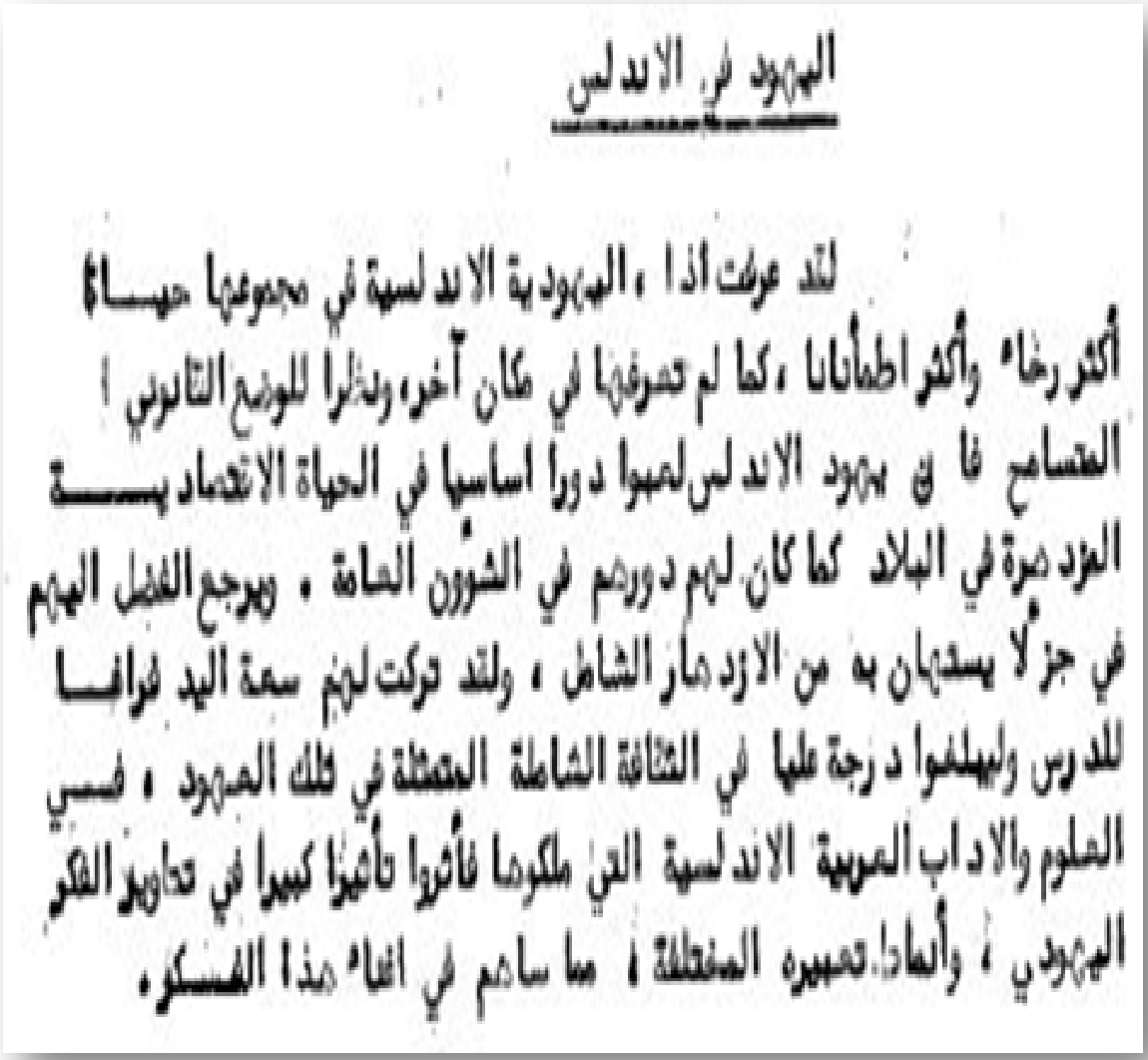
وسئل الامام أبو محمد الله المازري رحمة الله عن تمييز حالهم بما يظهرون به ويتميزون من المسلمين ، وهل يأمرهم القاضي بصبغ أطرافهم؟ ولو لم يفعل القاضي هل لمن قام به من المسلمين ممن ظاهر حاله الستر والتصون القيام بذلك أم لا ؟

فأجاب كون اليهود يكلفون تغيير أطرافهم أو اتخاذ علم يتميزون به ، هذا مما فعل عندنا حديثا وقديما في الامصار الكبار، وفيه تفصيل يطول القول فيه . انتهى .

تحليل : فظاهرة أنه عام في الذكور والاناث. وقوله في الامصار الكبار معناه حيث يكثر اللبس. وأما الصغار أو حيث تكون القرية لهم فظاهر كلامه أنه لا يحتاج اليه . والصواب أن لا بد من تمييزهم مطلقا ، اذ لا بد من مخالطتهم المسلمين لا نهم بين أظهرهم والله أعلم .

[1]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 239.

الملحق رقم09[1]: **وثيقة حول مكانة اليهود في الأندلس.**



اليهود في الاندلس

لقد عرفت اذا ، اليهودية الاندلسية في مجموعها حياة أكثر رخاء وأكثر اطمأنانا ، كما لم تعرفها في مكان آخر، ونظرا للوضع التاريخي المتسامح فان يهود الاندلس لعبوا دورا اساسيا في الحياة الاقتصادية بصفة العزيزة في البلاد كما كان لهم دورهم في الشؤون العامة . ويرجع الفضل اليهم في جزء لا يستهان به من الازدهار الشامل ، ولقد تركت لهم سعة اليد فرصا للدرس وليبلغوا درجة عليا في الثقافة الشاملة المتمثلة في تلك العهود ، فسبي العلوم والاداب العربية الاندلسية التي ملكوها فأثروا تأثيرا كبيرا في تطوير الفكر اليهودي ، وأعادا تعبيره المتغلغلة ، مما ساهم في انماء هذا الفكر.

[1]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 248.

الملحق رقم10[1]: **يهوديان مغربيان الأول في حارة يهودية بمراكش، و الثاني حرفي في دكانه.**





[1]– عبد الله أيت إيشو، معالم من حياة اليهود المغاربة، مجلة كان التاريخية، مجلة دولية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية، السنة2، العدد3، مارس2009م.

الملحق رقم11[1]: **نماذج لبعض الدراهم خلال العهد الموحدي.**

المادة: الفضة
الضلع: ١٢×١٢مم
الوزن: ٥. غ
السمك: ١ مم



الوجه	الظهر
الحمد لله رب العالمين	ابو محمد عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين

المادة: الذهب
السمك: ١ مم.
القطر: ٢٠مم.
الوزن: ٢.٥ غ.



مركز الوجه	مركز الظهر
لا إله إلا الله محمد رسول الله	المهدي إمام الأمة القائم بأمر الله
هامش الوجه	**هامش الظهر**
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين	أبو محمد عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين

المادة: الفضة
القطر: ١٨ مم
الوزن: ١.٤ غ
السمك: ١ مم



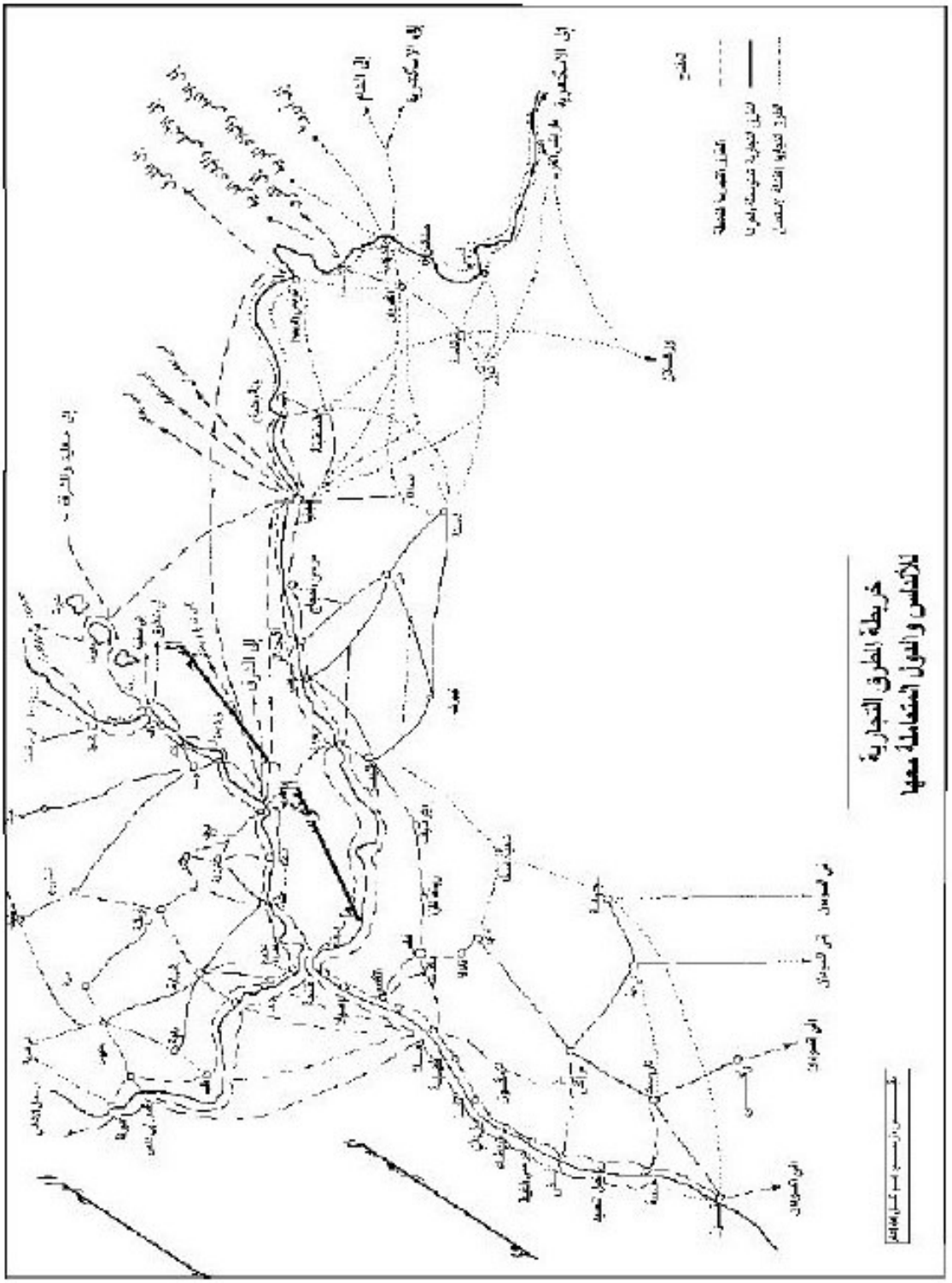
الوجه	الظهر
الحمد لله رب العالمين	ابو محمد عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين



مركز الوجه	مركز الظهر
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	القائم بأمر لله الخليفة
والحمد لله وحده	ابو محمد عبد المومن بن
لا اله الا الله	علي أمير المؤمنين
محمد رسول الله	أمير المؤمنين ابو يعقوب
المهدي امام الامة	يوسف أمير المؤمنين
هامش الوجه	**هامش الظهر**
والهكم إله واحد	امير المؤمنين
لا إله إلا هو الرحمن الرحيم	ابو يوسف يعقوب
وما أصابك من نعمة فمن الله	بن أمير المؤمنين
و ما توكلي إلا بالله	بن أمير المؤمنين

[1]- مُحَمَّد موشموش، تطور شكل السكة الموحدية من خلال أربعة نماذج غير منشورة للدرهم المستدير –دورية كان التاريخية- العدد السابع عشر، سبتمبر 2012، ص ص 33-37.

الملحق رقم12[1]: **خريطة توضح الطرق التجارية للأندلس والدول المتعاملة معها.**



[1]- رابح رمضان، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارالاسلامية، جامعة وهران،2008/2007م، ص 192.

الملحق رقم13[1]:**وثيقة حول علاقة الدولة الموحدية التجارية مع أهل جنوة الإيطالية.**

اتفاقيّة بين الجنويين والموحدين.

كانت مدينة جنوة من أقدم المدن الإيطالية في التعامل مع الموحدين، إذ نظمت العلاقات بين الطرفين باتفاقية سنة 548 (1153–1154)، وتجددت بعد فتح المهدية (1160–1161 / 556–557)، فأصبح للجنويين حق المتاجرة مع سواحل الدولة الموحدية مع امتياز خاص وهو أداء ضريبة 8 % على سلعهم ماعدا في بجاية فهي 10 %، وانتظمت التجارة مع موانئ مهمة مثل طرابلس وتونس وبجاية وسبتة. وكانت المهدية أيضا تستقبل سفن الجنويين، فقد أشار صاحب الروضتين خلال أحداث سنة 586 إلى وصول مراكب بالبضاعة الجنوية إليها "فباعت بها وتزودت منها وقصدت الشام خيب الله قصدها !.

ويبدو أن الخبرة التجارية الطويلة الأمد علمت الجنويين كيف يحترمون الاتفاقات مع الغير، ومعاقبة حكامهم لكل من يخرق هذه الاتفاقات، وهذا ما تعترف به رسالتان موحديتان إلى بيشة لحض حكومتها على أن تحذو حذو جنوة في معاقبة من لا يحترمون العهود.

إن التجار الإيطاليين (وخاصة البيشانيين) لم يهتموا كثيرا بالإطار السياسي أي أنهم يتعاملون مع المسيطر على المنطقة الساحلية حيث تقع المدن التجارية التي تهمهم، فمعاهدة المنصور مع بيشة سنة 582 تمت قبل أن يركز المنصور نفوذه بالمنطقة، بل وقبل إعادته فتح قفصة والجريد من يد بني غانية. وعندما تمرد ابن عبد الكريم الكومي بالمهدية على والي تونس ترددت السفن التجارية البيشانية إلى المهدية حسبما يفهم من التهديد الذي وجهه والي تونس إلى بيشة من مغبة التعامل مع هذا الثائر، وكان هذا التحذير موجها أيضا بواسطة حكومة بيشة إلى أحد حكام سردينيا التابع لها بشكل ما. وعندما أصبحت إفريقية سنة 600 بيد ابن غانية تبادل المراسلات مع بيشة واليه على المهدية علي ابن الغازي، وبعودة النفوذ الموحدي إلى إفريقية تستمر العلاقات مع الإيطاليين وتنظم بصفة أكثر في العهد الحفصي.[1]

قامت اتفاقيات بين الخلفاء الموحدين والنصارى الجنويين، حيث سمح لهم بالمتاجرة في في سواحل المدن الموحدية، في طرابلس والمهدية التي رست على سواحلها سفن النصارى للتجارة في بلاد المغرب الموحدي.

[1]- أحمد العزاوي ، المرجع السابق، ج2، ص92–93.

الملحق رقم14[1]: **وثيقة في عهد الخليفة المنصور في المبادلات التجارية.**

اتفاقيات البيشانيين والموحدين

في عهد الخليفة المنصور نظمت المبادلات مع بيشة باتفاقية طويلة الأمد تمتد إلى خمس وعشرين سنة بشأن السلام والتجارة بين الطرفين، وكان المنصور إذاك (583–584) بإفريقية يحاول تطهير المنطقة من بني غانية وحلفائهم من العرب والغز. هذه الاتفاقية تعطي للبيشانيين حق المتاجرة في أربع مراسي بالمغرب دون الأندلس، وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس مقابل أداء العشر على سلعهم، ولا ينزلون بمرسى أخرى إلا لإصلاح سفنهم أو التزود بالحاجيات لمتابعة سفرهم. وسيتجدد هذا الاتفاق أو يعقد اتفاق جديد في أيام الناصر سنة 607 .

ويبدو أن النشاط التجاري للبيشانيين لم يكن منتظما إما بسبب الأحوال الداخلية بإفريقية أو بسبب عدم ارتباطهم باحترام الاتفاقات المبرمة، بحيث نجد في الثمانينيات رسالة موجهة من السيد أبي زيد بن الخليفة يوسف إلى حكومة بيشة يؤكد على حماية تجارها وتأمينهم وبحرضهم على القدوم إلى أفريقية. كما تتكرر المراسلات سنتي 596 و 597 من طرف والي تونس السيد أبي زيد بن عبد المومن أو كبار المسؤولين عن مرساها إلى حكومة بيشة لتحريض تجارها أيضا على الوفود إلى أفريقية وتأكيد التأمين لهم رغم ما وقع من اعتداء من بعض سفنهم على بعض مراكب المسلمين بخليج تونس في شوال سنة 596، مع الإلحاح على ضرورة احترام العهود بين الطرفين، بل هناك مراسلات حرة من تجار تونس إلى امثالهم في بيشة تتضمن مواضيع تجارية مع تحريض البيشانيين على التردد إلى إفريقية.[2]

يمثل هذا الملحق عهود المبادلات التجارية بين الموحدين والتجار النصارى البيشانيين، حيث تمتعوا من خلالها بحق المتاجرة في مراسي المغرب الموحدي، كسبتة ووهران وبجاية وتونس، ونجد ان الخليفة الموحدي المنصور وجّه رسالة الى حكومة بيشة يؤكد فيها على حماية التجار النصارى، من أجل ممارسة تجارتهم بكل حرية.

[1]- أحمد العزاوي ، المرجع السابق، ج2، ص94.

الملحق رقم15[1]: **خلفاء الدولة الموحدية .**

1- عبد المومن بن علي	524هـ-1130م.
2- أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	558هـ-1163م.
3- أبو يوسف يعقوب المنصور	580 هـ-1184م.
4- مُحَمَّد الناصر	595هـ-1199م.
5- أبو يعقوب يوسف المنتصر	611هـ-1214م.
6- عبد الواحد المخلوع	620هـ-1223م.
7- أبو مُحَمَّد عبد الله العادل	621هـ-1224م.
8- يحى المعتصم	624هـ-1227م.
9- أبو العلاء إدريس المنصور	626هـ-1229م.
10- عبد الواحد الرشيد	630هـ-1232م.
11- أبو الحسن علي السعيد	640هـ-1242م.
12- أبو جعفر المرتضى	646هـ-1248م.
13- أبو العلاء الواثق	665-668هـ/1266م-1269.

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص522.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم رواية ورش.
- الحديث الشريف.
- الإمام أحمد بن حنبل، المسند، تح: أحمد مُحَمَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1419هـ/1998م.
- الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، الباب10، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.ط).
- الإمام مالك، المدونة الكبرى، ج5، مطبعة السعادة، مصر، مكتبة المثنى بغداد.
- الإمام مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2017م.
- البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الجنايات، تح: مُحَمَّد عبد القادر عكا، ج8، دار الكتب العلمية.

المصادر:

1-ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الثقافة، ج3، ط5،1987م.
2-ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتوس، تح: مُحَمَّد شمام، تونس المكتبة العتيقة،1967م.
3-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، تح: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1999.
4-ابن أبي زكرياء، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، 1979م.
5-ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسن مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
6-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب، ط3، ج2، بيروت، (د.ت.ط)،.
7-ابن الخطيب، اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تح: مُحَمَّد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1425هـ/ 2004م.

8-ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1973م،.
9-ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: مُحَمَّد علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، (د.ت. ط) .
10-ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج1، تح: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق الماروري، دار ابن حزم، بيروت، 1997م،.
11- ابن النقاش، مُحَمَّد بن علي بن عبد الواحد الدكالي (ت 1362/763)، المذمة في استعمال أهل الذمة ، تحقيق عبد الله إبراهيم بن علي الطريقي، الرياض، دار المسلم، ط1416،1م.
12-ابن النقاش، مُحَمَّد بن علي بن عبد الواحد الدكالي (ت 1362/763)، المذمة في استعمال أهل الذمة، تح: عبد الله إبراهيم بن علي الطريقي، الرياض، دار المسلم، ط1، 1416م.
13-ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج5، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و النشر..
14-ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة، تق وتع: مُحَمَّد حسي شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، ج5، 1992م.
15-ابن تيمية، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة في الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت.
16-ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
17-ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة واللأُلاّف، تح: حسن كامل الصيرفي، مطبعة حجازي،1950م.
18-ابن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، 1938م.
19-ابن خرذادبة، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد،(د.ت.ط).
20-ابن خلدون، المقدمة، اعتناء ودراسة: أحمد الزعبي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001م.
21-ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، ج06، دار الفكر للنشر و التوزيع، بيروت، 2000م،.

22-ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ، تحقيق إحسان عباس، ج7، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت. ط)،.

23-ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تح: مُحَمَّد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مطبعة مدريد،1980م .

24-ابن عبد الله السقطي المالقي، في آداب الحسبة، تح: حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1987م.

25-ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشرها: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

26-ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ج3، ط2، 1980م.

27-ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح: مُحَمَّد إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط1، 1985م.

28-ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح: مُحَمَّد إبراهيم الكتاني وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1406هـ/ 1985م.

29-ابن عربي محي الدين، الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية، بيروت، دار صادر،ج3، (د.ت.ط)،.

30-ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مطبعة الفحامين، القاهرة، 1351هـ.

31-ابن قدامة، المغني، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح مُحَمَّد، ج10، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997م،.

32-ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: مُحَمَّد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م .

33-ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تح: عصام الدين الحباطي، ج1، دار الحديث، القاهرة، (د. ت.ط)، .

34-ابن منظور جمال الدين (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ط(3)، 1993م.

35-ابن منظور، المصدر نفسه، ص265. حسن الميمي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، تق: الشاذلي القبلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

36-أبو البركات أحمد بن مُحَمَّد الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك، دار المعارف، مصر، ج2، ط1، 1972م.

37-أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،ج2،ط3، 1414هـ/1994م.

38-أبو حامد الغزالي(505هـ/1111م)، الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، ج2، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، 1900م.

39-أبو زكرياء النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ج6، ط3، 1412هـ/1991م.

40-أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، كتاب الأموال، تح: مُحَمَّد عمارة، دار الشروق، بيروت،1989م.

41-الأخطل، الديوان، تح: فخر الدين قباوة، ج2، دار الأصمعي، حلب، (د.ت.ط).

42-الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1984م.

43-الأصطخري، المسالك والممالك، تح: مُحَمَّد جابر عبد العالي الحني، دار القلم، القاهرة، 1961م.

44-البرزلي (ت841هـ/1438م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل ن القضايا بالمفتين والحكام، تح: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج02، ط01، 2002م.

45-البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1968م.

46-البلاذري (ت279هـ/806م)، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1983م.

47-البهوتي، كشف القناع عن متن الإقناع، دار الفكر، ج3، بيروت، لبنان، 1982م.
48-البيروني أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد الخوارزمي، الآثار عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992م.
49-التجاني، رحلة التجاني، تق: حسن حمي عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.
50-جمال الدين علي بن القفطي (ت1248/646)، كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء بيروت، دار الأثار، (د.ت).
51-الجمحي، طبقة فحول الشعراء، تح: محمود شاكر، ج1، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت.ط)،.
52-حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج01، ط02، 1993م ،.
53-الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1960م.
54-الزبيدي، تاج العروس وجواهر القاموس، ج8، دار ليبيا للنشر، بنغازي، (د.ت.ط).
55-الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تح: مُحَمَّد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط،(د.ت).
56-شمس الدين مُحَمَّد بن الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معان ألفاظ المنهاج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج4، ط4، 1997م.
57-شهاب الدين أحمد الرملي (ت1004هـ/1596م)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، در الفكر بيروت، ج8، ط الأخيرة، 1404هـ/1984م.
58-الشهرستاني، الملل والنحل، تص وتع: أحمد فهمي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج02، ط02، 1992م.
59-الشوكاني مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد (ت1255هـ)، نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، ج8، دار الفكر، بيروت.

60-الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد، (ت1255هـ/1839م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، تح: سيد بن إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1993م

61-الصفدي، الوافي بالوافيات، اعتناء مُحَمَّد يوسف نجم، ج8، مطابع دار صادر، بيروت، 1971م .

62-الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، 1410هـ/1989م.

63-الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

64-عبد الحليم منتصر وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية للنشر، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.

65-عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج6، الرباط، 1987م.

66-عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،من تراث المغرب، ص305 .

67-علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح: على معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج9، ط2، 2003م.

68-فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تح: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب، بيروت، 1986م.

69-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مُحَمَّد عيم العرقوسي، ط03، مؤسسة الرسالة، (د.م.ط)، 2005م/1426هـ.

70-الفيومي، قاموس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2014م.

71-القرافي، كتاب الفروق، تح: مُحَمَّد سراج وعلي جمعة، الفرق التاسع عشر والمائة، دار السلام، القاهرة، ط1، 2001م.

72-القرطبي (ت671هـ/1272م)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، ج5، بيروت، (د.ت.ط).

73-القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت.

74-المالكي، رياض النفوس، تح ومر: بشير البكوش ومُحَمَّد العروسي المطوي،دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، ج2، ط2، 1994م.
75-الماوردي أبي الحسن علي بن مُحَمَّد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: سمير مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001.
76-مُحَمَّد بن أحمد ابن عبدون التجيني، رسالة في القضاء والحسبة، تح: فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/2009م.
77-مُحَمَّد حسن العيدروس، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008م.
78-محي الدين التميمي المراكشي (ت 625هـ)، تاريخ الأندلس المسمى بالمعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة العادة، (د.ت.ط).
79-المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، (د.ت.ط).
80-المقدسي شهاب الدين، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق وحواشي، مُحَمَّد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
81-المقري، شهاب الدين احمد بن مُحَمَّد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب،ج3، طبعة جديدة، دار صادر، بيروت، 1997م.
82-المقريزي (ت845هـ/1442م)، المغرب في ترتيب المغرب، تح: مُحَمَّد الفاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1999.
83-مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،(د. ت .ط).
84-مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، صحيفة مُحَمَّد للدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، 1962/1961م.
85-النباهي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشره: ليفي بروفنسال تحت عنوان: "تاريخ قضاة الأندلس"، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984م.
86-النبهاني، الشخصية الإسلامية، دار الأمية، بيروت، ج2، ط5، 2003م .

87-النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة، 1933م.

88-الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: مُحَمَّد حمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

89-ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج5، 1988م.

90-اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

المراجع:

1- ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الاسلامي،(524هـ-936هـ/1130م – 1529م)، الجامعة الاسكندرية ، 1985م.

2- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت.ط).

3- ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ط2، 1907م.

4- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح:عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، (د.ت.ط).

5- ابن غازي العثماني، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، المغرب، ط3، 1999م.

6- ابن قائد، هداية الراغب لشرح عمدة الطالب لنيل المآرب، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ج1، ط1، 2007م.

7- ابن كردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صلاح بن عبد الله الغامدي، المدينة المنورة، ج1، ط1، 2008م،.

8- ابن كردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صلاح بن عبد الله الغامدي، المدينة المنورة، ج1، ط1، 2008م.

9- أبو الفداء عماد الدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ج1، المطبعة الحسينية، مصر (د.ت).

10- أبو الفداء عماد الدين، المختصر في أخبار البشر، تع:محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1998م.

11- أبو علي المردود، حقوق أهل الذمة، كتاب المختار ، منشورات مجلة ترجمان القرآن، باكستان، 1942م.
12- أبو يوسف، الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ،1979م.
13- إحسان مُحَمَّد حسن، العائلة والقرابة والزواج، دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة الزواج في المجتمع العربي، بيروت، 1981م.
14- أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر النبوي، دراسة سياسية –اجتماعية –اقتصادية –فكرية –عسكرية، ط 03، مطبعة جوهرة الشام دار دمشق، سوريا، 1994م.
15- أحمد العزاوي، رسائل موحدية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب، ط1، (1416هـ-1995م).
16- أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق، في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة،1955.
17- أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980.
18- أحمد متفكر، الطب والأطباء بمراكش عبر العصور، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والتوزيع، مراكش، المرغب، ط1، 2016م.
19- أحمد مُحَمَّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، 1997م.
20- أحمد مختاري العبادي، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، (د.ت.ط).
21- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: مُحَمَّد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية، تونس، ط1، ج1، 1986م.
22- أدوارد غالي الذهبي، معاملة المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غريب، ط12، 1993م .

23- أرشيبالذر، لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد مُحَّد عيسى، مُحَّد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت.ط).

24- إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

25- أميريكو كاسترو، حضارة الإسلام في إسبانيا، تعر: سليمان العطار، القاهرة، دار الثقافة، 1983م،.

26- بديعة الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط01، 2007 م .

27- البرزلي أبو القاسم، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: مُحَّد الحبيب الهنئة، ج5، بيروت، 2004م.

28- بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 1999-2000م.

29- ترتون، أهل الذمة في الإسلام ، تر: حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1194م.

30- ثروت أنيس السيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ت.ط).

31- الثعالبي، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (132 هـ-750م)، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت ، 1975م.

32- جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م.

33- جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الهلال، القاهرة، 1996م.

34- جمال مُحَّد مُحَّد الهنيدي، التربية المهنية والمعرفية في الإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2000م.

35- جوايتاين ، دراسات في التاريخ الإسلامي و النظم الإسلامية، الكويت، وكالة المطبوعات، 1980م.

36- جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تع وتح: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م.

37- حابيم الزعفراني، يهود المغرب والأندلس، تر: أحمد شحلان، ج1، مرسم الرباط.
38- الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1986م.
39- الحسن الغرايب، مسيحيو المغرب الأقصى في العصور الوسطى، تق: عبد العزيز عينوز، منشورات مطابع الرباط، ط1، 2015م.
40- حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1999م.
41- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس " عصر المرابطين و الموحدين "، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 1980.
42- حسن مُحَمَّد جوهر، إسبانيا فردوس العرب المفقود، دار الشعب، القاهرة، 1976م.
43- حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، المؤسسة الإسلامية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987م.
44- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، جامعة القاهرة، (د.ت.ط)، 2004م.
45- حسين مؤنس، نصوص سياسية من فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1420-2000م.
46- الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح: مؤنس،مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1379هـ/ 1960م.
47- خالد أبو الحسن على القايسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين، تح و تع: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 1، 1986.
48- خديجة قروعي، ظواهر اجتماعية مسيحية وإسلامية في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الإمارة (92هـ/711م -316هـ/929م)، دار المحاكاة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1433هـ/2012م.
49- الدوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، تر: حسن حبشي، ج3، دار المعارف، القاهرة، 1963م.

50- رجب مُحَمَّد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية "دار الهدى"، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، شركة دار الإشعاع للطبع، بيروت للنشر، جامعة القاهرة، مصر، (د.ت.ط).

51- رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007م.

52- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله الزيداني وعمر موسى، بيروت، 1980م.

53- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13م إلى نهاية القرن15م، تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

54- روجر بوار، التأثير العربي في الشعر الغربي الأوربي، ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ت.ط).

55- روجي لوترنو، حركة الموحدين بالمغرب، تر: أمين الطيبي، تونس، الدار العربية للكتاب، 1982م.

56- الزغيبي أحمد عبد الله، العنصرية اليهودية، ج1، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م.

57- زكي علي السيد أبو غضة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1424هـ/2003م.

58- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط01، 2007.

59- سرور مُحَمَّد شكري، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة،1978م.

60- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج1، منشآت المعارف، الإسكندرية، 1995م.

61- السموأل بن يحي، بذل المجهود في إفحام اليهود، تق: مُحَمَّد أحمد الشامي، مكتبة الجهاد الكبرى، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة.

62- السيد عاشور، الختان في الشرائع السماوية، القاهرة، (د.ت.ط).

63- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تح: مُحَمَّد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، الجزائر.
64- الشرحسي، شرح كتاب السير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
65- شوقي أبوخليل، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1994م.
66- صابر أحمد طه، نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
67- صاعد أبو القاسم صاعد ابن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985م.
68- صالح بن حسين العابد، حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، ط04، 2008م.
69- صقر أحمد، مدينة المغرب في التاريخ، ج1، دار سلامة للنشر، تونس، 1959م.
70- ظفر الإسلام خان، التلموذ تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ط2، 1404ه/1975م.
71- عاشور مُحَمَّد وحسن ظاظا ، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، ط1، 1975م.
72- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991م.
73- عبد الحليم منتصر وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية للنشر، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.
74- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية، دار الثقافة للنشر، ط01، 2007م .
75- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد وآخرون، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1987م.

76- عبد العزيز القشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تح: عبد الكريم كريم، الرباط، 1972م.

77- عبد الكريم مُحَمَّد زيدا، أحكام الذميين و المستأمنين في دار الإسلام ، مكتبة القدس، بغداد، 1998.

78- عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر القاهرة، ط1، 1964م .

79- عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي للنشر،ط3، 1987م.

80- عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، العصر الهجري، إلى الاحتلال الفرنسي، القاهرة ، (د.ت.ط)، 1408م.

81- عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001م.

82- عز الدين عمر احمد موسى، تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، بيروت، لبنان، فبراير1969م.

83- عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991.

84- عصمت دندش، علاقة الأندلس بمملكة قشتالة من خلال الأقليات في القرن السابع هجري.

85- عطا الله شحاتة مُحَمَّد ريه، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عصر المرينيين والوطاسين ، دار الكلمة للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، ط01، 1999م.

86- عطا الله علي ريه و مُحَمَّد شحاتة، يهود المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة، دمشق، سوريا، ط1، 1999.

87- عطاء أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تق: سنوسي إبراهيم، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.

88- عطية فياض، فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، دار النشر الجامعية، مصر، ط1، 1999م.

89- علي حسن الخربوطلي، الإسلام و أهل الذمة، إشراف مُحَمَّد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م.

90- علي عبد الله علام، دعوة الموحدين في المغرب، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 1964م.

91- عمر رضا كحالة، الزواج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، ط2، 1400هـ-1980م.

92- عمر فروخ، معالم الأدب العربي في العصر الحديث، دار العلم، بيروت، ج1، ط1، 1980.

93- غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، عمان، الأردن،ط1، 1994.

94- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م.

95- الغناي، قيام دولة الموحدين، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 2008.

96- فيليب حتّي، موجز تاريخ العرب، دار العلم، بيروت، د.ط، 1991م.

97- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، المطبعة الملكية، الرباط.

98- الكتاني الفاسي، التراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي، دار القيم، بيروت، (د.ت.ط).

99- كحالة عمر رضا، الزواج، ، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م.

100- كريم يوسف، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار العلم، بيروت،(د.ت.ط).

101- كمال أبو مصطفى سيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م.

102- كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبد الله، العبيكان، الرياض، ط1، 1423هـ/2000م.

103- الكيلاني، مسائل الأحوال الشخصية بين الديانات الثلاث: اليهودية-المسيحية-الإسلام، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م.
104- لواء أحمد عبد الوهاب، مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية، وزارة الأوقاف، مصر، (د.ت.ط).
105- ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة إلى الإسبانية: إيميليو جارثياجومث، ترجمة إلى العربية: علي عبد الرؤوف اليمبي وآخرون، ج1، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جدة، 2000م.
106- ليفي بروفنسال، ثلاث رسائل أندلسية في أداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد العالمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، جامعة باريس، 1955م.
107- ماجد بن صالح المضيان، دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية، تق: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الهدي النبوي، مصر، 2007م.
108- ماهر سمك، اليهود في المغرب، دار الحرية للصحافة والنشر والتوزيع، مصر، ط01، 1998م.
109- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب،1406هـ/1986م.
110- مُحَمَّد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1970م.
111- مُحَمَّد أحمد أبوا الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515-686م)، دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م .
112- مُحَمَّد الخاقاني، الزواج والطلاق في رسالات السماء، مكتبة البيداء، الرياض.
113- مُحَمَّد بن أحمد ابن عبدون التجيني، رسالة في القضاء والحسبة، تح: فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/2009م.
114- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشيطبي، الجمان في أخبار الزمان في مختصر أخبار الزمان، مخطوط، المكتبة الوطنية.
115- مُحَمَّد حسين منصور، النظام القانوني للأسرة في الشرائع غير الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية.

116- مُحَمَّد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1997م.

117- مُحَمَّد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبب، معجم لغة الفقهاء، عربي إنجليزي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1408هـ/1998م.

118- مُحَمَّد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، (د.ت.ط).

119- مُحَمَّد عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية، المسمى بالترلتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي، ج1، ط2، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان –.

120- مُحَمَّد علي الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهر ة ط1، 2006 م.

121- محمود شاكر، الموسوعة الدينية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، (د.ت.ط).

122- مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م.

123- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهودية والصهيونية، مج2، دار الشروق، القاهرة، ج1، ط3، 2006م.

124- مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف الإسكندرية للتوزيع، (د.ت.ط).

125- موسى بن ميمون، دلائل الحائرين، تح وتر: حسن أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت.ط).

126- ناصر القفاري، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار ناصر العقل، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1413هـ/ 1993م.

127- الناصري أبو العباس، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتع: جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،(د.ط.ط)، 1954م.

128- نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، 1976م.

129- نريمان عبد الكريم أحمد، معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1969م.
130- هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفراق، عمان، ط1، 1984م.
131- هنري بيريس، الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م.
132- هنري كريمونا، موسوعة الأديان، إع: مجموعة من الباحثين، دار النفائس، بيروت، ط2، 2002م.
133- وهبة الزحيلي، آثار العرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط3، 1981م.
134- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تر: مُحَمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط2، 1996.
135- يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دار الشباب، الجزائر، (د.ت.ط).
136- يوسف جودت عبد الكريم، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري/ التاسع والعاشر ميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

- الأطروحات الجامعية:

1- ابن مُحَمَّد عبد النبي، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1979م.
2- سعيداني لخضر، الأقليات الدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مذكرة ماجستير جامعة وهران، الجزائر،2012-2013م.

3- الاقتصاد في المغرب الأقصى في عهد الموحدين 624-668هـ/ 1229-1269م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2006/2005م.

4- بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ والحضارة، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، أحمد بن بلة1، الجزائر، 1435-1436هـ/2014-2015م.

5- بوحلوفة مُحَمَّد أمين، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي(914هـ-1508م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير فيالتاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م.

6- التأثير الإسباني في المجتمع الاندلسي وصورته في الأدب، رسالة استكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة الاردن، الأردن، 1996م.

7- حمزة عبد الصمد، أهل الذمة في الدولة الزيانية (633-962هـ/ 1235-1554م) دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية، مذكرة ذكتوراه، تخصص حضارة إسلامية، قسم حضارة الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، 2017/2016م.

8- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، اليهود في الدول العربية الإسلامية في الأندلس(92-897هـ/711-1492م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة بغداد، مطبعة ومكتبة دار الأرقم، فلسطين، 1999م.

9- رابح رمضان، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2008/2007م.

10- رضا رافع، حبودة، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/1160-1572م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2008م.

11- زينب عبد الله كرير، أهل الذمة في العهد الحفصي (626-982هـ/ 1227-1574م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2005م.

12- شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين(524-667هـ/1126-1226م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009/2008م.

13- شريف عبد القادر، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين (515هـ-1121م/668هـ-1269م)، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012/2011م.

14- شريف عبد القادر، نصارى بلاد المغرب من الفتح إلى نهاية دولة الموحدين (21هـ/641 م/668 هـ-1269 م)، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة الجزائر، 2011-2012م .

15- صالح يوسف بن قربة، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين الحفصيين والمرينيين، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994م.

16- طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي من(132هـ-447هـ/749-1055م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،2008/2007م.

17- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، أهل الذّمة في الأندلس خلال الحكم الأموي "عصري الإمارة والخلافة" (138-421هـ/756-1030م)، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، 1420هـ/1999م.

18- فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-9 هـ /13-15 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ الوسيط، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008-2009 م.

19- قتيبة علي إبراهيم سمور، العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الإسبانية في شمال الأندلس 540-620هـ/ 1145-1225م، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، تموز، 1996م.

20- مُحَمَّد الأمين ولد أن، النصارى اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين(422-539هـ/1030-1141م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012م.

21- مريم مُحَمَّد شريف عبد القادر، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين، (21-641هـ/ 686-1269م)، مذكرة لنيل شهادرة الماجستير، جامعة الجزائر، 2003م.

22- مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1990-1991م.

23- مقاديم عبد الحميد، الحياة الاجتماعية والإقتصادية على عهد الدولة الموحدية، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2001/2000.

24- نميش سميرة، أهل الذمة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى(6-10هـ/12-16/)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018/2017م.

25- نور السادات سيليني، أحكام كنائس النصارى في بلاد المسلمين، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2012/2011م.

26- هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس-دراسة عن اليهود المارنواس- عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية للنشر، معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، ط1، 2008م.

27- يوسف عابد، الموحدون في بلاد المغرب 515-595هـ/1121-1199م، دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2006 م.

- **المجلات والدوريات العلمية**

1-إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد11، رجب 1414هـ/1994م.

2-أحمد العزفي ، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، نشر وتحقيق المستشرق الإسباني: فرناندو دي جرانخا، مجلة الأندلس، 1969م.

3-سعد زعلول النجار،" العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي و أبي يوسف يعقوب المنصور" مجلة كلية الأداب، جامعة الإسكندرية، 1952- 1953م.

4-صالح مُحَمَّد محي الدين الكيلاني وأنس عوض الخلايلة، الطلاق في الديانات الثلاث، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد20، 1425، أعتمد النشر في 2014/02/07م.

5-عبد القادر طويلب، النظام المالي الجبائي في الدولة الموحدية وأثره عليها، دورية كان التاريخية، العدد 25سبتمبر2014م.

6-عبد الله أيت إيشو، معالم من حياة اليهود المغاربة، مجلة كان التاريخية، مجلة دولية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية، السنة2، العدد3، مارس2009.

7-علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بتاريخ العرب، يصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، العددان 57-58، أيلول-كانون الأول، دمشق، 1996م.

8-عمر بن ميرا، جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية، بحث منشور في مجلة الدراسات الأندلسية، العدد 14، المطبعة المغاربية، تونس يونيو، 1995م.

9-مُحَمَّد موشموش، تطور شكل السكة الموحدية من خلال أربعة نماذج غير منشورة للدرهم المستدير –دورية كان التاريخية- العدد السابع عشر، سبتمبر 2012.

10-مصطفى بن حموش، يهود الأندلس في تلمسان (قصة النزوح والإقامة)، مجلة الوعي، مطبعة الديوان، الجزائر، عدد4/3، 2011م.

11-علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، " مجلة علمية فصلية محكمة تعني بتاريخ العرب، يصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب"، العددان 57-58، أيلول – كانون الأول، دمشق، 1996 .

- المراجع الأجنبية:

1-Abdallah Larawi : l'histoire du Maghreb un essai de Synthèse Casablanca,Maroc,1995.

2-Corcos David , » vThe jews of Moroco under the Marinides »,in the History of the jews, jewish Quarterly Review.0 LIV, 1963.

3-De Mas Latrin, Relations et commerce du Maghreb avec les nations chretiennes au moyen Age, Paris, 1978.

4-Eisenbeth. Les juifs au Maroc, essai historique. Alger, Imprimerie Charras, 1948.

5-Fantar Decret,l'Afrique du Nord dans l'antiqué des origines au 5^{ém} siecle,Ed Paycet, Paris,1981.

6-G. Deverdun. Marrakech des origines a 1912, Rabat, 1959.

7-Georges Marcai, les villes d'Art célèbres, TIemcen, Idition tell, Blida, Algeria, 2003.

8-Goitein. D, A Méditerranean society, vol1, Econnomie fondations, University of california press, 1967

9-Goulven. »Notes sur les origines anciennes des Israelites du Maroc « .Espérais, tome1.1921.

10- Goutier(A) meliterranean , society the Jervishcommunilier, the arabword as portayedin the

documents of the cairoGenzer 969. 1280 , Vol 03, eduniversity of California, Press, 1978.

11- Granzel ,Solomon, A History of the jews, America,1948.

12- Haim Zafran, Deux mille sans de vie juive au Maroc ,Paris, Maisonneuve et Larousse, 1998.

13- Levy Pronvencal, histoire de l'Espagne Musulmane, Edition Maisonneuve et larose, paris, 1ere edition, 1991.

14- Maurice Eisenbeth, Les Juif en Algérien, esquisse historique depuis LesOrigines Jusqu à nos, Extrait de Lèncyclopédie Coloniale et Maritime Paris.

15- Plusieurs écrivains : L'histoire du Monde : Le Moyen âge ,imprimerie, grafica, éditoriale, Italy, 1997.

16- Simon Levy، Essais d'histoire et de civilisation judéo-marocaines. Rabat, centre Tarik. Ibn Zyad .2001.

17- Terrasse, H, Histoire du Maroc, Ed, Athlantides, Casablanca.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأمثال الشعبية

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الشعوب والقبائل

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية	السورة	رقم الآية	الصفحة
" ٱلذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾"	الرعد	20	13
"وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ "	الإسراء	34	13
"كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلاَّ ٱلذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾	التوبة	07	14
" كَيْفَ وَإِنْ يَّظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْۚ إِلًّا وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَابىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ"	التوبة	08	14
"لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُومِنٍ إِلًّا وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾"	التوبة	10	14
"وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ اَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِالذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَاكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾	آل عمران	72	15
" مَّا يَوَدُّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مِنْ اَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلاَ ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۚ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَّشَآءُۚ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٤﴾	البقرة	72	15
"فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلاَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾.	التوبة	05	16

17	17	الحج	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾.
18	156	الأعراف	"إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۖ"
18	122	البقرة	"يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾
20	51	آل عمران	: "فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾.
22	73	المائدة	"لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ"
23	62	البقرة	: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ "
26	29	التوبة	"قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾
29	04	التوبة	"إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
30	07	يس	" لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾"

34	274	البقرة	"ٱلذِينَ يَاكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلذِے يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَاُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٤﴾
35	118	آل عمران	" يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَالُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنَ اَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِے صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلاَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾"
36	29	التوبة	"حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾"

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلذِے خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلذِے تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَالاَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً

195	72	المومنون	"أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾
202	118	آل عمران	"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَالُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِن أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلاَيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

فهرس الأحاديث

الحديث	مصدره	الصفحة
"يسعى بذمتهم أدناهم "	صحيح البخاري	14
"من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما"	صحيح البخاري	31
" من ظلم معاهدا أو انتقضه وكلفه فوق طاقته وأخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فإني حجيجه يوم القيامة"	سنن البيهقي	31
"إنما بذلوا الجزية لتكون دماءهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا"	سنن البيهقي	31
" أخرجوا المشركين من جزيزة العرب"	صحيح البخاري	38
"من غشنا فليس منا"	صحيح مسلم	163

فهرس الأمثال

المثل الشعبي	الصفحة
"فاس بلد بلا ناس"	49
"إذا غلا القمح مالو حصال"	157

فهرس الأعلام والشخصيات

~ أ ~

إبراهيم بن بيجوو.184
إبراهيم بن تاشفين.58
إبراهيم بن سهل.49
إبراهيم عليه السلام.28. 23
ابن أبي الزرع.48
ابن أبي دينار.85
ابن أريقط.34
ابن الأثير. .67 .66 .65 .64 .54 .32
68. 69. 78. 81. 195
ابن الأخوة.203
ابن الحاج.89
ابن الخطيب. .145 .144 .138. 109
165
ابن الربرتير.99
ابن الرميمي.65
ابن العربي.117
ابن القفطي.81
ابن القيم الجوزية. .36 .29 .24 .23
37. 39. 111. 193. 195. 196
ابن النقاش.88
ابن تغري.97. 81
ابن حوقل.154. 153. 55. 54
ابن حيان.56
ابن خردذابة.184
ابن خلدون. .68 .57 .55 .51 .50
71. 73. 74. 75. 85. 94. 99.
151. 155. 198. 199
ابن رذمير.64
ابن شداد.81. 70
ابن صاحب الصلاة. .70 .69 .68 .66
80. 85. 145. 197
ابن عبدون. .168 .166 .115 .112
169
ابن عذارى. .65 .64 .59 .56 .50
66. 68. 69. 70. 71. 72. 76.
78. 79. 94. 99. 112. 113.
114. 137. 138. 154. 196.
198. 199. 200. 201
ابن علي الكومي.81
ابن قدامة.31 .27 .26
ابن مردنيش.66. 65
ابن منظور. .23 .19 .18 .14 .13
193
ابن همشك.66. 65

أبو الحسن علي.203 .199 .99
أبو الفضل العقباني.172
ابو بكر الطرطوشي.62
أبو بكر بن العربي.112
أبو زكري.182
أبو سعيد النسري.49
أبو عبيدة القاسم.26
أبي القاسم العبدوسي.88
أبي دانس.79
ابي زرع. .79 .76 .71 .70 .65 .51
196 .99
أبي زيد القيرواني.192
أبي سعيد خلفون.178
أبي عبد الله مُحَمَّد الناصر.114
أحمد بن خالد المالقي.77
أحمد بن عبد الله.117
إدريس الثاني.48
أرجست فوريل.136
آستروك كورديبه.180
إسحاق الفاسي.49
إسحاق اللاوي.184
إسحاق بن علي.58
إسحاق بن قسطار.121
آشتور.118
ألفارو.147 .56
ألفونسو السادس.153 .138
أندراوس.51
إنزارت ابن إبراهام.180
أوغسطين.52

~ ب ~

بابا بترة.140
البخاري.38 .30 .29 .27 .24 .14
بختشوع.34
البرزلي. .158 .110 .89 .85 .37
169
برنس.73
بطرس.180 .51
بطليوس.45
البكري. .156 .95 .57 .56 .55 .23
162
بلاسكودي الأجون.99
بن قسي.65
بن هود.72 .62
بنجوزار ابن سلمان.180
البهلول ابن رشد.157
البهوتي الحنبلي.16

بولس.143 .142 .135 .134 .51
بونياش.167
بونيساك فروسول.180
بيير كيشار.137
التجاني.81 .57

~ ت ~

ترتليانوس.44
تيتوس.46

~ ج ~

جان جربير.83
جستنيان.53 .47
جمال احمد طه. .200 .97 .77 .76
201
جودة بن يوسف.184
جورج مارسيه.98
جويتاين.185 .84 .83

~ ح ~

حاكوهين.153
حاييم الزعفراني. .107 .103 .55 .49
.127 .125 .123 .122 .108
.161 .160 .148 .133 .128
178 .173 .162
الحسن الوزان.182 .163 .114 .83
حسن علي حسن. .76 .75 .74 .73
199 .197 .196 .79 .78
الحموي. .54 .32 .28 .24 .21 .20
183 .182 .168 .95 .55
الحميري. .96 .95 .73 .57 .55 .54
182 .169 .168
خالد يونس الخالدي.145 .112

~ خ ~

خايمي.100
الخزرجي.88
الخشني.192
خلفون بن ليتاليل.184

~ د ~

دقلديانوس.51
دكيوس.51
دوفورك.177 .147

~ ر ~

الربتير.50
روجي لوترنو.84
ريموند.145

~ ز ~

زبارا.148 .146
الزّبيدي.14

~ س ~

سليمان بن جابيرول.56
سليمان بن داود.19
سليمان بن عبد الملك.34
السموأل بن يحي.116

~ ش ~

شمعون الكنعاني.51 83
الشهرستاني. .21 .19 .18 .17 .15
22. 23. 24

~ ص ~

صلاح الدين الأيوبي.69

~ ط ~

الطرطوشي. .147 .112 .109 .63
148
طوماس.51

~ ع ~

عبد الرحمان بشير. 50. 113. 114. 125. 127. 128. 156. 167. 172

عبد الرحمن بن عثمان.56

عبد الرحمن بن عياض.65

عبد العزيز بن موسى.137

عبد الله بن أبي سرح.48

عبد الله بن سعد.48

عبد الله بن سهل.145

عبد المؤمن. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 70. 72. 75. 76. 80. 81. 83. 85. 96. 97. 167. 188. 190. 191. 192. 193. 194. 196. 197. 199. 200

عثمان بن عفان.48. 56

العزفي.144

العزيز المنصور بن الناصر.63

علي بن يوسف. 50. 58. 60. 78. 99. 199. 203

عمر ابن الخطاب.32

عمر بن الخطاب.24. 33. 34. 111

عنان بن داود.19

عيسى عليه السلام. 19. 20. 21. 22. 134

~ غ ~

الغزالي.16. 60. 63

~ ف ~

فيلبس.51

~ ق ~

القاضي عياض.157
قرقوز.82
القسطنطين الرابع.54
قسطنطين.52
القلقشندي. .105 .104 .103 .101
194

~ ك ~

الكتاني.201 .193 .162
كولفان فيرى.84

~ ل ~

ليفي.194 .193 .191 .177 .166 .146 .138 .137 .117 .83 .50 .37

~ م ~

ماذغيس.73
المازوني.172
ماس لاتري.189 .167
الماوردي.195 .112 .38 .28 .16
متى العشار.51
مُحَمَّد ابن هود الماسي.99
مُحَمَّد المغراوي.204 .203
مُحَمَّد بن تومرت.62 .61
مُحَمَّد بن سعد بن مردنيش.65

المراكشي. 59. 60. 76. 77. 79. 80. 85. 87. 88. 112. 113. 114. 173. 196. 201
مريم.22. 108. 145. 187
مظفر ابن بوناس.179
المعز لدين الله.49
المغيلي.88
المقريزي.15. 101
المنصور. 62. 63. 67. 68. 69. 70. 78. 79. 87. 98. 113. 114. 167. 174. 196. 201
المهدي بن تومرت.63
المهدي. 62. 63. 81. 97. 191. 198. 199
موسى ابن ميمون.148
موسى بن حنون.127
موسى بن عزرا.122
موسى عليه السلام. 18. 19. 21. 102. 103
موسى. 18. 19. 21. 64. 71. 81. 83. 86. 102. 103. 131. 134. 135. 152. 153. 172. 178. 186. 198. 199. 201

~ ن ~

نوح عليه السلام.23. 73
النويري. 33. 65. 66. 68. 70. 81. 82. 101. 103. 195

~ هـ ~

هارون.19. 33. 34. 112
هونوريوس الثالث.114

~ و ~

الوزان.188 .172 .164 .163 .159 .114 .110 .95 .47
وستر مارك.136
الونشريسي. .155 .154 .146 .120 .117 .108 .102 .100 .97 .88 .32 .29
156. 165. 167. 203

~ ي ~

يحي بن نسيم.184
يحي عليه السلام.109
يعقوب المنصور. .112 .98 .69 .64
115. 168. 201
يعقوب بن يوسف بن كلس.49
يوسف المنتصر.71
يوسف بن تاشفين.99 .78 .58
يوسف بن عبد المومن.138 .68
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق.88
يوسف بن يعقوب.88
يوشع.19

فهرس البلدان والأماكن

~ أ ~

أربلية.65
أرغون.58
إسبانيا. 47. 58. 67. 68. 70. 142. 147. 148. 178. 180. 182. 204
اشبيلية.66. 80. 98. 159. 168
إشبيلية.158. 201
أغمات.56. 97
إفريقيا. 22. 44. 47. 52. 56. 68. 69. 77
إفريقية. 29. 48. 51. 52. 53. 55. 59. 67. 69. 70. 73. 87. 109. 175. 187. 189. 190. 198
الأرمن.21
الإسكندرية. 42. 53. 54. 63. 64. 70. 80. 100. 157. 171. 176
الإمبراطورية الرومانية.53
الأندلس. 26. 37. 47. 49. 50. 56. 59. 60. 63. 64. 65. 66. 67. 69. 72. 74. 76. 78. 80. 87. 91. 95. 97. 99. 103. 111. 115. 116. 117. 118. 120. 124. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 163. 164. 168. 170. 172. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 187. 188. 189. 195. 199. 204. 205
البندقية.191
ألبيرة.159
الجريد.57. 68
الجزيرة الخضراء.66
الحجاز.17. 28. 39
الحشم.50
الدولة الموحدية. 13. 58. 62. 64. 68. 71. 72. 73. 80. 81. 84. 91. 94. 95. 100. 102. 112.

142. 145. 151. 153. 155.
162. 163. 172. 176. 189.
190. 193. 194. 197. 202.
203. 206
الرمادة.55
الروم.156 .80 .79 .51 .33 .22
السودان.55
السوس.198 .187 .184 .164 .70
الشام.34 .28 .22
الشمال الإفريقي. .135 .127 .51
177. 180
الصحراء الإفريقية.68
العراق.41 .25
الغرب الإسلامي. .38 .34 .29 .13
41. 45. 47. 48. 50. 54. 58.
63. 67. 72. 83. 85. 89. 95.
105. 109. 110. 118. 145.
151. 153. 155. 161. 176.
177. 186. 187. 191
القاهرة.176
القدس. .111 .107 .22 .20 .15
187
القيروان. .186 .161 .77 .59 .55
205
القيسارية.178
المدينة.98 .52 .48 .47 .34
ألمرية.183 .181 .180 .67 .66 .65
المغرب الإسلامي. .46 .45 .42 .20
48. 74. 78. 95. 110. 112.
113. 147. 150. 153. 154.
163. 164. 167. 171. 173.
174. 175. 176. 184. 185.
186. 187. 192. 205
المغرب الأقصى. .75 .74 .62 .50 .43
76. 77. 79. 80. 103. 109.
125. 185. 197. 198. 199
المقدس.45 .33 .19
المهدية. .82 .71 .68 .62 .59 .55
83. 85. 86. 87. 98. 162.
176. 188. 191
الناصرة.20
النكور.55
النوبة.21
النورمان.68
الهند.189 .187 .186 .181 .56
أليسانة.180 .98 .49
اليمن.17
أورشليم.46
أوروبا.162
إيطاليا.192 .47
إيلياء.33 .32

~ ب ~

بابرة.69
باجة.77 .69 .57
باجه.65
بادس.97 .90
بجاية. .154 .100 .71 .68 .64 .59
192 .191 .183 .182 .175
برقة. .59 .55 .54 .52 .47 .46
198
بسكرة.175
بلاد المغرب. .46 .45 .44 .43 .42
.54 .53 .52 .51 .50 .48 .47
.97 .96 .95 .78 .73 .63 .60
.154 .130 .127 .100 .98
.174 .164 .163 .162 .160
203 .200 .184 .177 .176
بلنسية.178 .102
بياسة.201 .147 .67 .65
بيزا.191 .177

~ ت ~

تادلا.55
تامسنا.55
تطاوين.57
تلمسان.167 .86
تونس. .53 .51 .47 .46 .44 .25
.86 .85 .82 .70 .68 .62 .57
.111 .109 .106 .99 .90 .87
197 .191 .177 .176 .115
تينملل.76

~ ج ~

جبل السوس.63
جبل طارق.67
جربة.55 .47
جرزيم.20
جزيزة العرب.39
جلولة.51
جنوة.192 .191 .190 .183
جيان.201 .66 .65

~ ح ~

حصن أمركو.161

~ د ~

درعة.188 .97 .56

~ ر ~

رأس نون.75

~ ز ~

زرهون.161 .47
زناتة.77 .76
زناته.50
زويلة.68 .55

~ س ~

سبتة. 57. 86. 97. 167. 176. 183. 191. 193
سبيطلة.51
سجلماسة. 55. 86. 97. 167. 185. 189. 205
سرت.55. 57
سرقسطة.58. 59. 65. 169
سكيلي.52
سلا.57. 192. 193
سوسة.41. 45. 46. 167. 176

~ ش ~

شبه الجزيرة العربية.42
شريس.66
شلب.69
شلبطرة.69
شمال إفريقيا. 45. 46. 48. 51. 74. 181. 204

~ ص ~

صفاقس.55. 176
صقلية.68. 83. 99
صنهاجة.75. 76

~ ط ~

طرابلس. 47. 51. 55. 64. 68. 175. 176
طرطوشة.63. 65
طركونة.98
طلمثية.55
طليطلة.56. 58. 155

طنجة.187 .57

~ غ ~

غرناطة.157 .155 .98 .91 .81 .73 .67 .66 .56

~ ف ~

فارس.107 .79 .25 .24 .17
167. 174. 181. 189. 191.
192
فاس. .77 .63 .51 .49 .48 .47
.164 .161 .99 .97 .85 .84
فزازا.55
فلسطين.56 .45 .34 .20

~ ق ~

قرطاج.52 .51
قرطاجة.46
قرطبة. .98 .79 .66 .61 .58 .56
178 .168 .160 .129
قرمونة.66
قسنطينة.195 .176 .57 .43
قلعة بني حماد.49
قلعة رباح.69
قمنورية.56
قورينا.46

~ ك ~

كلدان.18
كنفيسة.76
كيدموية.76

~ ل ~

لاردة.65
لاهوته.22
لبدة.55. 47
لبلة.158
لمتونة.75. 50
ليبيا.75. 57. 45. 41. 15

~ م ~

ماردة.65
مجريط.69
مراكش. .63. 61. 60. 59. 57. 50
.99. 86. 85. 84. 80. 73. 65
.193. 171. 160. 101. 100
201
مرسية.158. 73
مصر. .45. 35. 28. 21. 17. 16
.83. 80. 68. 59. 57. 56. 55
.118. 111. 105. 99. 87
.180. 155. 132. 125. 123
187. 186. 181
مصمودة.75
مكة.63. 34. 26. 23
مكناسة.147. 97. 86. 84. 57
ملبتار.188
منورقة.67
موريتانيا الطنجية.51
موريتانيا القيصرية.51
ميورقة.183. 67
ناسوته.22
نفزاوة.55
نفوسة.55. 47
نهر النيجر.75

نوميديا الجزائر الشرقية.51

~ هـ ~

هرغة.76 .63
هنتاتة.76

~ و ~

واحة الفرفرون.57
وادي الحجارة.69
والحبشة.51 .21
ورجلان.175
وريكة.97 .76
وهران. .191 .140 .110 .100 .99
200

~ ي ~

يابسة.67

فهرس الشعوب والقبائل

~ أ ~

الأراغونيين.194 37. 38. 39. 40. 41. 48. 59. 90. 97. 99.

الأرمن.22 106. 109. 112. 113. 123. 124. 126.

الأساقفة.208 129. 137. 159. 160. 163. 168. 169.

الأغزاز.89 77. 78. 170. 174. 178. 184. 185. 187. 188.

أهل الذمة. 13. 15. 189. 191. 207. 212. 213. 214. 215.

16. 17. 18. 20. 216. 224. 226

24. 26. 27. 28. أهل الكتاب.152 15. 16. 17. 25. 26. 27. 132.

29. 30. 31. 32. الأيوبيين.207 64. 75. 76. 77.

33. 34. 35. 36.

~ ب ~

البتر.83 .59

البربر. .46 .45 .44

.56 .55 .52 .50

.85 .83 .82 .59

البيزنطين.58

86. 87. 141. 144. 195

بنو باديس.65

بني إسرائيل.141 .134 .117 .20

بني حماد.186 .70 .66

بني غانية.209 .77

البيزيين.194

~ ح ~

الحواريين.56

~ د ~

الدوناتية.57

~ ذ ~

الذّميون.37

~ ر ~

الربانيين.19

الرومان.56 .55 .51 .50 .48 .47

الروم. .34 .23 .22

الروماني.58 .57 .55 .50 .47 .44

55. 88. 89. 171

~ ص ~

الصابئة.24 .23

صنهاجة.85 .84 .83

الصقالبة.198 .89 .88

الصنهاجيون.65

الصقليون.77

الصنهاجيين.75 .70

~ ع ~

العباسيين.66

العرب الهلالية.86 .78 .77

العبريون.19

العـرب.85

العبيديين.65

العنانيين.19

~ ق ~

القبائل الهلالية.65

قبائل بربرية.51

القرائين. .19. 138

139

القشتاليين.194

القوط.171 .87 .57 .52

القيسارية.195

~ ك ~

الكاثوليكية.207 .109 .58 .57 .47

~ ج ~

المجوس.216 .26 .25 .17

~ م ~

المرابطون. .66 .65 .64

68. 89. 110.

112. 220

المرابطين. .73 .72 .71 .70 .68 .67 .54 .53 .14

81. 82. 83. 85. 88. 107. 111. 126. 134.

63. 76. 78. 150. 152. 158. 193. 194.
153. 154. 176.
207. 208. 212. 213
213. 219. 220.
المشركين.41 .17
222. 224
المصامدة.98 .84 .83 .78
المرتزقة.112 .111
مصمودة.84 .83
المسيحية. .47 .46 .21
المعاهدين.193
48. 55. 56. 58.
الميورقيون.78
الملكانية.23 .22
الميورقيين.77
المماليك.90 .89 .64

~ ن ~

55. 56. 62. 63. 65. 71. 72. 74. 75. 80.
النسطورية.23
81. 82. 85. 92. 94. 96. 97. 100. 105.
النصارى. .22 .21 .16
108. 109. 110. 111. 112. 120. 121.
23. 24. 26. 28.
122. 123. 124. 129. 130. 132. 150.
30. 34. 35. 54.

151. 152. 153.
154. 158. 159.
161. 163. 165.
171. 173. 174.
176. 182. 183.
النصرانية. 21. 23. 55.
56. 110. 129.
130. 132. 151.
185. 186. 188. 193. 194. 196. 201.
202. 208. 209. 210. 211
نصارى. 22. 23. 24. 27. 30. 38. 55. 63. 64.
109. 110. 122
152. 154. 155. 168. 171
النورمان.75

~ هـ ~

هنتاتة.84

~ و ~

الوثنيين.24
الوندال.51. 57

~ي ~

اليعاقية.59 118. 119. 121. 130. 131. 132. 133.

اليعقوبية.22 135. 136. 137. 139. 140. 141. 144.

اليهودية. .35 .21 .19 145. 146. 148. 149. 150. 156. 157.

44. 45. 48. 49. 160. 164. 170. 178. 180. 184. 185.

62. 93. 94. 188. 189. 192. 195. 206. 207

106. 108. 115. اليونانية.163

الموضوع	الصفحة

- الإهداء
- شكر وعرفان

مقدمة.....1-11

الفصل التمهيدي:أهل الذمة في ضوء الشريعة الإسلامية.....13

- أولا: مفهوم أهل الذمة.....13
- لغة.....13
- مفهوم أهل الذمة اصطلاحا.....15
- مفهوم الذمي.....16
- مفهوم عقد الذمة.....16
- مفهوم الجزية.....17

فئات أهل الذمة:.....17

- اليهود.....18
- النصارى.....20
- الصابئة.....23
- المجوس.....24

ثانيا: موقف الدولة الإسلامية من أهل الذمة.....25

ثالثا: شروط عقد الذّمة مع أهل أهل الذّمة:.....27

رابعا:نقض عقد الذّمة:.....29

خامسا: حقوق وواجبات أهل الذّمة 30

- حقوق أهل الذمة.....30
- واجبات أهل الذمة.....35

الفصل الأول: تواجد أهل الذمة في بلاد الغرب الإسلامي.....41

أولا: العوامل الاجتماعية والاقتصادية في نشر اليهودية والمسيحية ببلاد الغرب الإسلامي.....41

- اليهودية.....41
- المسيحية.....42

ثانيا: إستقرار أهل الذمة ببلاد الغرب الإسلامي.....45

- الاستقرار اليهودي ببلاد الغرب الإسلامي.....45
- الاستقرار المسيحي ببلاد الغرب الإسلامي.....51

ثالثا : مناطق تواجد اليهود والنصارى بالمغرب والأندلس.....55

رابعا: الدولة الموحدية 58
- الوضع السياسي.....58
- الوضع الاجتماعي.....60
- الوضع الديني.....60
- الوضع الاقتصادي.....61
- بداية الدعوة الموحدية.....62
- عصر ازدهار الدولة الموحدية.....64
- تفوق الدولة الموحدية على الدول المعاصرة.....68

- ضعف الدولة الموحدية.....72
العناصر المكونة للمجتمع الموحدي.....74
- البربر.....74
- بربر الأندلس.....76
- العرب.....77
- الأندلسيون.....78
- عناصر مختلفة.....79
- الروم الصقالبة.....79
- الأغزاز.....80
خامسا: أراء بعض المؤرخين حول موقف الموحدين من أهل الذمة وخاصة اليهود منهم.....81
- إكراه خلفاء الدولة الموحدية اليهود على الدخول في الإسلام.....82
- اضطهاد خلفاء الدولة الموحدية اليهود.....83
- رأي المصادر المغربية حول موقف الموحدين من اليهود.....86
- خلفاء الدولة الموحدية وإلغاء عقد الذمة.....88
الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية.....93
أولا: مكانة اليهودي والنصارى في المجتمع الموحدي..... 93
- اليهود.....93
- اليهود الأهالي.....94

- النصارى.....96

ثانيا: عادات وتقاليد أهل الذمة في الدولة الموحدية.....100

الأعياد الدينية لأهل الذمة في عهد الدولة الموحدية.....100

- أعياد اليهود.....100
- أعياد النصارى.....108

أزياء وطعام أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية 110

- الألبسة.....111
- الأطعمة.....115

الزواج والطلاق عند أهل الذمة.....120

الزواج عند اليهود.....121

- تعدد الزوجات عند اليهود.....127
- الطلاق عند اليهود.....129

الزواج عند النصارى.....,,,,,,.....134

- تعدد الزوجات عند النصارى.....135
- الطلاق عند النصارى.....136

ثالثا: المرأة الذّمية على عهد الدولة الموحدية:.....140

- المرأة عند اليهود.....140
- المرأة عند النصارى.....142

الموضوع	الصفحة

رابعا: التأثير والتأثر بين أهل الذمة والمسلمين على عهد الدولة الموحدية:.....143

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية لأهل الذمة على عهد الدولة الموحدية:..... 151

أولا: الفلاحة عند أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية.....151

- 1/ الزراعة وتربية الحيوانات.....151
- 2/ المحاصيل.....155
- 3/الري.....158
- 4/ تربية الحيوانات.....158

ثانيا: الصناعة والحرف عند أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية:.....160

- 1/الصناعة التعدينية.....161
- 2/الصناعة النسيجية.....164
- حرف أخرى.....166

ثالثا: التجارة عند أهل الذمة على عهد الدولة الموحدية 169

- 1/ التجارة الداخلية.....170
- 2/ التجارة الخارجية.....176

رابعا:النظام المالي للدولة الموحدية ودور أهل الذمة فيه.....190

- 1/ دور أهل الذمة في الموارد المالية للدولة الموحدية.....190
- الضرائب والمكوس.....190
- الجزية.....192

- الخراج.....194
- العملة الموحدية.....197
- دور أهل الذمة في المعاملات النقدية.....201
- خاتمة:.....205
- ملاحق:.....209
- قائمة مصادر ومراجع:.....226
- فهرس الآيات القرآنية.....252
- فهرس الأحاديث:.....256
- فهرس الأمثال:.....257
- فهرس الأعلام:.....258
- فهرس الأماكن والبلدان:.....267
- فهرس الشعوب والقبائل:.....275
- فهرس الموضوعات.....282

ملخص

من المعلوم أن الدولة الموحدية أظلت تحت حكمها مجموعة من الرعايا غير المسلمين الذين يطلق عليهم أهل الذمة، الذين كانوا ضمن المجتمع الموحدي، ولقد ارتبطت تسمية هذه الفئة بمجيء الإسلام وقيام الدولة الإسلامية وتأسيسها على يد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ووضع أحكام وتعاملات تنظم علاقة المسلمين مع غيرهم من الفئات الأخرى كاليهود والنصارى وغيرهم، ولقد تطورت هذه الفئة من أهل الذمة مع تطور وتقدم الدويلات الإسلامية في المشرق والمغرب بدءا من الدولة الأموية والعباسية وصولا إلى هذه الدولة الموحدية. وخلال هذه الفترات أطلق على هذه الفئة عدة أسماء من طرف المؤرخين منها "المعاهدون" و"الرعايا غير المسلمين" أو " الذميون الفرنجة"، ولقد كانت لهم مساهمات في بناء الدويلات الإسلامية ولا سيما الدولة الموحدية، حيث تعتبر وضعيتهم في هذه الدولة من القضايا التاريخية التي أثارت جدلا واسعا بين المؤرخين - وإن كانوا قلة - حول موقف الموحدين من أهل الذمة خاصة اليهود منهم، فذهب فريق منهم إلى وصف الموحدين بالتعامل السيء مع اليهود ومنعهم من الكثير من حقوقهم وخاصة منعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وعلى هذا فقد لحق هذه الفئة بعض الإجحاف من طرف الموحدين حسب قول بعض المؤرخين، فتم إخفاء الكثير من الحقائق وطمسها بالرغم من تبوء أهل الذمة مكانة مرموقة داخل هذه الدولة، إلا أن هذا لا ينفي أنهم مروا ببعض الفترات الصعبة وإن لم تدم طويلا، وحسب قول مؤرخين آخرين فإن الغالب الأعم من أحوالهم أنهم بلغوا مراتب عليا سواء في الوزارة أو في قيادة الجيش أو الحرس الخاص بالحكام والأمراء ومنهم من كانت له أراضي فلاحية كبيرة وأملاك وعقارات واسعة. وعلى هذا فقد كان أهل الذمة كباقي الفئات الاجتماعية في الدولة الموحدية، ولذلك كان لليهود إسهامات كبيرة خاصة في المجال الاقتصادي حيث أنهم ساهموا في ازدهار الاقتصاد الموحدي من خلال علاقاتهم التجارية وذلك بتمركزهم في أهم المدن التجارية وشاركوا في التجارة الخارجية والداخلية لهذه الدولة، أما معاملة النصارى من طرف الموحدين كانت معاملة حسنة، سمحت لهم بأدورا كبيرة وبشكل طبيعي في مساهمتهم بناء الدولة الموحدية، وذلك في كثير من الجوانب كالجانب العسكري، بحيث تقلدوا مناصب داخل الجيش الموحدي، إضافة إلى الجانبين الاجتماعي والاقتصادي.

الكلمات المفتاحية:

الدولة الموحدية؛ أهل الذمة؛ اليهود؛ النصارى؛ المغرب الإسلامي؛ الغرب الإسلامي؛ الحياة الاجتماعية؛ الحياة الاقتصادية؛ التجارة الخارجية؛ الجزية.

نوقشت يوم 02 جوان 2020